عبد الله الخفاجي

(لا نبذة)

الديوان

وصفُوا بياضَ يدِ الكليمِ لمعجزٍ

شُكري وقصرَ عنكَ جهدُ ثنائي

وصفُوا بياضَ يدِ الكليمِ لمعجزٍ

فِيهِ وكم لك مِنْ يدٍ بيضاء

واستطرفوا إحياء عيسى ميتاً

فرداً وجودُكَ باعثُ الفقراء

وَرَأوْا وقد طلع السَّماء مُحَمَّدٌ

عجباً وقدرُكَ فوقَ كلِّ سماء

زُفَّتْ إليْكَ وَلَسْتَ مِنْ أكْفائها

زُفَّتْ إلَيْكَ وَلَسْتَ مِنْ أكْفَائها

كالشَّمْسِ طالِعَةً عَلى حِرْبَائهَا

بَيْضَاء أشْرَقَ وَجْهُهَا في فَرْعِهَا

حتى عرفتَ صباحهَا بمسائهَا

لوْ كانَ صرفُ الدهرِ عندكَ حاضراً

نَثَرَ الخُطُوبَ عَلَيْكَ وَقْتَ جَلائهَا

رفعتْ سُتوركَ للهناء بأخذهَا

والحسنُ قبلكَ جالسٌ لعزائِها

ما جادتِ الدنيَا عليكَ بمثلِهَا

إلاَّ لِيَحْمَدَ بُخْلَهَا بسَخائهَا

وَمُعَدَّلٍ جَارٍ عَلَى غُلوَائِهِ

وَمُعَدَّلٍ جَارٍ عَلَى غُلوَائِهِ

يُروى حديثُ نداهُ عنْ أعدائِهِ

لدنٍ كعاليةِ القناةِ يخفُّ في

عَزَمَاتِهِ وَيَميدُ في أهوَائِهِ

تَمِلُ الشَّمَائلِ مَالَ في أعْطَافِهِ

وَودَادِهِ وَنَعِيمِهِ وَشَقَائِهِ

عجلتْ عليهِ يدُ الحِمامِ وعودهُ

ريانُ منْ خمرِ الشبابِ ومائِهِ

وتتابعتْ هفواتهُ ولربمَا

فلَّ الخطوبَ بخطرَةٍ من رائِهِ

عَجَباً لِحَدِّ السَّيْفِ كَيْفَ أصَابهُ

وَمَضَاؤهُ في الرَّوْعِ دُونَ مَضَائِهِ

وَلِمَصْعَبٍ مَلأ الزَّمَانَ هَدِيرُهُ

قادوهُ بعدَ شماسهِ وإبائِهِ

إنْ يرفعوهُ فقدْ غنُوا بعلائِهِ

أو يشهروهُ فقدْ كفوا بثنائِهِ

أوْ تُبْدِعِ الأعْدَاء فيه فَسُنَّةٌ

للدَّهرِ جاريةٌ على نُظرائِهِ

لا يَفْرَحُونَ بهَا فَكَمْ مِنْ شَامِتٍ

بحمامهِ ولعلهُ في دائِهِ

يَا صَاحِبَ الجَدَثِ الغَرِيبِ وَدُونَهُ

خطرٌ يُعَدُّ مسافةً في نائِهِ

ذكَرَ الغَمَامُ عَلى ثَرَاكَ عَلاقةً

تَجْري بهَا العَبَرَاتُ مِنْ أنْوَائهِ

وَتَنَفَّسَتْ فِيهِ الرِّيَاحُ مَرِيضَةً

من حرِّ نارِ الحُزنِ أو برحائهِ

فلقدْ جفوتُكَ رهبةً ولربمَا

هجرَ الصديقُ وأنتَ في أحشائهِ

أوْ كَانَ مُقْتَصِراً فَخِدْمَةُ مِثْلِهِ يَا مَالِكَ النَّعْرِ الَّذي بِسُيوفِهِ

أوْ كَانَ مُقْتَصِراً فَخِدْمَةُ مِثْلِهِ يَا مَالِكَ النَّعْرِ الَّذي بِسُيوفِهِ

عَزَّتْ مَطَالِبُهُ عَلى أعْدَائهِ

أشرقت فيهِ فليلهُ كنهارِهِ

ورفعتَ منهُ فأرضهُ كسمائهِ

لاموكَ في بذلِ النوالِ وإنمَا

شرفُ الغَمام بما جرى من مائهِ

وَوَجَدْتَ عَاقِبَةَ السَّمَاحِ حَمِيدَةً

فَحَذارِ مِنْ نُصْحِ البَخيلِ وَرَائهِ

لا تشفقنَّ على الثراءِ فما ذوَى

روض تكون ظُباك مِنْ أنْدَائهِ

ضمنتْ لكَ الخلفَ السريعَ شفارهَا

من بعدِ ما عرفتْ مكانَ وفائهِ

ما رامَ عبدكَ أنْ يشيرَ وإنمَا

نَظْمُ القَريضِ جَرَى على غَلْوَائهِ

إنْ صدهُ عنتُ الزمانِ وصرفهُ

فلهُ قديمُ ذمامهِ وولائهِ

أوْ كَانَ مُقْتَصِراً فَخِدْمَةُ مِثْلِهِ

معروفةٌ بثنائهِ ودعائهِ

إذا ما متُّ فادفني بوعْسَاء سَهلةٍ

إذا ما متُّ فادفني بوعْسَاء سَهلةٍ

بها السربُ يعطو والجآذرُ تلعبُ

وفاحَ سحيريُّ الصبا منْ خلائقي

بمَا هُوَ أذكى مِنهُ عُرفاً وأطيبُ

سَقَى بَانةَ الجَرْعَاء مِنْ بَطنِ تُوضح

سَقَى بَانةَ الجَرْعَاء مِنْ بَطنِ تُوضح

وللنَّاسِ في سُقيَا الدِّيَارِ مَذاهبُ

نَسيمُ كأنفاسِ الخُزَامَى صَقيلةٌ

بريح النعامَى قبلثها السحائبُ

لاحَ وَعْدُ اللَّيْلِ مَسْلُوبُ

لاحَ وَعْدُ اللَّيْلِ مَسْلُوبُ

بَرْق بنَارِ الشَّوْقِ مَشْبُوبُ

طوَى الفَلا يَسْأَلُ عَنْ حَاجِرٍ

وَهوَ إلى رَامَةَ مَجْلُوبُ

ضلالةً للبانِ في طيِّها

سُكّرٌ وَلِلقِمْرِيِّ تَطْرِيبُ

وعارض يجمعُ ندادهُ

زجرٌ منَ الرعدِ وترهيبُ

عَقَدْتُ أجْفَاني بهدَّابهِ

فَهُوَ بِمَاء الدَّمْع مَقْطُوبُ

أسْألُهُ عَنْكُمْ وَفِي بَرْقِهِ

سطرٌ منَ الأخبارِ مكتوبُ

فليتهُ أظهرَ من جوشنٍ

ما كتمتْ تلكَ الأهاضيبُ

أوْ ليْتَني أذْهَلُ عَنْ ذِكْرِكُمْ

فإنَّهُ هَمٌّ وَتَعْذِيبُ

وَلائم يُظْهِرُ إشْفَاقَهُ

عِنْدِي وَبَعْضُ النُّصْح تَثْرِيبُ

ظنَّ غرامي بكمْ صبوة

وهوَ منَ الآدابِ محسوبُ

مَالكَ لا حَدَّثْتَ عَنْ مِثْلهَا

إلاَّ وتعليلكَ تأنيبُ

يَا صاحبيْ رحلِي أعيدَا أمَا

نِيَّ ففي الغيبِ أعاجيبُ

وَخَبِّرَاني أيْنَ شَمْسُ الضُّحَى

فإنَّ لونَ الصبحِ غربيبُ

وا أسفي منْ غربةٍ طوحتْ

فيها إلى الرومِ الأعاريبُ

قادَني الدهرُ إليها ومنْ

يُحارِبُ الأقْدَارَ مَغْلُوبُ

فهلْ تشيمانِ على راهطٍ

نَاراً لَهَا في الجَوِّ أَلْهُوبُ

دُونَ سَنَاهَا كُلُّ مَجْهُولةٍ

تَعْرِفُهَا الجُرْدُ السَّرَاحِيبُ

لعلها نارُ بني ملهَم

تعقرُ في أرجائها النيبُ

إنْ خلتْ في المحلِ أخلاقُها

دَرَّت على الضَّيْفِ العَراقيبُ

قومٌ ذكرناهمْ ومنْ دونهمْ

لِلرِّيح إسآدٌ وَتَأويبُ

فَرَنَّحَتْنَا لَهُمْ نَشْوَة

يَطْرَبُ مِنْها الرَّاحُ وَالكُوبُ

ذوائبُ منْ عامرٍ ضمها

بيتٌ على الجوزاءِ مضروبُ

لهمْ إذا أمهمْ سائلٌ

فنٌّ منَ الجُودِ وأسلوبُ

طلاقَةٌ تُشْرِقُ قَبْلَ النَّدَى

وَالبِشْرُ مِثْلُ الحُسْنِ مَحْبوبُ

تَعْجَبُ مِنْ إسْعَارِ أيْدِيهِمُ

نَارُ الوَغى وَهْيَ شَآبِيبُ

لأنُوا وَفِيهِمْ لِلعِدِي قَسْوَة

وَالغَيْثُ مَرْجُوٌ وَمَرْهُوبُ

تَنَاسَوا قَبْلَ إلى مَالِكِ

وبانَ سرٌّ فيهِ محجوبُ

فهوَ سنان طالَ عنْ رمحهِ

وَاعْتَدَلْتْ بَعْدُ الأَنَابيبُ

أبلجُ تُبدي الغيبَ أفكارهُ

وَكُلُّ رَأي النَّاس تَجْريبُ

أزمَّةُ الأيام في كَفِّهِ

وَجَامِحُ الأقْدار مَجْنُوبُ

كَمَالُهُ يُغْنِيكَ عَنْ عَدِّ مَا

فِيهِ وكُلُّ النصح تَجْنِيبُ

لهُ محلٌّ دونَ إدراكهِ

للشُّهبِ تصعيدٌ وتصويبُ

أوْفَى عَلَيْها فَلَهَا بَعْدَهُ

فِي الأُفْقِ تَشْرِيقٌ وَتَغْرِيبُ

تشرفُ إنْ قابلَها مثلمَا

تشرفُ بالبيتِ المحاريبُ

يا ابنَ عليّ كيفَ صارَ الندى

عَلَيْكَ فَرْضاً وَهُوَ مَنْدُوبُ

قبلكَ ضلَّ الناسُ عنْ نهجهِ

وَعَزَّ شَأوٌ فِيهِ مَطْلوُبُ

فما هدَى بعدكَ قُصادهُ

إلاّ منارٌ لكَ منصوبُ

ما ضرَّ أهلَ الشام أنْ يُخلِفَ

الغَيْثُ وَإحْسَانُكَ مَسْكُوبُ

كَمْ لَكَ فِي وَادِيهمُ رَوْضَةً

نمَّ إلى رائدِها الطيبُ

ما أنتِ يا مزنةُ خطارة

فيها ولا ذيلُكِ مسحوبُ

وإنمَا روضها عارضٌ

إلى نَصيرِ المُلْكِ مَنْسُوبُ

جادتْ يداهُ حينَ ضنَّ الحيا

والخيرُ ممنوعٌ وموهوبُ

يا خيرَ منْ نصتْ إلى نارهِ

ضوامرُ البزل المصاعيبُ

رَعَيْتُ إحْسَانَكَ عِنْدي وَقَد

خَانَ مع البُعْدِ الأصَاحِيبُ

فَلي غَرَامٌ بكَ مَا أضْرَمَتْ

زنادَهُ البيضُ الرَّعَابيبُ

وَصَبْوَة نَحْوَكَ عُذْرِيَّةٌ

فكلُّ مدحي فيكَ تشبيبُ

أبْعَدَني مِنْكَ زَمَان لهُ

في طلبي وخدٌ وتقريبُ

وألفُ دارٍ برقُها لامعُ

الآل وراعي سرحِها الذيبُ

مَا هِيَ مِنْ بَعدِيَ إلاَّ كما

أقفرَ في الأطلال ملحوبُ

فهل أمانيّ إذا راضَها

في الفكرِ تقديرٌ وترتيبُ

تصدُقني فيكَ إذا ما

المنى خداعٌ وأكاذيبُ

فَقَدْ شَفَى الغُلَّةَ مِنْ يُوسُفٍ

بَعْدَ طويلِ الحُزْنِ يَعْقُوبُ

إذَا مَا الغَمَامُ الجَوْنُ أنْجَدَ صَوْبُهُ

إذَا مَا الغَمَامُ الجَوْنُ أنْجَدَ صَوْبُهُ

وَأسْفَرَ بالإيمَاضِ وَهْوَ قطُوبُ

فَلَيْتَ نَسيماً بالغُوَيْرِ يَقُودُهُ

ويمسكُ عنهُ شمألٌ وجنوبُ

لعلَّ بهِ مِنْ نشرِ سلمى بقيةً

يضوعُ بها ذاكَ الحَيا ويطيبُ

وَقَتْكَ صُرُوفُ الدَّهْرِ يَا ابْنَ مُقَلَّدٍ

وَقَتْكَ صُرُوفُ الدَّهْرِ يَا ابْنَ مُقَلَّدٍ

ولا زلتَ تدعو سعدَها فتجيبُ

وراحتْ رزاياهَا عليكَ شفيقةً

كأنَّ الخطوبَ الطارقاتِ قلوبُ

وَلا صَحِبَتْ كَفَّاكَ غَيْرَ صَوَارِم

لها في صدورِ الدارعينَ وجيبُ

تُنفرَ عنكَ الحادثاتِ كأنهَا

غوان وبيضُ المرهفاتِ مشيبُ

فقدْ زالَ داء كنتَ فيمَا أماطَهُ

كمَا ثُقِّفَ الخطيُّ وهوَ صليبُ

وَقَدْ يُصْقَلُ الهِنْدِيُّ وَهْوَ مُذَرَّب

ويسمحُ عطفُ المرءِ وهوَ أديبُ

رَمَتْ بالحِمى أبصارَها مطمئنةً

رَمَتْ بالحِمى أبصارَها مطمئنةً

فلمَّا بدتْ نجدٌ وهبَّتْ جنوبُها

بَخِلْنا عَليها بالبُرى فتقطعتْ

وقلَّ لِنجد لوْ تقرَّت قلوبُها

تروحُ بنجدٍ تغصبُ الذئبَ زادَه

تروحُ بنجدٍ تغصبُ الذئبَ زادَه

وقومُكَ بالرَّؤخاء في المنزل الرَّحبِ

وما ذاكَ إلاَّ نَفحةٌ حَاجِريةٌ

هَوَبتَ لَها عَيشَ الأغاريبِ والجَدْبِ

تبيتُ خَميصَ البَطنِ إلا مِنَ الجوى

وتَغذُو رَخِيِّ البالِ إلاَّ مِن الحُبَ

وهيجكَ البرقُ اليمانيُّ موهناً

صلاً لكَ ما للبرق ويبكَ والقلبِ

وأشعثَ حييَنا بهِ غرةَ الدجَى

وقد نَشِطَ التَّهويمُ عَنْ مُقل الرَّكبِ

إذا مَا تَغَنتْ بَيْنَ أبرادِهِ الصِّبَا

ترنحَ مرُّ الريح بالغصن الرطبِ

قَربت وأنواء الغَمامِ بَخيلةٌ

بعيد بأيام الغضارةِ والخِصُبِ

أبى اتخاذَ الزادِ ما لا ينالهُ

مِنَ الغَضبِ أو يأسُو بهِ سَغَبَ الصَّحْبِ

دَعَا آل حزنٍ والرَّماحُ تَنوشُهُ

فيا قربَ ما لبيتَ بالطعن والضربِ

ولو أنني أدعوهُ كانَ جوابهُ

بأسرعَ مِنْ سَلّي لحادثةٍ عَضبي

وجدتكَ أحلى في جفوني منَ الكرى

وأعذبَ في نفسي منَ البارِدِ العذبِ

فَقلْ لِجنَاب بالغوير تَضوعتْ

عليكَ الخزامَى وهيَ تلعبُ باللبِّ

سقاكَ رسيلُ الدمع تحسبُ جودهُ

أكفُّ الخفاجِيين فاضحة السحبِ

إذا خِلته إيمانهُمْ فَبروقُهُ

سيوف وهلْ إيمانُ قومي بلا قضبِ

وما كنتُ أهوى أن يحلَّ فناءهْ

سِوَى الدَّمْع إلاَّ أنَّها عَادة العُرْبِ

يعزُّ مديحي دونَ إعراض معشرٍ

يَهمُّونَ بي حَتَّى يَغُرُّهُمُ سبيِّ

وما كنتُ أرضى بالدنيةِ منهمُ

سُبَابي فَهَّلا حَاكَمُوني إلى الحَربِ

و واعَدني مِنهمْ رجَالٌ بغَارَةٍ

تشنُّ فأمنَا يا لقاحَ بني كعبِ

وقدْ علمُوا أني جعلتُ صدورهمْ

مقري فخالوني خلقتُ من الرعبِ

أضَاعُوا المَعَالي كالضُّيوفِ وَجارُهمْ

بَعيدُ القِرى غَيرُ الرَّبيلةِ والعُشْبِ

إذَا هَجَوْتُكُمُ لَمْ أخْشَ سَطْوَتَكُمْ

إذَا هَجَوْتُكُمُ لَمْ أخْشَ سَطْوَتَكُمْ

وَإنْ مَدَحْتُ فَمَا حَظِّي سِوى التَّعَبِ

فحينَ لَمْ ألفِ لا خوفاً ولا أملاً

رغبتُ في الهجوِ إشفاقاً منَ الكذبِ

قَدْ ألفَ القَلْبُ خِلافَ الَّذي

قَدْ ألفَ القَلْبُ خِلافَ الَّذي

كرومهُ منْ سلوةِ القلبِ

فَعُدْ إلى إسْعَادِهِ في الهَوَى

لعلهُ يزهدُ في الحبِّ

هَلْ تَسْمَعُونَ شِكَايَةً مِنْ عَاتِبِ

هَلْ تَسْمَعُونَ شِكَايَةً مِنْ عَاتِبِ

أوْ تقبلونَ إنابةً منْ تائبِ

أمْ كلمَا ما يتلو الصديقُ عليكمُ

في جَانِبٍ وَقُلوبُكُمْ في جَانِبِ

أمَّا الوشاةُ فقدْ أصابوا عندكُمْ

سُوقاً يُنَفّقُ كُلَّ قَوْلٍ كَاذِبِ

فمللتمُ منْ صابرٍ ورقدتمُ

عنْ ساهرٍ وزهدتمُ في راغبِ

وأقلُّ ما حكم الملالُ عليكمُ

سُوء القِلى وَسَمَاعَ قَوْل العَائِبِ

أنَاخَ عَلَيَّ الهَمُّ مِنْ كُلِّ جَانِبِ

أنَاخَ عَلَيَّ الهَمُّ مِنْ كُلِّ جَانِبِ

بَيَاضُ عَذَارى في سَوَادِ المَطالِبِ

وَكُنْتُ أظُنُّ الأرْبَعِينَ تَصُدُّهُ

فما قبلتْ فيها شهادةُ حاسبِ

طلبتُ الصبا منْ بعدِها فكأنمَا

علقتُ بأعجازِ النجومِ الغواربِ

وما ساءني فقدُ الشبابِ وإنمَا

بكيتُ على شطرٍ من العمرِ ذاهبِ

ولا راعني شيبُ الذوائبِ بعدهُ

وعندي همومٌ قبلَ خلقِ الذوائبِ

وَلكِنَّهُ وَافى وَمَا أطْلَقَ الصِّبَا

عناني ولا قضَّى الشبابُ مآربي

وَمَا كُنْتُ مِنْ أصْحَابِهِ غَيْرَ أنَّهُ

وفَى ليَ لمَّا خانني كلُّ صاحبِ

بَكَى النَّاسُ أطْلالَ الدِّيَار وَلَيْتَني

وجدتُ ديارا للدموع السواكبِ

وَقَالوا زِيَادٌ رَاحَ عَازِبَ هِمَّةٍ

وَمَنْ لِفُؤادي بالهمُوم العَوَازبِ

أأحْبَابَنَا هَلْ تَسْمَعُونَ عَلَى النَّوَى

تَحِيَّةَ عَانٍ أوْ شَكِيَّةَ عَاتِبِ

ولوْ حملتْ ريحُ الشمال إليكمُ

سَلاماً طَلَبْنَا مِثْلَهُ في الجَنَائبِ

ذكرتكمُ منْ بعدِ عشرينَ حجةً

لَقَدْ دَرَسَتْ أسْرَارُكُمْ في التُّرَائبِ

وَمَا أدَّعي أنِّي أحِنُّ إلَيْكُمُ

وَيَمْنَعُني الأعْدَاء مِنْ كُلِّ جَانِبِ

وَلا أنا بالمُشْتَاق إنْ قُلْتُ بَيْنَنَا

طوالُ العوالي أوْ طوالُ السباسبِ

فما لقلوبِ العاشقينَ مزيةٌ

إذَا نظرتْ أفكارُهَا في العواقبِ

ولا الشوقُ إلاَّ في صدورٍ تعودتْ

لِقَاء الأعادي في لِقَاءِ الحَبَائِبِ

جَزَى الله عَنَّا العِيسَ خَيْراً فَطالَمَا

فَرَقْتُ بِهَا بَيْنِي وَبَيْنَ النَّوَائِبِ

كَفَتْنَا ثَقِيلَ الهَمِّ حَتَّى كَأَنَّمَا

رَمَيْنَا بِهِ فَوْقَ الذُّرَى وَالغَوَارِبِ

وإنْ صدقتْ في ناصرِ الدولةِ المنَى

فَمَا هِيَ إلاَّ مِنْ أيَادي الرَّكَائبِ

فتىً حارتِ الأقدارُ منْ عزماتهِ

على أنهَا معروفةٌ بالعجائبِ

وأدركَ أعقابَ الأمورِ بفكرهِ

كأنَّ لَهَا عيناً عَلَى كُلِّ غَائبِ

لَهُ نَسَبٌ كَالشَّمْسِ أشْرَقَ نُورُهُ

عَلَى طُولِ أيَّامِ السِّنينِ الذَّوَاهِبِ

إذا دجتِ الأحسابُ لاحتْ نجومهُ

ثواقبَ منْ قبلِ النجومِ الثواقبِ

جيادكَ يومَ النيلِ ذكرنَ أهلهُ

بِمَا صَنَعَتْ أمَّلْتُها في قُبَاقِبِ

سَقَتْ تِلْكَ أكْنافَ المَشَارِقِ وَابِلَ

الدماءِ وجادتْ هذهِ في المغاربِ

تَرَكْنَ دِيَاراً لا تَبين لِعَارفٍ

وَخُضْنَ بِحَاراً لا تَحِلُّ لِشَاربِ

وَقَدْ سَمِعُوا أخْبَارَهَا في سِوَاهُمُ

فما قنِعُوا إلاَّ ببعضِ التجاربِ

إذا كانَ عقلُ المرءِ أدنى خلالهِ

فمَا هوَ إلاَّ ثغرة للمصائبِ

وَكَمْ حَبَسَ القُمْرِيَّ حُسْنُ غِنَائِه

وقيدتِ البازيَّ حجنُ المخالبِ

طلعتَ عليهمْ والسيوفُ كأنهَا

ضرائبُ ممَّا كسرتَ في الضرائبِ

بَقِيَّة آثار اللِّقَان وآلِسٌ

وفضلةُ أيام الحمَى والذنائبِ

تحدثُ عنْ تلكَ المنايا فلولهَا

وقد كتبتْ أخبارهَا في الكتائبِ

قواضبُ إلاَّ أنهَا في أناملٍ

تَكَادُ تَفُدُّ الهَامَ قَبْلَ القَوَاضِبِ

حميتَ بهَا سربَ الخلافةِ بعدَ ما

تَرَامَتْ بِهِ أيْدي العَبيدِ اللَّوَاعِبِ

وَأبْعَدْتَ عَنْ تَدْبيرِهَا كَلَّ مَائقٍ

حديثُ المُنى فيها حديثُ المناسبِ

وكنتَ إذا أشرعتَ رأيكَ في العدَى

طَعَنْتَ بِهِ قَبْلَ الرِّمَاح السَّوالِبِ

وَقَدْ يُبْصِرُ الرَّأيَ الفَتَى وَهُوَ عَاجِزٌ

وَرُبَّ حُسَام سَلَّهُ غَيْرُ ضَارِبِ

كأنَّ المدَى في كُلِّ شيءٍ طلبتهُ

دنَا لكَ حتَّى نلتهُ غيرَ طالبِ

يظنُّ العدَى أنِّي مدحتكَ للغنَى

وَمَا الشِّعْرُ عِنْدي مِنْ كَرِيم المكَاسِبِ

وَمَا شِئتُ إلا أنْ تَتِمَّ صِفَاتُهُ

وللدرِّ معنىً في نحورِ الكواعبِ

كَأنِّي إذا أنْشَدْتُ فِيْكَ قَصِيْدَة

نثرتُ عليهمْ طالعاتِ الكواكبِ

وَلكِنَّهَا مَنْسِيَّةُ الذِّكْرِ فِيكُمُ

تسائلُ عنْ أحسابكمْ كلَّ راكبِ

وَوَاللهِ مَا صِدْقُ الثَّناءِ بَضَائع

عَلَيْكَ وَلا حُسْنُ الرَّجَّاءِ بِخَائِبِ

وفيكمْ روى الناسُ المديحَ ومنكمُ

تعلمَ فيهِ القومُ بذلَ الرغائبِ

أعِنِّي عَلَى نَيْلِ الكَوَاكِبِ في العُلا

فأنتَ الذي صيرتَها في مطالبي

ودَعْني وصدقُ القول فيكَ لعلهُ

يُكَفِّر عَنْ تِلْكِ القَوافي الكَواذِبِ

غَرَائبُ مَيْنٍ في سِوَاكَ كَثِيرة

ولكنني منهنَّ أولُ تائبِ

وَمَا كُنْتُ لمَّا أعْرَض البَحْرُ زَاخِراً

أقلبُ طرفي في جهامِ السحائبِ

طويتُ إليكَ الباخلينَ كأنمَا

سريتُ إلى شمسِ الضحَى في الغياهبِ

وَكَانَ سَبِيلُ الجُود في الأرْضِ وَاحِداً

فمَا عرفَ الناسُ اختلافَ المذاهبِ

وَشَرَّفَني قَصْدي إلَيْكَ وَإنَّمَا

يُبَينُ بِقَصْدِ البَيْتِ فَضْلُ المُحَاربِ

فمنْ كانَ يبغي في المديح مواهباً

فَإنَّ مَديحي فيكَ بَعْضُ المَواهِبِ

مَضَى الصِّبا وَأناس في الصِّبا عُرفُوا

مَضَى الصِّبا وَأناس في الصِّبا عُرفُوا

استودعُ الله أطرابي وأترابي

وَلَوْ عَقِلْتُ لَمَا عَنِيَتْ بَعْدَهُمْ

نفسي وأتعبتُ آرابي بآرابي

وكنتُ في جانبِ الغبراءِ معتزلاً

عِزِّي قُنُوعي وَحِصني ظِلُّ مِحرابي

لا أطْلُبُ الرِّزْقَ مِنْ سَيْفٍ وَلا قَلَمٍ

ولا أفكرُ في رومٍ وأعرابِ

أقولُ حقاً ولكني أخالفهُ

ولَو عَقِلْتُ لكَانَ الصَّمْتُ أحْرَى بي

يا إخوتي منْ مالكِ بن كنانةٍ

يا إخوتي منْ مالكِ بن كنانةٍ

حيثُ السيوفُ تطولُ بالأحسابِ

لا تسألوا عني الخيالَ فإنهُ

مَا زَارَني مِنْكُمْ فَيَعْلَمُ مَا بي

وَاسْتَخْبِرُوا لَيْلاً رَعَيْتُ نُجُومَهُ

فنضا ولمْ ينصلْ دجاهُ شبابي

سَهِرَتْ كَواكِبُهُ مَعي وَبَعُدْتُمُ

أنتمْ كواكبهُ وهنَّ صحابي

قلْ للنسيمِ إذا حملتَ تحيةً

قلْ للنسيمِ إذا حملتَ تحيةً

فَاهْدِ السَّلاَم لجَوْشَنٍ وَهِضَابِهِ

وَاسْأَلْهُ هَلْ سحب الرَّبيعُ ردَاءهُ

أوْ جَرَّ ذَيْلَ الفَضْلِ مِنْ هُدَّابِهِ

وتبسمتْ عنهُ الرياضُ وأفصحتْ

بِثَنَاء بَارِقِهِ وَمَدِّ سَحَابِهِ

فلقدْ حننتُ وعادني منْ نحوهِ

شجنٌ بخلتُ بهِ على خطابهِ

وَصَبَابَةٍ عَلِقَتْ بِقَلب مُتَيَّم

وَصَلَ الغَرَامُ إليه قَبْلَ حِجَابِهِ

وَإِذَا الغَرِيبُ صَبَا إِلَى أَوْطَانِهِ

شَوْقاً فَمَعْنَاهُ إلى أَحْبَابِه

لَوْ أنَّ قَلْبي مَعِي سَلَوْتُ بِهِ

لَوْ أنَّ قَلْبي مَعِي سَلَوْتُ بِهِ

أوْ كنتُ أنفيهِ عنْ ترائبهِ

لكنهُ بانَ عنْ يديَّ فمَا

أحكمُ فيهِ منْ بعدِ صاحبهِ

فؤادٌ ما يقرُّ منَ الوجيبِ

فؤادٌ ما يقرُّ منَ الوجيبِ

ودهرٌ لا يجودُ على لبيبِ

وَجَفْنٌ تُحْسَبُ العَبَراتُ فِيهِ

سحائبَ يختصمنَ على قليبِ

وهلْ علمتْ بنو حزنِ بنِ عمروٍ

إبَايَ عَلَى مُشَاوَرَةِ الخُطُوبِ

وإنَّ الدهرَ أبقى منْ قراعي

كَمَا أبْقَى الضَّرَابُ مِنَ العَروبِ

وأنزلَ أسرتي بمقرٍّ بؤسٍ

تَوارى عَنْهُ لاعِبَةَ الجُنُوبِ

أجابوا فيهِ داعيةَ المنايا

لقدْ صعبَ النداءُ على المجيبِ

إذَا كان المَشِيبُ نَوى الغَوَانِي

فإنِّ وصالهمْ نبذُ المشيبِ

يُناديني بزفرتهِ عديٌّ

وَيَعْرِضُ إنْ بَكَيْتُ عَلَى الكَثِيبِ

ولوْ أعدتهُ ثمَّ جفونُ عيني

لجادَ عليهِ بالدمع الغريبِ

أآلفهُ النوى سكنتْ قلوبٌ

تُعَلِّلُ فيكَ بالأمَلِ الكَذُوبِ

بعهدكَ كيفَ دنستِ الليالي

بُرُوداً مَا تُلاثُ عَلَى مُعِيبِ

وكيفَ أماطَ عنكَ التربُ حسناً

وَمِنْهُ نَضَارَةُ الغُصْنِ الرَّطِيبِ

سكنتِ القلبَ ثمَّ حباكِ عذراً

فساوى بينَ حبكَ والوجيبِ

وخانتكِ الجفونُ فقدْ أقامتْ

ألوفاً بعد شخصكَ للنحيبِ

لياليناَ بذي سلم أقامتْ

عَلَيْكَ ولا تُرَوَّع بالرقيب

فَلَسْتُ أرُومُ أعْبَقَ مِنْ صِبَاهَا

لقد أكثرتِ منْ حسنٍ وطيبِ

إذَا مَا الحزْنُ ضَوَّعَهُ الخُزَامى

وصدَّ الناعجاتِ عن اللغوبِ

وخلتُ نسيمهُ إمَّا نشقنَا

ينازعنَا على ملكِ القلوبِ

فَهَبَّ عَلَى ثَرَاكِ وَلَمْ يُنَفِّرْ

أنِيسَ تُرابِهِ عِنْدَ الهبُوبِ

وصافحَ مستهلَّ الرملِ منهُ

عَلَى رِفْقٍ مُصَافَحَةَ الحَبيبِ

وَأكْبَرَ أنْ يُفَاجِئَهُ بمَسٍّ

فَعَارَضَ زَوْرَةَ الرَّجُلِ المُريبِ

أأنسيتَ المواقفَ في مغانٍ

وَمَا سَكَّنَّ مِنْ حُرَقِ الكُروبِ

سلبنا بالسُّجُودِ صَعيدَ نَجْدٍ

ففاحَ على الدلادل والجيوبِ

وكنَّا والزمانُ لهُ أيادٍ

يوكلُ فيضهنَّ إلى شعوبِ

تُرَاسِلُ بالتَّذكُر مِنْ بَعيدٍ

ونعتب باللواحظِ منْ قريبِ

حننتُ إلى الأراكِ فقالَ سعدٌ

طربتَ وأيُّ عذرٍ للطروبِ

عَهدْتُكَ لا تَحِنُّ لِغَيْرِ مَجْدٍ

أخِلْتَ غُصُونَهُ لَعِبَ الكُعُوبِ

فليتَ تنسمِي أرجَ الخزامَى

عَلَى هِمَمِي مِنَ الدُّنْيَا نَصِيبِي

وَيَا بَرْقَ الغُوَيْرِ دَنَوْتَ حَتَّى

يَغَارُ عَليَّ مِنْكَ شَبَا قَضِيبِي

صحبتكِ يا ذكاءُ فكنتِ أسري

وَأصْبرُ في المَهَامِهِ والسُّهُوبِ

وسرْبلناكِ بردَ النقعِ حتَّى

أخَذْتِ الثَّأرَ مِنَا بالشُّحُوبِ

خِفْ من أمِنْتَ ولا تركِنْ إلى أحدٍ

خِفْ من أمِنْتَ ولا تركِنْ إلى أحدٍ

فَمَا نصحتُك إلاَّ بعد تَجريبِ

إن كانت التركُ فيهم غيرَ وَافيةٍ

فما تزيد على غدرِ الأعاريبِ

تمسَّكوا بوصايا اللؤم بينهمُ

وكادَ أن يدرسوها في المحاريبِ

هَذا كِتَابي عَنْ كَمَالِ سَلامِةِ

هَذا كِتَابي عَنْ كَمَالِ سَلامِةِ

عِنْدِي وَحَالِ شَرْحِهَا في الجُمْلَةِ

همٌّ وإقتارٌ وعمرٌ ذاهبٌ

وَفِرَاقُ أوْطَانٍ وَفَقْدُ أحِبَّةِ

يا إخوتي وإذا صدقتُ فأنتمُ

منْ إخوةِ الأيَّامِ لا مِنْ إخوتي

بُعْداً لآمالي التي علَّقتُها

بكُمُ فجارَت في السبيلِ وضلتِ

أأغِيبُ عَنْ حَلَبٍ ثَلاثَةَ أشْهُرٍ

لمْ تكتبُوا فيها إليَّ بلفظةِ

حتَّى كأنِّي قدْ جنيتُ عليكمُ

ما أستحقُّ بهِ عظيمَ الجفوةِ

لا حرمةَ الآدابِ راعيتمْ ولا

حَقَّ الإخَاء وَلا ذِمَامَ الصُّحْبَةِ

وَكَأنَّني بكُمُ إذا لَفَّقْتُمُ

عُذْراً كَمِثْلِ الحَاجَةِ المَعْرُوفَةِ

قُلْتُمْ شُغِلْنَا بالحِصَارِ وَصَدَّنَا

ما كانَ بعدَكَ منْ معزِّ الدولةِ

وَصَدَقْتُمُ فَبِأيِّ حُكْمٍ صُدِّرَتْ

كُتُبُ التّجَارِ خِلالَ تِلكَ التَّوْبَةِ

أعجزتمُ عنْ مثلِ ما همُّوا بهِ؟

بُعداً لِمَنْ هُوَ دُونَهُمْ في الهِمَّةِ

طابَ التنصرُ منكمُ فتوقعُوا

بعدَ الصيامِ حديثَ معموديتي

لوْ شئتُ أهربُ مرةً منْ عندكمْ

ما كنتُ أقصدُ غيرَ قسطنطينيةِ

ولأكتبنَّ إذا نشطتُ إليكمُ

منْ دير أرمانوسَ بالروميةِ

يا ابنَ المقلدِ والكلامُ جميعهُ

عطفٌ عليكَ وأنتَ رأسُ الزمرةِ

أجلبتَّها وبرئتَ منْ تبعاتهَا

هذي فعالُ الشيخ والدَ مرةِ

بالله خَبِّرني لأيَّةِ عِلَّةٍ

أعْرَضْتَ عَنْ عَهْدِي لكُمْ وَوَصِيَتي

ألوصل مؤنسكَ الذي أحضرتهُ

وجعلتَ خدمتهُ برسم الخلوةِ؟

مَا هَكَذَا يَتَنَاصَفُ الخِلاَّنُ في

حكمِ المودةِ بينهمْ والخُلةِ

كنْ كيفَ شئتَ فإنَّ قربكَ بعدَهَا

حدُّ الرجاءِ وغايةُ الأمنيةِ

أمَا أخُوكَ أبُو العَلاء فَإنَّني

مَا زِلْتُ أعْرِفُ مِنْهُ لُؤمَ العِشْرَةِ

قدْ كنتُ أعدَمُ في الحضورِ سؤالهُ

عَنِّي فَكَيْفَ يَكُونُ عِنْدَ الغَيْبَةِ

ومتى يحنُّ ومَا يزالُ مرنحاً

في نشوةٍ ومطوحاً في سكرةِ

ولخلكَ الخمريِّ عذرٌ واضحٌ

عندِي فلستُ ألومهُ في الجفوةِ

والذنبُ لي فيما جناهُ فإنَّني

رمتُ المروءةَ منْ تجارِ الكوفةِ

وَمِنَ العَجَائِبِ أنْ يَكُونَ مُحَمَّدٌ

وهوَ القديمُ العهدِ بالقدموسةِ

ينسَى هوايَ فمَا أمرُّ ببالهِ

شُغْلاً بِتِلْكَ العُصْبَةِ السُّوقيَّة

يَا صَاحِبَ الخُفَّين قَدْ ذَهَبَا إلى

عِنْدَ المُبَارِزِ والشَّبابِ المُصْمَتِ

وَعَلَيْكَ أجْرُ الحِمْلِ فَأنْقُدُه فَمَا

فيهِ خلافٌ عندَ أهلِ القبلةِ

وَبحَقِ دِينَارٍ عَلَيْكَ فَإنَّهُ

إنْ كُنْتَ تَهْوَاهُ أجَلَّ إليَّةِ

أبلغْ أبَا الحسنِ السلامَ وقلْ لهُ

هَذَا الجَفَاء عَدَاوَةٌ للشِّيعة

فلأطرقنَّ بمَا صنعتَ مكابراً

وأبُثُّ ما لاقيْتُ مِنْكَ لنُكتةِ

وَلأجلسنَّكَ لِلْقَضِيَّةِ بَيْنَنَا

في يومِ عاشوراءَ بالشرقيةِ

حتَّى أثيرَ عليكَ منهَا فتنةً

تُنْسِيكَ يَوْمَ خَزَانَةِ الصُّوفِيَّةِ

دعْ ذَا وقلْ لي أنتَ يا ابنَ محسنِ

وَجَفَاء مِثْلِكَ مِنْ تَمَام المِحْنَةِ

كَانَتْ وزارتُكَ الَّتي دَبَّرْتَني

فيها كمثْلِ الخدمةِ الرحبيةِ

صاحَ الغرابُ بهَا ففرقَ شملَنا

قَدَرٌ رَمَتْ فِيهِ الخُطوُبُ فَاصْمَتِ

مَا كنَ حَقُّكَ أنْ تَمَلَّ وإنَّما

تَاريخُ وَصْلِكَ من حصارِ القَلْعَةِ

وَلَقَدْ ذكَرْتُكَ في عقابِ هِرَقْلَةٍ

وَجِبَال نِيقِيَّةٍ وَثَلْجِ الحِمَّةِ

وَصَدِيقُكَ الخبَّازُ مَشْغُولٌ عَلَى

أدبارِهِ بالقصةِ المكتومةِ

حَيْرَانُ يَطْلُبُ مَوْضِعاً يَخْلُو بِهِ

فيهِ وذلكَ منْ تمامِ المحنةِ

واقرَ السلامَ على الفقيهِ وقلْ لهُ

وهو العتادُ لدفعِ كلِّ ملمةِ

حاشاكَ أن تصفَ الودادَ وأهلهُ

ويكونَ حبكَ كلهُ بالقوةِ

مَا كَانَ ضَرَّكَ لَوْ بَعَثْتَ تَحِيَّةً

وكتبتَ خمسةَ أسطرٍ في رقعةِ

أبمِثْلِ هَذا يَخْصِبُ البُسْتَانُ أوْ

يَزْدَادُ حُسْنَ الدَّارِ في السَّهْلِيَّةِ؟

واعلمْ أبا الحسن الوكيلَ صديقهُ

حَمْدِي لِتلْكَ القِصَّةِ المشْكُورَةِ

وَوَقْفتَ مِنهُ عَلَى كِتَاب وَاحدٍ

تَاريخُهُ للنِّصْفِ مِنْ ذي القِعْدَةِ

فَوَجَدْتُهُ مُتَضَمِّناً ذِكْري بلا

خبرٍ أسكنُ منهُ بعضَ اللوعةِ

عملاً كبيراً أيْ بأنِّي سالك

طرقَ التجارةِ لازمٌ لمعيشتي

ما كنتُ أطلبُ منهُ إلاَّ ذكرَ أخبارِ

الجماعةِ دونَ حال البلدةِ

يَا قَوْمُ مَا بَالي تَقِلْتُ عَلَيْكُمُ

منْ بعدِ تلكَ النيةِ المحروسةِ

وَأظُنُّ شَوْقَكُمُ إليَّ كَأنَّهُ

شَوْقُ اليَهُودِ إلى زَمَانِ الفِتْنَةِ

شَاهَدْتُ بَعْدَكُمُ عَجَائب جَمّة

ورأيتُ كلَّ طريفةٍ وغريبةِ

ولقيتُ قوماً ما أبو الفضل بن

الأنباريِّ إلاَّ دونهمْ في الخسةِ

لو جَامِعٌ رُسُلَ المسيحِ إليهم

الإنجيلُ ما ذادُوهُمُ عنْ فريةِ

أتلُو الحديثَ عليهمُ فكأنَّني

قَدْ صِرْتُ مِنْهُمْ في خِطَابِ القُوَّةِ

أحلني الدهر لدى معشر

أحلني الدهر لدى معشر

باب النَّدى عِندَهُم مُرتَجُ

دارهم الدنيا لأنَّا بها

نَدْخُلُ صِفْراً وَكَذا نَخْرُجُ

أتَذْكُرُ فَخْرَا في قَبَائِلِ يَعْرُبٍ

أتَذْكُرُ فَخْرَا في قَبَائِلِ يَعْرُبٍ

وتنكرُ قاراً وهوَ أبلجُ واضحُ

وَيَوْمَ اللِّقا غَادَرْتُمُوها ذَمِيمَةً

يسيرُ بها حاد منَ العارِ صادحُ

وفي روضةِ السلانِ ثلتْ عروشكمْ

ذوابلُ في إيماننَا وصفائحُ

رَعَيْتُمْ هَشِيمَ الوَادِيَيْنَ وَبالرُّبَا

مراتعُ يهفُو نبتُها المتفاوحُ

إذا شنتِ الغاراتُ حطتْ بيوتكمْ

حذاراً ولمْ يسرحْ منَ البركِ سارحُ

رغتْ كلماتِي رغوةَ السقبِ فيكمُ

وَجَاشَتْ عَلَى مَا تَكْرَهُونَ القَرَائِحُ

وسالتْ بأبكارِ القوافي شعابهَا

عَلَيْكُمْ وَهُنَّ المُخْزِيَاتُ الفَوَاضِحُ

إذا أعجمتْ أطلالُ هندٍ على البلى

إذا أعجمتْ أطلالُ هندٍ على البلى

فَدَمْعُكَ في بَثِّ الغَرَام فَصيحُ

زِيَادٌ أرَاحَ اللَّيْلَ عَازبَ هَمِّهِ

وهمكَ لمْ يعذبْ فكيفَ يروحُ

أعرفتَ منْ عبق النسيم الفائح

أعرفتَ منْ عبق النسيم الفائح

خبرَ العذيبِ وبانهُ المتناوح

وَاقتَادَ طَرْفُكَ بَارق مَلَكَتْ بهِ

ريحُ الجَنُوبِ عَنَانَ أشْقَرَ رَامح

هَبَّ اخْتِلاساً في الدُّجا وَنُجُومُهُ

يَكْرَعْنَ مِنْ حَوْضِ الصَّبَاحِ الطَّافِحِ

وَالنِّسْرُ في أُفُقِ المَغَاربِ رَايَةٌ

تهفو بعاليةِ السماكِ الرامحِ

فَطَوَى حَوَاشِيهِ وَجَادَ بوَمْضَهِ

مِثْلَ الشَّرَارَةِ مِنْ زِنَادِ القَادِحِ

دَقَّت عَلَى لَمْحِ العُيُونِ وَمَا خَبَتْ

حتى تضرمَ في حشا وجوانح

بَعَثَ الغَرَامُ المُدْلِجِينَ تَوَسَّدُوا

أكْوَارَ عُوجٍ كَالقِسِيِّ طَلائِحِ

فترنحُوا فوقَ الرحال كأنَّما

هَزَّتْ قُدُودَهُمُ سُلافَةُ صَابِحِ

دَبَّ الكَرَى فِيْهِمْ فَمَوَّهَ زَوْرَة

خفيتْ على نظرِ الرقيبِ الكاشحِ

طَيْفٌ تَضُوعُ بِهِ الرِّياضُ ويدَّعي

خَطرَاتِهِ لمْعُ الصَّبَاحِ اللاَئِحِ

كيفَ اهتديتَ ودوننا مجهولةٌ

بَهْمَاءَ تَهْزَأُ مِنْ جَنَاحِ السَّارِحِ

وَالحَرَتَان وَجَمْرَة مَضْرُوبة

مشبوبةٌ بذوابلٍ وصفائحِ

ومثار قسطلةٍ وبيضُ صوارمٍ

ودلاصُ سابغةٍ وجردُ سوابحِ

مِنْ كُلِّ شَارِدَةٍ كَأَنَّ عِنَانَها

يعطيكَ سالفةَ الغزالِ السانحِ

ينفرنَ عنْ عذبِ النميرِ ولو جرَى

بدَمِ الطِّعَانِ وَرَدْنَ غَيْرَ قَوَامِحِ

مَا كُنْتَ تَبْذِلُ لِلْغَرِيبِ تَحِيَّةً

بُخْلاً فَكَيْفَ سَرَيْتَ نَحْوَ النَّازِحِ

ولعلَّ عطفكَ أنْ يعودَ بمثلها

بعدَ الرقادِ فربَّ يومٍ صالحِ

قدْ أصحبُ الدهرَ الأبيَّ قيادهُ

قَسْراً وَفَرَّجَ كُلَّ خَطْبٍ فَادِحِ

وَهَمَى بَنَانُ أبي المُتَوَّجِ بَعْدَما

نَسَخَ السَّمَاحَ وَعَزَّ صِدْقَ المَادِحِ

يُوفِي عَلَى طَلَبِ العُفَاةِ نَوَالُهُ

كَالْبَحْرِ يَغْرَقُ فِيهِ قَعْبَ المانِحِ

لَوْ رَاضَ نَافِرَةَ القُلُوبِ بِرَأيِهِ

سكنَ البغاثُ إلى هويِّ الجارحِ

ما جارَ عنْ سننِ العفاةِ نوالهُ

حتَّى يدلَّ عليهِ صوتُ النابحِ

مَغْنىً إذَا وَرَدَ الضِّيوفُ فَنَاءَهُ

وَجَدُوا قِرَى الثَّاوِي وَزَادَ الرَائِحِ

حلبَ العشارَ منَ النحورِ وزادَ عنْ

ألبانِها درَّ النجيعِ السافحِ

مُتَوَقِّدُ العَزَمَاتِ فَيَّاضُ النَّدَى

جذلانُ يبسمُ في الزمانِ الكالحِ

فرعتْ بهِ عوفُ بنُ مرةَ هضبةً

في المَجْدِ تَحْسِرُ كُلَّ طَرَفٍ طَامِحِ

قومٌ إذا رفعَ الصريخُ لغارةٍ

سَبَقَتْ إجَابَتُهُمْ نِدَاءَ الصَّائِحِ

وَإذَا رَبيعُ العَامِ صَوَّحَ نَبْتُهُ

وَجَرَتْ رِيَاحُ القَرِّ غَيْرَ لَوَاقِحِ

وَخَبَتْ بَوَارِقُهُ وَحَرَّمَ جَدْبُهُ

بَذْلَ القِرىَ وَأَبَاحَ عَقْرَ النَّاصِحِ

نصبُوا العماقَ الراسياتِ وأعجلُوا

نِيرَانَهَا بِعَقَائِرٍ وَذَبَائِحِ

كَرَمٌ تَوَارَثَهُ الأُكُفَّ وَحَلْبَةٌ

في الفضل يقرنُ مهرهَا بالقارح

يهفُو بأعطافِ الوليد مراحهُ

فإذا احتبَى فالهضبُ ليسَ براجح

سَبَقَ الكِرَامَ مُقَلَّدٌ في غَايَةٍ

جهدُ الجوادِ بها كعفو الرازح

وَجَرَى فَقَصَّرَ طَالِبُوهُ وَإِنَّمَا

ضَلُّوا عَلَى أثَرِ الطَّرِيْقِ الوَاضِح

يا جامعَ الآمال وهيَ بدائدٌ

شَتَّى وَرَائِضُ كُلَّ صَعْبٍ جَامِح

شَرَّفْتَ مِنْ أيْدِي عُلاكَ وَإِنَّمَا

عبقُ اللطيمةِ منْ بنان الفاتح

وحبوتَ ألقابَ الإمام نباهةً

وسواكَ طوقهَا بعارٍ فاضح

لوْ مَاثَلُوا اللَّفْظَيْن كُنْتَ برَغْمِهِ

سَعْدَ السُّعُودِ وَكَانَ سَعْدُ الذَّابح

مَا طَالَ قَدْرُكَ عَنْ مَدَاهُ وَإِنَّمَا

هزُّوا قناتَكَ باللواءِ الطائح

فاسلمْ لملكٍ أنتَ غربُ حسامهِ

الماضي وعبقةُ روضهِ المتفاوح

وفداكَ مغتصبُ الثراءِ جديدهُ

أخَذَ الرِّيَاسَةَ فَلْتَةً مِنْ مَازِح

نسبٌ كما جنَّ الظلامُ فلمْ يلحْ

لِلْمُدْلِجِينَ بِهِ ضِيَاءَ مَصَابِح

نَبَذْتُهُ دَوْلَتُهُ وَكَانْتَ رَوْضَةً

يَخْلُو الذُّبَابُ بهَا وَلَيسَ بِبَارِح

وتملّ مَا أهدَى إليكَ فإنَّها

نَظْمُ الشَّقِيق وَنَبْتُ فِكْرِ النّاصح

وسميرةُ النادي ومطلقةُ الجبا

وزميلةُ الساري وأنسُ الصادح

وَالبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ وَرُبَّمَا

كانتْ بواقي القول غيرَ صوالح

لِي رَاحَةٌ يَفْرُقُ مِنْهَا الغنى

لِي رَاحَةٌ يَفْرُقُ مِنْهَا الغنى

لأنَّ مَا ينزلها يُسْتَمَاحْ

لا بُدَّ أنْ أعمرَها بالغنى

فَطالَما أفقرتها بالسَّمَاحْ

أَبَى الله إلاَّ أنْ يَكُونَ لَكَ السَّعْدُ

أَبَى الله إلاَّ أنْ يَكُونَ لَكَ السَّعْدُ

فليسَ لِمَا تبغيهِ منعٌ ولا ردُّ

إذَا أَبَتْ الأَقْدَارُ أمْرَ قِسْرَتِهَا

عَلَيْهِ فَعَادَتْ وَهِيَ في نَيْلِهِ جُنْدُ

قَضَتْ حَلَبٌ مِيْعَادَهَا بَعْدَ مَطْلِهِ

وأطيبُ وصلٍ ما مضى قبلهُ صدُّ

ومَا كانتِ الورهاءُ أولَ غادةٍ

إذا رضيتْ لمْ يبقَ في قلبَها حقدُ

وَعَهْدِي بهَا بَيْضَاء حَتَّى وَرَدْتَها

وتربكَ محمرّ وجوكَ مسودُّ

تَهُزُّ لِواء الحَمْدِ حَوْلَكَ عُصْبَةٌ

إذا طلبُوا نالُوا وإنْ عقدُوا شدُّوا

وخطيةٌ سمرٌ وبيضٌ صوارمٌ

وَضَافِيَةَ زَعْفُ وَصَافِنَةُ جُرْدُ

فَحَارَتْ عُيُونُ النَّاظِرِينَ وَأظْلَمَتْ

وجُوهُ رجَالٍ مِثْلُ إعْرَاضَهَا رُبْدُ

رَأوكَ فَخَافُوا مِنْ ضِبَاكَ وَمِثْلُهُمْ

يعز عليهَا أنْ يذلَّ بهَا خدُّ

وَقَدْ آمَنُوا بِالمُعْجِزَاتِ الَّتِي طَرَتْ

عَلَيْهِمْ وَلَكِنْ بَعْدَ مَا فَتَحَ السَّدُ

لَحَا الله قَوْمَاً أسْلَمُوا بَيْتَ جَارِهِمْ

وَقَدْ عَلِقَتْهُ في مَخَالِبهَا الأسَدُ

رَمُوا حَلَبَاً مِنْ بَعْدِ مَا عَزَّ أهْلَهَا

عهودُ أكفٍّ مَا لهَا بالنَّدى عهدُ

لِئَامُ السَّجَايَا لا وَفَاءَ ولا قِرى

فلا غدرهمْ يخفى ولا نارهمْ تبدُو

مَضُوا يَحْمِدُونَ البُعْدُ في الذَّبِّ عَنْهُم

ومَا الذلُّ إلاَّ حيثُ يحميهمُ البعدُ

وَقَدْ ثَبَتُوا حَتَّى طَلَعَتْ عَلَيهم

كمَا قابلتْ شمسَ الضحى الأعينُ الرمدُ

فَإنْ تَفْعَل المَعْرُوفَ فِيهم فَقَدْ مَضَتْ

مَوَاهِبُ لا أجْرٌ عَلَيْهَا وَلا حَمْدُ

وَإنْ عُوتِبُوا بالمُرْهَفَاتِ فَطَالَمَا

أصَاخَ لَهَا الغَاوِي وَبَانَ بِهَا الرُّشْدُ

ولمَّا استقلتْ بالفرار حمولهمْ

ولمْ يبقَ هزلٌ للطعان ولا جدُّ

أتوكَ يعدونَ القديمَ ولوْ وفُوا

بعهدهِمُ فيهِ لكانوا كما عدُّوا

وَلَكِنَّهُم رَامُوا عَلَى المَكْرِ غَايَةً

أبَى الله إلاَّ أنْ يُقَصِّرَها عَبْدُ

فَمَا سَلَّمُوا بالمَسْلَمِيَّةَ عِنْدَهُم

ولاَ وافقَ السعديُّ عندهمُ سعدُ

أفَادَتْكَ في سَفْحِ المَضِيقِ فَوَارِسٌ

طوالُ الموالي لا لئامٌ ولا نكدُ

ولا ظفروا من عند قيس بنصرة

وَالأم خطبان يكون لها عندُ

أبَا حَازِمَ مَا أسْلَمتْكَ ربيعة

وبينكم عهد يراعى ولا وُدُّ

وكيفَ يفوتُ الذلُّ منَّا ومنهمُ

وَسُمْرُهُم لُدْن وَالسُّنُنَا لُدُّ

ومَا كانَ يومُ المرجِ منكَ غريبهُ

ولا لكَ منْ فعلٍ تلامُ بهِ بدُّ

وَقَوْمٌ رَمُوا عِرْضِيَ وَلَوْ شِئْتَ كَانَ لِيَ

مِنْ الدَّمِّ حَادِ في جمائلِهم يَحْدُو

وما العارُ إلاَّ أنْ بين بيوتهمْ

أحَاديثُ ما فِيهَا نِزَاعٌ وَلا جَحْدُ

مَحَا السَّيْفَ مَا قَالوا وَرُبَّ نَسِيبَةٍ

مِنَ القَوْلِ وَقَّاهَا طِعَانُكُمُ النَّقْدُ

وَعِنْدِي إذَا عَزَّ الكَلامَ غَرَائِبٌ

هيَ الغلُّ عندَ السامعينَ أو العقدُ

وكيدُ على الأعداءِ يرمي زنادهُ

لواذعَ ما فيها سلامٌ ولا بردُ

أبَا سابقٍ ما أنزلَ الله نصرهُ

عَلى فِئَةٍ إلاَّ وَأنْتَ لهَا رَدُّ

هنيئاً لكَ الملكُ الذي نلتَ حقهُ

بسمرِ العوالي لا تراثٌ ولا رفدُ

لكَ النسبُ السامي على كلِّ منصبٍ

وَقَدْرُكَ أعْلَى مِنْ نِزَارٍ وَمِنْ أدُّ

وَقَدْ وَفَّقَ الله الأنَامَ لِفِكْرَةٍ

تيقنَ فيهَا أنكَ السيفُ والعضدُ

دعا التركَ أقوامٌ فكانَ عليهمُ

نِكَالاً ألا لله مَا صَنَعَ الجَدُّ

ولوْ وفقُوا كنتمْ جميعاً على العدَى

ودافعَ دونَ الغيلِ ذا الأسدُ الوردُ

ولكنهمْ أصغُوا إلى قولِ كاشحٍ

يَرُوحُ عَلَيْهِم بِالنَّمِيْمَةِ أوْ يَغْدُوا

فإنْ ظهرتْ فيهمْ عواقبُ رأيهِ

فَقَدْ يُؤَخَذُ المَوْلى بِمَا صنَعَ العَبْدُ

وإنْ جنحوا للسلمِ راعيتَ فيهمُ

أواصرَ يأبَى أنْ يضيعَها المجدُ

وَمَا السِّلْمُ إلاَّ فُرْصَةً لِمُحَاربٍ

لهُ كلُّ يومٍ شلة منكَ أو طردُ

بقيتَ فلي منْ حسنِ رأيكَ نعمةٌ

هيَ العزةُ القعساءُ والعيشةُ الرغدُ

وَدُوْنَكَ مِنْ نَصرٍ حُسَامُ بَلْوَتهُ

فَبَانَ شِبَاهُ حِيْنَ فَارَقَهُ الغِمْدُ

مَا لي أراكَ على قلاكَ تناكرتْ

مَا لي أراكَ على قلاكَ تناكرتْ

أحقادُها وتسالمتْ أضدادُها

وَتَجَاذَبَتْهَا إمْرَةً لولا التُّقَى

عَزَّتْ وَقَصَّرَ دونَها قُصَّادُهَا

إنْ يَحْسِدُوكَ عَلَى عُلوِّكَ عَنْهُمْ

فَدَلِيْلُ كُلِّ فَضِيْلَةٍ حُسَّادُهَا

يَا أمَّةً كَفَرَتْ وَفِي أفْوَاهِهَا القُرآنُ

فِيْهِ ضَلالُهَا ورشادُها

أعْلَى المَنَابِرَ تَلْعَنُونَ نَسِيْبَهُ

وَبِسَيْفِهِ نُصِبَتْ لكُمْ أعوَادُهَا

تِلْكَ الضَّغَائِنُ لَمْ تَزَلْ بَدريَّةً

قتلَ الحسينُ وما خبتْ أحقادُها

وَالله لولا تَيْمُهَا وَعَدِيُّهَا

فرق الخِلافَ يَزيدُها وَزِيَادُهَا

ضربتكمُ في كربلاء صوارمٌ

يَومَ السَّقِيْفَة مُزِّقَتْ أغْمَادُهَا

طلبتْ ذحولُ الشركِ فيكمْ بعدَها

خُبَّتْ غَوَارِبُهَا وَثُلَّ عِمَادُهَا

وَبَدَتْ عَلى زُرْق الأسِنَّةِ هَامُكُمْ

مَشْهُورَة أفَلا تَمِيدُ صِعَادُها

يَا دِمْنَةً في الطُّلُولِ دَارِسَةً

يَا دِمْنَةً في الطُّلُولِ دَارِسَةً

أضيعُ ما كنتُ حينَ أنشدهَا

وَيْلاه كَمْ زَفْرَةٍ أُرَدِّدُهَا

فِيْكِ وَكَمْ عَبْرَةٍ أُبَدِّدُهَا

أمَّا الشُّرَيْفُ مِنْ الغَضَا فَبَعِيْدُ

أمَّا الشُّرَيْفُ مِنْ الغَضَا فَبَعِيْدُ

لَوْلا الرَّكَائِبُ وَالدُّجَا وَالبيدُ

وَضَوَامِرٌ غَلَبَتْ عَلَى صَهَوَاتِهَا

شُعثٌ تَطُولُ مَع القَنَا وَتَمِيْدُ

يا سائقَ الأظعانِ أيُّ لبانةٍ

بِالنَّعْفِ تَنْشُدُهَا المَهَارِيَ القُودُ

عزتْ على سومِ الغرامِ فما درَى

ولغُ النسيمِ بها ولا التغريدُ

وعلى الثنيةِ منْ تبالةَ موعدٌ

عَقَمَتْ بِهِ الآمَالُ وَهِيَ وَلُودُ

ومهونٍ للوجدِ يحسبُ أنَّها

يومَ العذيبِ مدامعٌ وخدودُ

سَلْ بَانَةَ الوَادِي فَلَيْسَ يَفُوتُهَا

خبرٌ يطولُ بهِ الجوى ويزيدُ

وانشدْ معي ضوء الصباح وقلْ لهُ

كَمْ تَسْتَطِيل بِهِ اللَّيَالي السُّودُ

وإذا هبطتَ الواديين وفيهمَا

دمنٌ حبسنَ على البلى وعهودُ

وَاخْدَعْ فُؤَادِي في الخَليطِ لعَلَّهُ

يهفو على آثارهمْ ويعودُ

أصبابةٌ بالجزع بعدَ سويقةٍ

شغلٌ لعمركَ يا أميمُ جديدُ

ومطوح ركبَ الخطيَّ بعزمةٍ

هبتْ وساريةُ النجومِ هجودُ

ذعروا الدجى فتناثرتْ منْ جيدهِ

نحوَ الصباحِ قلائدٌ وعقودُ

عَرِّجْ عَلَى الحَّي الدَّمِيمِ فَدُونَهُ

بخلٌ يصدُّ عن القِرى ويذودُ

إنَّ الَّذِينَ يَعِزُّ طَالِبُ رَفْدِهِمْ

بَشَرٌ يُضَيَّعُ لَمْعُهُ وَرُعُودُ

لي في بيوتهمُ القصارُ أوابدٌ

معقولةٌ باللؤمِ وهيَ شرودُ

وَمُطَلَّحَاتٍ يَنْتَجِعْنَ مَوَارداً

آلُ الظهيرةِ قبلهَا موروثُ

حَوَّلن في طلبِ العُلا فَتَقَاعَسَتْ

عَنْهُنَّ أيْدٍ بالنَّوَالِ جُمُودُ

وأصابهَا السلميُّ نشدةَ باخلٍ

شَنْعَاءَ طائِرُ ذِكْرِهَا غِرِّيدُ

يا ابنَ اللئيمةِ لستَ منْ أكفائها

فَارْجِع فَإِنَّكَ بالثَّرَاءِ عَمِيْدُ

النَّارُ مَطْلُولٌ لَدَيْكَ مَعَ النَّدَى

سَيَّانَ وَعْدٌ كَاذِبٌ وَوَعِيْدُ

أتركتَ سرحكَ بالجزيرةِ مهملاً

وعجبتَ حينَ عدَا عليهِ السيدُ

لَوْ أنَّ قَوْمَكَ مِن كِنَانَةَ أشْرَعَتْ

أيْدٍ يَطُولُ بهَا القَنَا وَالجُودُ

قومٌ يلوحُ لهمْ على عليائهمْ

قَبْلَ اللِّقَاءِ دَلائِلٌ وَشُهُودُ

فاللامعاتُ أسنةٌ وأسرة

والمائساتُ ذوابلٌ وقدودُ

هبُّوا إلى المجدِ الرفيعِ فأحرزُوا

قصباتهِ وبنُو الزمانِ رقودُ

وبنتْ لهمْ أحسابهُمْ وسيوفهُمْ

بيتاً عمودُ الصبح فيهِ عمودُ

جادُوا وأندية ُ الغمامِ بخيلة ُ

وجروا وشاردة ُ الرياح ركودُ

منْ دينهمْ أنَّ السماحَ عليهمُ

فَرْضُ وَإنَّ الرَافِدَ المَرْفُودُ

حيٌّ تَنَاسَبَ في العُلا فَأُصُولهُ

أغصانهُ والوالدُ المولودُ

إنْ قَصَّرُوا عَنْ غَايَةِ ابن مُقَلَّدٍ

فَمِنَ الأرَاكَةِ غُصْنُهَا الأمْلُودُ

شَأوٍ يَفُوتُ طُلاَّبُهُم غَلَوَاؤهُ

إنَّ البعيدَ عليهمُ لبعيدُ

لولاهُ ما عرفَ النوالُ ولمْ تكنْ

تدري الغمامُ الغرُّ كيفَ تجودُ

وعفَا الثناء منَ الزمانِ وأهلهِ

فتشابهَ المذمومُ والمحمودُ

شرفاً بني الأجدادِ يعدمُ أمسكَ الـ

ـماضي فيخلفُ يومكَ الموجودُ

وعلاً أبا حسنٍ فرهطكَ رمحُهَا

ـحُهَا العَالِي وَأنتَ لِوَاؤُهُ المَعْقُودُ

إنْ لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَكَ نِسْبَة ً

قَرُبَتْ فَإنِّي مِنَكُمْ مَعْدُودُ

لِي فِيْكَ مِنْ فَقْرِ الكَلامِ غَرَائِبٌ

يُثني عليها الدهرُ وهوَ حسودُ

لولا هواك لطالَ عنْ تثقيفهَا

قدري ولوْ أنَّ النجومَ قصيدُ

ولعزَّ عنْ طوع القيادِ زمامُهَا

لو أنَّ غَيْرَكَ كُفْؤها المَقْصُودُ

أعْرَضَتْ عَنْ دُلِّ الطُّلابِ وَرُبَمَا

وجدَ المريحُ وأخفقَ المكدودُ

وَسَكَنْتَ في ظِلِّ النَزَاهَةَ فَلْيُصَنْ

مالَ البخيلِ رتاجهُ المسدودُ

وَإِذَا وَجَدْتَ العَيْشَ يَعْقِبُ صَفْوُهُ

كَدراً فَإنَّ شَقِيَّهُ لَسَعِيدُ

العمرُ حلمٌ والليالي قلبٌ

وَالبُخْلُ فَقْرٌ وَالثَّنَاءَ خُلُودُ

أرَأَيْتَ مِنْ دَاء الصَّبَابَةِ عَائِدَاً

أرَأَيْتَ مِنْ دَاء الصَّبَابَةِ عَائِدَاً

وَوَجَدتَ في شَكْوَى الغَرَامِ مُسَاعِدَا

أمْ كنتَ تذكرُ بالوفاءِ عصابةً

حَتَّى بَلَوْتَهُمُ فَلَم تَرَ وَاحِدَا

تَركُوكَ واللَّيلُ الطَّويلَ وَعِنْدَهُمْ

سحرٌ يردُّ لكَ الرقادَ الشاردَا

وَكأنَّما كانَتْ عُهُودُكَ فِيهِمُ

دمناً حبسنَ على البلى ومعاهدَا

يا صاحبي ومتى نشدتُ محافظاً

في الوُدِّ لَمْ أزلِ المُعنَّى النَّاشِدَا

أعددتُ بعدكَ للملامةِ وقرة

وذخرتُ بعدكَ للصبابةِ شاهدَا

وَرَجَوْتُ فِيْكَ عَلَى النَّوائِبِ نُصرَةً

فلقيتُ منكَ نوائباً وشدائدَا

أمَّا الخيالُ فمَا نكرتُ صدودهُ

عنِّي وهلْ يصلُ الخيالُ الساهدَا

سارٍ تيممَ جوشناً منْ حاجرٍ

مَرْمَى كمَا حَكَمَ النَّوَى مُتَبَاعِدَا

كيفَ اهتديتَ لهُ ودونَ منالهِ

خرق تجوز بهِ الرياحُ قواصدَا

ما قصرتْ بكَ في الزيارةِ نيةٌ

لَوْ كنتَ تَطْرُقُ فِيْهِ جَفْنَاً رَاقِدَا

عجبتْ لإخفاق الرجاءِ وما درت

أني ضربتُ بهِ حديداً باردَا

مَا كَانَ يُمْطِرُهُ الجَهَامُ سَحَائباً

تروي ولا يجدُ السرابَ مواردَا

وَإِذَا بَعَثْتُ إلى السَّبَاخ برَائدٍ

تَبْغَي الرِّيَاضَ فَقَدْ ظَلَمتَ الرَّائِدَا

منْ مبلغُ اللؤماءِ أنَّ مطامعي

صارتْ حديثاً فيهمُ وقصائدَا

رَكَدَتْ عَلَى أعْرَاضِهِم وَهِي التي

تطوي البلادَ شواردا ورواكدَا

مَالي أجَاذِبُ كُلَّ وَقتٍ مُعْرِضَاً

مِنْهُمْ وَأُصْلِحُ كُلَّ يَومٍ فَاسِدَا

وَأُقِيْمَ سُوقَ المَجْدِ في نَادِيهم

حتى أنفقَ فيهِ فضلاً كاسدَا

خطلٌ منَ الطبع الذميمِ وضلةٌ

في الرأي ما وجدتْ دليلاً راشدَا

أرأيتَ أضيعَ منْ كريمٍ راغبٍ

يدعُو لخلتهِ لئيماً زاهدَا

ومعرسٍ بركابهِ في منزلٍ

يَلْقَى الصَّدِيقَ بهِ عَدُواً حَاسِداً

عكسَ الأنامُ فإنْ سمعتَ بناقصٍ

فاعلمْ بأنَّ لديهِ حظاً زائدَا

وَتَفَاوُتُ الأرْزَاق أوْجَبَ فِيهِمُ

أنْ يجعلوهُ مصالحاً ومفاسدَا

وَمُعَدِّد في الفَخْرِ طَارفَ مَالِهِ

حتَّى تلوتَ عليهِ مجداً تالدَا

طوقتهُ بأوابدِي ولطالما

أهْدَيْتُ أغْلاَلاً بهَا وَقلائدا

مهْلاً فَإنَّكَ مَا تَعُدُّ مُبَارَكاً

خَالاً وَلا تَدْعُو سِنَانَا وَالِدَا

أهْلُ الشُّعورِ إذَا تُلِمُّ مُلِمَّةٌ

بَسَطُوا رِمَاحاً دُونَها وَسَواعِدا

وَأولُوا التُّقَى فَإذَا مَرَرْتَ عَلَيْهِمُ

لَمْ تَلْقَ إلاَّ مُكرِماً وَمُجَاهِداً

إن حَارَبُوا مَلأوا البِّلادَ مَصَارِعاً

أوْ سالموا عمرُوا الديارَ مساجدَا

هَيْهَاتَ مَا تَرِدُ المَطَالِبُ نَائِماً

عنها ولا تصلُ الكواكبُ قاعدَا

وَلَرُبَّ مَلْكٍ تَقَفُوا مِنْ مَيْلِهِ

حَتَّى أقَامُوا فِيْهِ قَدَّاً عَائِداً

مَا كانَ جارهمُ كجالكَ مسلمَا

يوماً وزندهمُ كزندكَ خامدَا

بيتُ لهُ النسبُ الجليُّ وغيرهُ

دعوى تريدُ أدلةً وشواهدَا

أبَا حَسَنٍ كَمْ ألومُ الفِرَاقَ

أبَا حَسَنٍ كَمْ ألومُ الفِرَاقَ

وَحَظِّيَ يُوجِبُ أنْ يَبْعُدَا

وكمْ أمطلُ النومَ حتَّى أراكَ

وأمنعَ عينيَ أنْ ترقدَا

فَقَدْ صَارَ لِي فَيْهِمَا عَادَةً

تعلمُ نوميَ أنْ يشردَا

عَذِيرِي مِنَ الرُّوم جَارَ الفِرَاقُ

عليَّ بحكمٍ لهُ واعتدَى

دَعَوْتُكَ مِنْ أرْضِهِمْ عَانِيَا

فَنَاهَلْتنِي ذلِكَ المَوْرِدَا

وَأوْثقْتَ نَفْسَكَ خرْصَاً عَليَّ

عليَّ حتَّى عدمتُ بأنْ أوجدَا

فَلا كَانَ وَعْدُهُم مَا أغَثَّ

فِيهِ المِطَالُ وَمَا أبْرَدَا

لعلَّ مقامكَ هذا الطويلَ

يكونُ لحينهمُ موعدَا

فيخرجُ بطريكهمُ مسلماً

وَيَجْعَلُ قُسّاً بِهِمْ مَسْجِدَا

فيعلمُ حازمهمُ أنهمْ

أثَارُوا بِكَ الأسَدَ المُلْبَدَا

وإنكَ قد جئتهمْ مصلحاً

فكنتَ بجهلهمُ مفسدَا

فإنْ طلبُوا منكَ عودَ البلادِ

فَقَدْ لَحِقَ الأقْرَبُ الأبْعَدَا

وإنْ حاولُوا بكَ سيرَ الجراحِ

فَقَدْ شَرَعَتْ فِي العِظَامِ المَدَى

وَخُبِّرْتَ قَوْمَكَ ظنُّوا ثَوَاكَ

عندهمُ أبداً سرمدَا

فَأسْرَفَ إذْلالُهُم فِي الجَفَا

وَجَاءَ يَفُوقُ الذِي عَوَّدا

وإنْ لمْ تكنْ صافحاً عنهمُ

فَمِنْ أيْنَ صِرْتَ لَهُمْ سَيِّدا

أبوكَ أبوهمْ ولولا الضيَا

ء ما فضلَ القمرُ الفرقدَا

لكَ الخَيْرَ عِنْدِي دَاءَ مَرضْتُ

فكنتُ أكاتمهُ العودَا

وفنٌّ منَ الوجدِ ما أستعينُ

بغيركَ منْ جودهِ مسعدَا

أُريْدُ لأكْتَم وَالوَاسِطيُّ

يفضحهُ كلمَا غردَا

نَدِمْتُ كَمَا نَدِمَ البُحْتُريُّ

وَزِدْتُ عَلَيْهِ بِبُعْدِ المَدَى

فَدُونَ هَوَايَ فَلاً لو سَرَى

نَسِيْمُ الرِّيَاح بِهِ مَا اهْتَدَى

فَهَل عِنْدَ رَأيكَ مِنْ حِيْلَةٍ

تُعِيْن بِهَا هَائِماً مُفْرَدَا

فقدْ طالمَا أنقذتني يداكَ

وَقَدْ عَلِقَتْني حِبَالُ الرَّدَى

وحملتَ مالكَ ما لا يطاقُ

فَكُنْتَ عَلَى عُسْرِهِ أحْمَدا

ووالله لا شمتُ غيثاً سواكَ

فَإمَّا نَدَاكَ وَإمَّا الصَّدَى

هَلْ تَعْرِفُونَ لنَا فِي قُرْبِكُمْ رَشَداً

هَلْ تَعْرِفُونَ لنَا فِي قُرْبِكُمْ رَشَداً

أوْ تَعْلَمُونَ بِمَا أوْلَيْتُم حَسَدَا

لا أرْقَأ الله دَمْعَاً فَاضَ بَعْدَكُمُ

وَلا أعَادَ رُقَاداً فِيْكُمْ فُقِدَا

ما يكفرُ العيشَ نعماهَا يبعدكمُ

عنَّا فإنَّ لهَا عندَ الكرامِ يدَا

وردتُ منْ بردي ماء ما نقعتُ بهِ

منَ الصبابةِ قلباً عنكمُ بُردَا

وصارَ كلُّ قبيحٍ فيكمُ حسناً

لمَّا أفادَ على هجرانكُمْ جلَدا

لوْ كنتُ مثلكُم جازيتُ فعلكمُ

فَمَا أطَلْتُ لِسَاناً دُوْنَكُمْ وَيَدا

وكانَ أيسرُ ما عندِي لغدركمُ

أنْ لا أعودَ إلى ناديكمُ أبدَا

فَإنْ وَجَدْتُمْ كَمَا أوْجَدْتُمْ بَدلاً

فليرضَ كلُّ امرىءٍ منَّا بمَا وجَدَا

وَمَا ألُومَكُم أنْ تَبْلُغُوا حَلَباً

بأننَا قدْ رضينَا جلقاً بلدَا

وقدْ تعلمتُ سوءَ الظنِّ عندكمُ

فَمَا أؤمِّلُ يَوماً بَعْدَكُمْ أحَدا

بحَيَاةِ زَيْنَبَ يَا ابْنَ عَبْدِ الوَاحِدِ

بحَيَاةِ زَيْنَبَ يَا ابْنَ عَبْدِ الوَاحِدِ

وَبحَقِ كُلِّ بُنَيَّةٍ فِي نَاهِدِ

مَا صَارَ عِنْدَكَ رَوْشَنُ ابن مُحَسِّنٍ

فيما يقولُ الناسُ أعدلَ شاهدِ

نَسَخَ النَّعَاقُلَ مِنْهُ خَلْطُ عَمَارَةٍ

وافاهُ في هذا الزمانِ البارِدِ

غَرُبَتْ خَلائِقُكَ الحِسَانُ غَرِيْبَةً

غَرُبَتْ خَلائِقُكَ الحِسَانُ غَرِيْبَةً

ورمى الزمانُ دنوهَا ببعادِ

ذَهَبَتْ كَمَا ذَهَبَ الرَّبِيْعُ وَخَلَّفَتْ

قيظَ المقيلِ حرارةُ الأكبادِ

وبعيدةٍ سمحَ الخيالُ بقربهَا

وبعيدةٍ سمحَ الخيالُ بقربهَا

حَتَّى دَنَتْ فَبحَمْدِهِ لا حَمْدِهَا

مَالَتْ مَعَ الوَاشِي وَمَاسَ قَوَامُهَا

فَرَأَيْتُ لي عُهُودِهَا فِي قَدِّهَا

قافية الراء شَرُفْتَ بنَظْمِ مَدِيحِكَ الفِكَرُ

قافية الراء شَرُفَتْ بنَظْمِ مَدِيحِكَ الفِكَرُ

وتجملتْ بحديثِكَ السيرُ

آثارُ جودكَ غيرُ خافيةٍ

لا البَحْرُ يُنْكِرُهَا وَلا المَطَرُ

ولسعدِ جدكَ في الوغى عبرٌ

إنْ كَانَتِ الألْبَابُ تَعْتَبِرُ

أيْنَ الذِيْنَ ببُعْدِهِمْ أمِنُوا

وَلَرُبَّ أمنٍ كُلُّهُ حَذَرُ

أضمرتَ عزماً في طلابهمُ

فمضى يسابقُ سَيْفَكَ القَدَرُ

فكأنمَا خافتْ نوائبهُ

منْ جيشِ عفوكَ حينَ تقتدرُ

فَأَتَتْهُمْ هَوْجَاءَ خَابِطَةٌ

كالموتِ لا تبقي ولا تذرُ

تفري وبيضُ ظباكَ مغمدة

كُلٌّ لَعَمْرَكَ صَارِمٌ ذكَرُ

مَا يَصْنَعُونَ وفي ذَوَابِلِها

طُولٌ وَفِي أعْمَارِهِم قِصَرُ

سلْ جلقاً عنهمْ وما صنعتْ

بهمْ وَعِنْدَ جُهَيْنَةَ الخَبَرُ

ومطوحٌ عنهَا يراقُ لهُ

فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ دَمٌ هَدَرُ

ترمي البلادُ بهِ معودة

أنْ لا يقصُّ وراءها أثرُ

أنزلتهَا جاراً وتتركهَا

هَرَباً لِبَئس الوَرْدُ والصَّدَرُ

وَمِنَ الشَّقَاءِ نَأيْتَ عَنْ نَفَرٍ

أرْدَاكَ جَدُّهُمْ وَمَا شَعَرُوا

ولقدْ سألتهمُ فمَا بخلُوا

وَعَاقَلْتَ عَهْدَهُمُ فَمَا غَدَرُوا

وبنُوا لبيتكَ إنْ فخرتَ بهِ

عَلْيَاءَ يَحْسُرُ دُونَهَا البَصَرُ

غَلَبَ المُلوكُ عَلَى مَعَاقِلِهَا

أسدٌ إمام طلابهِ الظفرُ

ألقى علَى الشهباءِ كلكلهُ

وَلَهُ بكُلِّ ثَنِيَّةٍ ظفَرُ

وعلا النجومَ فظنَّ حاسدهُ

أنْ السَّمَاءَ إلَيْهِ تَنْحَدِرُ

خَلصَتْ بهِ الدُّنْيَا وَمَا عُرِفَتْ

إلا وَفِيْهَا النَّفْعُ وَالضَّرَرُ

وجلتْ قذى الأيامِ دولتهُ

وَلِكُلِ صَفْوٍ دُونَها كَدَرُ

شَهدَت رِيَاضَتَهُ حَوَادِثُهَا

إنَّ الزمانَ إليهِ مفتقرُ

فَكَأنَّمَا آلتْ مَوَاهِبُهُ

أنْ لا يفوتَ مؤملاً وطرُ

عَجَباً لِمَغْرُورٍ وَقَدْ ظَهَرَتْ

لسيوفكَ الآياتُ والنذرُ

ومعرضٍ لقناكَ ثغرتهُ

منْ بعدِمَا شقيتْ بهِ الثغرُ

لعبَ الرجاءُ بفضلِ عزتهِ

وَلَهَتْ بِعَازِبِ لُبِّهِ الفِكَرُ

ومنَ المدى ما دونهُ أمدٌ

لا يَسْتَقِلُّ بِمِثْلِهِ العُمُرُ

وإذا تدبرتِ النجومُ فلا

سهمٌ ولا قوسٌ ولا وترٌ

غُرَّتْ عَقِيلاً هَفْوَة عَرَضَتْ

يصحُو الزمانُ لهَا ويعتذرُ

خَافَ الكَمَال عَلى عُلاكَ بهَا

ومنَ الكمالِ يحاذرُ القمرُ

لا تَغْفَلُوا عَنْهَا فَإِنَّهُمُ

يَدْرُونَ أيَّ فَوَارِسٍ وَتَرُوا

يا ابنَ الأُلى فخرتْ بجودهمُ

مضرٌ وما أدراكَ ما مضرُ

يكفيكَ نصراً منهمُ نسباً

مَعْنى عَلى المُدَّاحَ مُخْتَصَرُ

أهونْ بشعري بعدَ ما سبقتْ

مدحِي إليكَ ذرائعٌ أخرُ

ودع القوافي السائراتِ ولوْ

كَانَتْ نُجُوماً قِيْلَ تَسْتَتِرُ

فلطالمَا فاضتْ يداكَ على

قَوْمٍ وَمَا نَظمُوا ولا نَثَرُوا

مَا أخَّرَتْنِي عَنْهُمْ قَدَمٌ

لوْ كانَ فيَّ وفيهمُ نظرُ

لكنهُ قدرٌ رضيتُ بهِ

قَسْراً وَكَيْفَ يُغَالَبُ القَدَرُ

بيني وبينَ الحظِّ داجيةٌ

عمياء لا نجمٌ ولا سحرُ

لا يهتدي فيهَا ولوْ طلعتْ

مِنْ أُفْقِهَا أخْلاقُكَ الغُرَرُ

وَأرَى وَحَاشَاكَ الكِرَامُ وَمَا

لي عندهمْ ظلٌّ ولا ثمرُ

لوْ أنني نبهتُ في وطرٍ

عمراً لماتَ منَ الكرَى عمرُ

نَصَحْتُكَ فَافْعَل كُلَّ خَيْرٍ لِحُسْنِهِ

نَصَحْتُكَ فَافْعَل كُلَّ خَيْرٍ لِحُسْنِهِ

وإنْ لمْ يكنْ فيهِ ثناءٌ ولا أجرُ

تكنْ لبني حواءَ حرباً فإنَّما

وَفَاؤُهُمْ غَدْرٌ وَوَصْلُهُم هَجْرُ

فَقَدْ وُعِظُوا لوْ يَنْفَعُ الوَعْظُ فِيْهِمْ

وهيهاتَ ما صمَّ الجنادلُ والزجرُ

رضيتُ على علمي بجهلٍ حكيتهُ

وربَّ ظلامٍ لا يحبَّ لهُ فجرُ

وَإِنْ دَبَّرَ الأيَامَ مِنْ عَدِمَ النُّهى

فَإنَّ عَلَى حكَّامِهِمْ يجبُ الحَجْرُ

السَّيْفَ منتقِمٌ وَالجَدّ مُعْتَذِرُ

السَّيْفَ منتقِمٌ وَالجَدّ مُعْتَذِرُ

وَمَا عَلَيْكَ إذَا لَمْ يُسْعِدِ القَدَرُ

وإنْ دجت ليلةً في الدهر واحدة

فَطَالمَا أشْرَقَتْ ايَّامُهُ الأُخَرُ

وما شكونا ظلاماً منْ غياهبها

حتى تطلعَ في أثنائهِ القمرُ

ولا ينالُ كسوفُ الشمس طلعتَها

وَإنَّمَا هُو فِيْمَا يَزْعُمُ البَصَرُ

وَهَلْ عَلَى البَطَلِ الحَامِي حَقِيْقَتَهُ عَارٌ

إذا جبنَ الأعداءَ أو غدروا

أمَّا الكِرَامُ فَقَدْ أبْلَى وَفَاؤهُمُ

علَى البحيرةِ ما لمْ يبلهِ الظفرُ

مَا ضَرَّهُم وَالعَوَالي في نُحُورِهِمُ

تعفُوا الكلومُ وتبقى هذهِ السيرُ

لاذُوا بسَيْفِكَ حَتَّى خَالَ دُونَهُمُ

مُجَرَّبٌ فِي دِفَاعِ الخَطْبِ مُخْتَبَرُ

مِنْ السِّيُوفِ التِي لوْلا مَضَارِبُهَا

ما كانَ للدين لا عينٌ ولا أثرُ

هِنْدِيَّةٌ وبَنُو حَمْدَانَ رُقْقَتُهَا

لقدْ تخيرتِ الأحسابُ والزبرُ

وَمُكَبرين صَغِيْراً مِنْ عُقُولِهم

لَمْ يَرْكَبُوا الخَيْلَ إلا بَعْدَمَا كَبروا

أخفُوا بكيدهمُ غدراً فما عبأتْ

سمرُ الرماح بمَا همتْ بهِ الإبرُ

لا تَعْجَلوا فَعَلَى أطْرافِهَا خَلَفٌ

ترجى عواقبهُ فيكمْ وتنتظرُ

أثرتمُ أسداً تدمى أظافرهُ

طَيَّانَ لا عَصَرٌ مِنْهُ ولا وَزَرُ

حَذَارِ أنْ تَسْتَزِنَّ الحُلمَ غَضْبَتُهُ

إنْ كَانَ يَنْفَعُ عِنْدَ الخَائِنِ الحَذَرُ

جَرَّبْتُمُوهُ فَأَفْنَتْكُمْ صَوَارِمُهُ

وَلَو عَقِلْتُم كَفَاكُم دُوْنَهُ الخَبَرُ

وَقَدْ عَلا فَوْقَ أفْلاكِ النُّجُومِ بِهَا

فَكَيْفَ يَلْحَقُ مَنْ فِي بَاعِهِ قِصَرُ

حَدِّث بِبَأسِ بَنِي حَمْدَانَ فِي أُمَمٍ

تأتي فقدْ ظهرتْ في هذهِ النذرُ

واذكرْ لهمْ سيراً في المجدِ معجزة

لَوْلا الشَّرِيْعَةِ قُلْنَا إنَّهَا سُوَرُ

قومٌ إذا طلبَ الأعداءُ عيبهمُ

فَمَا يَقُولونَ إلاَّ أنَّهُمْ بَشَرُ

السابقونَ إلى الدنيا بملكهمُ

مَا أوْرَدَ النَّاسُ إلا بَعْدَمَا صَدَرُوا

كأنَّ أيديهمُ للرزق ضامنةٌ

فاللندَى قائمٌ منهمْ ومنتظرُ

تَسْمُو البِّلادَ إذَا عُدَّتْ وَقَائِعُهُم

فيها وتبتسمُ الدنيَا إذا ذُكروا

مَاتُوا وَأحْيَا ابْنَ ذِي المَجْدَيْن ذِكْرَهُمُ

فَمَا يَظُنُّون إلاَّ انَهُم نُشِرُوا

يثنى عليهمْ بمَا تعطِي أناملهُ

والروضُ يحمدُ في إحسانهِ المطرُ

وَسَابِقٍ طَلِق الأَلحْاظِ في أمَدٍ

لا يَنْفَعُ العَيْنَ في إدْرَاكِهِ النَّظَرُ

إذَا تَأَمَّلْتَهُ في نَيْلِ غَايَتِهِ

رأيتَ كيفَ تصادُ الأنجمُ الزهرُ

كَأَنَّمَا رَأيَهُ فِي كُلِّ مُشْكِلَةٍ

عينٌ على كلِّ ما يخفَى ويستترُ

يَا نَاصِرَ الدَّوْلَةِ المَشْهُور مَوْقِفُهُ

في نصرهَا وضرامُ الحربِ تستعرُ

أنتمْ صوارمهَا والبيضُ نابيةٌ

وشهبهُا وظلامُ الخطبِ معتكرُ

وحاملوا الرايةِ البيضاءِ ما برحتْ

عَلَى رمَاحِكُم تَعْلُو وَتَنْتَشِرُ

كنتمْ بصفينَ أنصارَ الوصيِّ وقدْ

دعَا سواكمْ فما لبوا ولا نصرُوا

فَهيَ الخِلافَةَ مَا زَالتْ مَنَابِرُهَا

إلى سُيُوفِكُمُ في الرَّوع تُفْتَقَرُ

هَل تَشْكُرُ العَرَبُ النُّعْمَى التي طَرَقَتْ

أمْ ليسَ ينفعُ فيها كلَّما شكرُوا

قومٌ أعدتَ إلى الدنيَا نفوسهمُ

فَكُلُّ عَارِفَةٍ مِنْ بَعْدِهَا هَدَرُ

تِلْكَ الصَّنِيْعَةُ إنْ خَصَّتْ بَنِي أَدَدٍ

فليسَ تنكر مَا في طيِّها مضرُ

أمَّا ابنُ نصرٍ فقدْ أخفتْ ضمائرهُ

مَوَّدَةً لَكَ مَا فِي صفوِها كَدَرُ

فرعُ أبانَ جناهُ طيبَ عنصرهِ

ما يحمدُ العودُ حتَّى يعرفُ الثمرُ

سالمت منهُ على الأعداءِ مرهفةً

لمثلهم كنت تقناها وتدخرُ

يَقْظَانُ مَا عَلِقَتْ بِالنَّوْمِ مُقْلَتهُ

فلا يُنَبَّه في حَرْبِ العِدَى عُمَرُ

يَا وَاهِبَاً وَعَوَادِي المُزْنِ بَاخِلَةٌ

وصاعداً وعوالي الشهبِ تنحدرُ

أمَّا القَوَافي فَقَدْ جَاءَتْكَ سَابِقَةً

كَمَا تَضَوَّعَ قَبْلَ الدِّيْمَةِ الزَّهْرُ

منظومةً فإذا فاهَ الدواةُ بها

ظننتَ أنَّ نجومَ الليلِ تنتثرُ

منْ معجزاتي التي لولا بدائعهَا

فِي الشِّعْرِ شِبَّهَ قَوْم بعض وَمَا سحرُوا

تُثني عليكُمْ وتُبْدي عيبَ غيرِكُمُ

فقدْ هجوتُ بها قوماً وما شعرُوا

أتاكَ رائدَ قوم ليسَ عندهمُ

علَى الحقيقةِ لا ماءٌ ولا شجرُ

تلوحُ ذكركَ في داجي همومهمُ

كَمَا يَلُوحُ لِعَيْنِ السَّاهِرِ السِّحَرُ

فَاسْتَجلْهَا دُرَّةَ الغَوَّاصِ أخْرَجَهَا

منْ بعدِ ما غمرتهُ دونهَا الفكرُ

ما تشتكي غربةُ المثوى ورفقتهَا

أفْعَالُكَ الشُّهُبُ أو أخْلاقُكَ الغُرَرُ

وَاسْمَعْ أبُثُّكَ أخْبَارِي فَإنَّ لهَا

شَرْحَا وَإنْ كُنْتُ أرْوِيهِ وَأخْتَصِرُ

جَادَتْ لِقَومِي سَحَابٌ مِنْكَ هَاطِلَةٌ

ما غيبت منةٌ منها وقدْ حضرُوا

شكرتُ عنهمْ وإنْ أحسنت عندهمُ

فَإنني نَاظِمٌ بَعْضَ الذي نثَرُوا

وغادرتني صروفُ الدهرِ بعدهمُ

كالصلِّ أطرقَ لا نابٌ ولا ظفرُ

في بلدةٍ تحتوي الأحرارَ ساحتُها

فَمَا لَهُمْ وَطَنٌ فِيْهَا وَلا وَطَرُ

أشتاقكمْ ويحولُ العجزُ دونكمُ

فَأدَّعي بُعْدَكُمْ عَنِي وَأعْتَذِرُ

وأشتكي خطراً بيني وبينكمُ

وآيةُ الشوق أنْ يستصغرَ الخطرُ

فهلْ لرأيكَ أنْ ينتاشَ مطرحاً

لهُ منَ الفضلِ ذنبٌ ليسَ يغتفرُ

فعندكَ الجودُ لا منٌّ ولا كدرُ

وَعِنْدَهُ الحَمْدُ لا عَيٌّ وَلا حَصَرُ

وإنْ ضَرَبْتَ بِهِ في وَجْهَ نَائِبَةٍ

فَفِي يَمِيْنِكَ مِنْهُ صَارِمٌ ذكَرُ

محاسنٌ هيَ عندَ السامعينَ بهَا

دعوَى ومثلكَ يتلُوها ويعتبرُ

فما أخافُ مطالَ الحظِّ تحرمُني

نداكَ إنْ طالَ في أيامكَ العمرُ

ولا يفوتُ غنى أنت الكفيلُ بهِ

وإنَّما غفلاتُ الدهرِ تبتدرُ

وظبيٍّ منَ الأتراكِ رنحهُ الصبَا

وظبيٍّ منَ الأتراكِ رنحهُ الصبَا

فَمَالَ وَمِنْ أعْطَافِهِ تُقْبَسُ الخَمْرُ

إذَا أخذَ المرآةَ ينظرُ وجههُ

ظَنَنْتَهُمَا شَمْسَين بَيْنَهُمَا بَدْرُ

منْ كانَ يحمدُ ليلاً في تقاصرهِ

منْ كانَ يحمدُ ليلاً في تقاصرهِ

فإنَّ ليليَ لا يرجى لهُ سحرُ

لا تسألوني إلاَّ عنْ أوائلهِ

فآخرِ الليلِ ما عندي لهُ خبرُ

لا تغبطِ القبرَ على جدةٍ

لا تغبطِ القبرَ على جدةٍ

وجسمُ منْ حلَّ بهِ دائرُ

يَستَأنِسُ الطَّرْفُ إلى قُرْبه

كأنمَا باطنهُ ظاهرُ

مَا عَلَى العُذَّال لَوْ نَظَرُوا

مَا عَلَى العُذَّال لَوْ نَظَرُوا

ثمَّ لامُوا فيكَ واعتذرُوا

قَمَرٌ ضَلَّ الأنَامُ بِهِ

مَا بِهَذَا يُعْرَفُ القَمَرُ

عَسَى لَيْلَةُ الدَّهْنَاءِ تَسْرِي بُدُورُهَا

عَسَى لَيْلَةُ الدَّهْنَاءِ تَسْرِي بُدُورُهَا

فَقَدْ غَابَ وَاشِيْهَا وَنَامَ سَمِيْرُها

طَلَبْنَا الكَرَى مِنْهَا فَدَلَّتْ عَلَيكُمُ

فَهَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ فَضْلَةٍ نَسْتَعِيرُهَا

وَبَدَّدَ حَرُّ الشَّوْقِ شَمْلَ نَسِيْمِهَا

عُذِيرِيَ مِنْ وَجْدِي بِكُمْ وَعَذيرُهَا

وجذوةِ نارٍ دونَذ كرِ مكانها

سَرِيْرَةُ حُبٍّ لا يُخَافُ ظُهُورُهَا

تَنَاهَيْتُ في كِتْمَانِهِ فَنَسِيتُهُ

فللهِ نفسٌ غابَ عنهَا ضميرُها

رَفَعْتُمْ سَنَاهَا لِلقِرَى وَبَخِلْتُمُ

فمَا شبَّ إلاَّ في القلوبِ سعيرهَا

أقُولُ لِمَغْرُورٍ سَرَى في طِلابِهَا

وما قتلَ البيداءَ إلاَّ خبيرُهَا

حذار عيوناً عندهَا بدويةً

يُطِيْلُ فُتُوراً فِي العِظَامِ فُتُورُها

وغيرانَ لو هبتْ لهُ الريحُ ظنَّها

رسَالةَ مَشْغُوفٍ بِهَا يَسْتَزِيْرُهَا

وَلَمَّا وَقَفْنَا فِي الدِّيَارِ وَعِنْدَنَا

مدامعُ نسديهَا لكمْ وتثيرُهَا

شَكَوْنَا إلَيْهَا مَا لَقِيْنَا مِنْ الضَّنَا

فَعَرَفَنَا كَيْفَ السَقَام دُثُّورُهَا

وَقَدْ دَرَسَتْ إلاَّ إمَارَةُ ذَاكِرٍ

تلوحُ لهُ بعدَ التمادي سطورهَا

ونؤيٌ كسرِّ الكفِّ عاف تعاقبتْ

عَلَى طَيِّهِ رِيْحُ الصَبَا وَدُبُورُهَا

وَأَوْرَقَ فِي سُحْم عَوَارٍ كَأَنَّهَا

بِهِ لَمَمٌ قَدْ لاحَ فِيْهَا قَتِيْرُهَا

خليلليَّ قدْ عمَّ الأسى وتقاسمتْ

فُنُونَ البلَى عُشَّاقُ لَيلى َ وَدُورُهَا

فلا دارَ إلاَّ دمنةٌ ورسومهَا

ولا نفسَ إلاَّ لوعةٌ وزفيرهَا

لعمرُ الليالي ما حمدتُ قديمهَا

فيوحشُني ذهابُها ومرورهَا

وقالوا عطاء الدهر يبلى جديدهُ

وَمَنْ لِي بِدُنْيَا لا يَدُومُ سُرُورُهَا

وعاذلةٍ غابتْ عليَّ قناعتي

كَأَنِّي إِذَا رُمْتُ الغِّنَى أَسْتَثِيرُهَا

ولوْ أَنَّني خبرتُها كيفَ عزمتي

عَلَى بُعْدِهَا حَنَّتْ مِنَ الشَّوقِ عِيْرُهَا

رويدكَ حتَّى يسحبَ الروضُ ذيلهُ

وتنشرُ أعلامُ الفيافي وقورهَا

فلي همةٌ لوْ ابعدَ اللهُ دارهَا

عَنْ الشَّامِ لَمْ يُعْرَفْ لِمِثْلِي نَظِيْرُها

فإنْ أعرضتْ منْ دونِنا هضباتهُ

وودعنَا لبنانُها وسنيرهَا

ولاحتْ ذرى اطوادِ مصرَ وفرجتْ

سجوفَ الدجَا أهرامُهَا وقصورُهَا

فَقُولي لِوَادِي المحْلِ أَيْنَ نَزِيْلُهُ

وَلِلسَّنَةِ الشَّهْبَاءَ كَيْفَ فَقِيْرُهَا

وَقُومِي اسْأَلِي عَنْ مِنَّةٍ تَغْلِبِيَّةٍ

سَرَى بِشْرُهَا قَبْلَ النَّدَى وَبَشِيرُها

إِذَا بَلَغَتْ مِنْ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ المُنَى

فمَا عذرهَا ألاَّ توقَّى نذورهَا

وأبلجَ منْ آلِ المثنَّى تألفتْ

لِنَاسِبِهِ شُهْبُ العُلى وَبُدُورُهَا

تناخُ عتاقُ العيسِ حولَ قبابهِ

وقدْ أمنتْ شدَّ الرحالِ ظهورهَا

مِنْ القَوْمِ سَنُّو للملوكِ شَريعَةً

مِنَ المَجْدِ كَانَتْ أغْفَلَتْهَا دُهُورُهَا

فإنْ يمنح الألقابَ قومٌ سواهمُ

فأوَّلُهَا مِنْ عِنْدِهِم وَأخِيْرُهَا

لهمْ سيفهَا وسعدُهَا وسعيدهَا

وَنَاصِرُهَا وَفخَرُهَا وَمُنِيْرُهَا

كأنكمُ والأرضُ أبناءُ ليلةٍ

فمَا عرفتْ إلاَّ ومنكمْ أميرهَا

إذَا أظلمتْ فيهَا الليالي جلوتُمُ

عَلَيْهَا وَجُوهاً يُخْجِلُ الشَّمْسَ نُورُهَا

وَمَا عَدِمَتْ مِنْكُمْ يَدًا رَبْعِيَّةً

إذَا أمحَلَتْ عَادَتْ بِهَا تَسْتَجِيْرُهَا

ولا زالتِ الأمصارُ تزهَى بذكركمْ

مَنَابِرُهَا حَتَّى يَطُولَ قَصِيْرُهَا

سبقتمْ إلى الأيامِ قبلَ صروفهَا

فمَا ثبتتْ إلاَّ عليكمْ أمورهَا

وَصَاحَبْتُمُوهَا وَهِي بَعْدُ غَرِيرَةً

فصحتْ لكمْ ثمَّ استمرَّ مريرهَا

وأغذيتمُ الدنيَا بفيضِ نوالكمْ

فَمِنْ عِنْدِكُمْ أمْطارُهَا وَبُحُورُهَا

ولمَّا شكتْ فقدَ الكرامِ إليكمُ

وكانَ عليكمْ بعثهَا ونشورهَا

أعَدْتُمْ عَلَى طَيٍّ حُمَيْداً وَحَازِمًا

فَأمْرَعَ وَادِيْهَا وَفَاضَ غَدِيْرُهَا

وَقَدْ طَمِعَتْ فِي حَاتِمٍ فَلَعَلَّهُ

بِسَعْدِكُمُ يَشْتَافُهَا فَيَزُورُها

صَنَائِعُ إنْ فَادَتْ إلَيْكُمْ صِعَابَهَا

فإنَّ طليقَ العارفاتِ أسيرهَا

لكمْ ذخرتهَا العلاقاتُ وأجمعتْ

علَى مطلهَا أعوامهَا وشهورهَا

ومَا ذهبتْ عن قادرٍ قطُّ نعمةٌ

يمنُّ بها إلاَّ إليكمْ مصيرها

شَهِدْتَ لَقَدْ جَادَتْ عَلَى الارْضِ مُزْنَةٌ

أكفكَ أحيَا كلَّ أرضٍ مطيرهَا

وأنكَ لوْ ناديتَ ساكنةَ الثرَى

أجابَ صداهَا أوْ أصاختْ قبورهَا

وَإنَّ امرَأ يَسْعَى إلَيْكَ بِكَيْدِهِ

كَبَاحِثَةٍ عَنْ مُدْيَةٍ تَسْتَثِيْرُهَا

يمدُّ إلى نيلِ السماءِ بنانهُ

وتلكَ أحاديثُ المنَى وغرورهَا

فَلَوْ أضْمَرَتْ فِيْكَ الكَوَاكِبُ غَدْرَةً

تَحَيَّرَ هَادِيْهَا وَضَلَّ بَصِيْرُهَا

ولوْ خالفتْ أفلاكهَا ما تريدهُ

لأنزلهَا قسراً إليكَ مديرهَا

وَلَو عَدِمَتْ مِنْكَ الخِلافَةُ نَظْرَةً

وَهِيَ تَاجُهَا العَالِي وَمَادَ سَدِيْرُهَا

ولوْ كتمتْ عنكَ القلوبُ سريرةً

تربيكَ ما ضمتْ عليهَا صدورهَا

وَقَدْ ظَهَرَتْ آيَاتُ سَيْفِكَ لِلْعِدَى

وَقَامَ بِأَمْرِ اللهِ فِيْهِم نَذِيْرُهَا

فَإِنْ أَبَتِ الحُسَادُ إلاَّ عِنَادَهَا

فقدْ عرفتْ سمرَ العوالي نحورهَا

وكمْ طالبٍ أمراً وفيهِ حمامهُ

وَسَارِيَةٍ تَسْعَى إلى مَا يُضِيْرُهَا

لَكَ الخَيْرُ مَا جُهْدُ القَوَافِي بِبَالِغٍ

مَدَاكَ وَإِنْ بَدَّ الرِّيَاحَ حَسِيْرُهَا

وَلَوْ نُظِمتْ فيكَ النُّجُومُ مدائِحاً

لقصرَ عنْ حدِّ الثناءِ مسيرهَا

وَلِي فِيْكَ آمَالٌ طِوَالٌ وَمَا سَمَتْ

إلى غَايَةٍ إلاَّ وَأَنْتَ جَدِيْرُهَا

ومَا فاتنِي خيرٌ نداكَ كفيلهُ

وَلا غِبْتُ عَنْ نُعْمَى وَقَوْمِي حُضُورُهَا

طَلَبُ الأمْنِ في الزَّمَانِ عَسِيْرُ

طَلَبُ الأمْنِ في الزَّمَانِ عَسِيْرُ

وَحَدِيْثُ المُنَى خِدَاعٌ وَزُورُ

تَبْدَهُ الحَازِمَ الخُطُوبُ فَإنْ

قَدَّرَ أبْدَتْ مَا أغْفَلَ التَّقْدِيرُ

وَإذَا قتَّرَ البَخِيْلُ فَلِلأ

يَامِ في طَيِّ عُمْرِهِ تَبْذِيْرُ

لا تظنَّ الفقيدَ أفردهُ البينُ

ـنُ فَقَدْ أعْجَلَ المُقِيْمَ المُسِيْرُ

سَلْ بِغَمْدَانَ أيْنَ قَاطِنُهُ سَيْـ

ـفٌ وَقُلْ لِلنُّعْمَانِ كَيْفَ السَّدِيرُ

عدلَ الدهرُ فيهمُ قسمةَ الجورِ

ر فَلا عَامِرٌ وَلا مَعْمُورُ

يا سوادَ الهمومِ صرتَ على الأيامِ

لمَّا ضاقتْ عليكَ الصدورُ

إنَّ في جانبِ المقطمِ مهجوراً

راً وَمِنْ أجْلِهِ تُزَارُ القُبُورُ

ومقيماً على المعرةِ تطويهِ

اللَّيَالِي وَذِكْرُهُ مَنْشُورُ

وَضَرِيْحَيْنِ بالعَواصِمِ مَبْذُولِيْنَ

وَالصَّبْرُ عَنْهُمَا مَحْظُورُ

وَغَرِيْبَا بالدَّيْرِ بَانَ لَهُ العَيْشُ

وَغَاضَ النَّدَى وَمَاتَ السُّرُورُ

صارمٌ فلتِ النوائبُ حديهِ

وغصنٌ تحتَ الثرى مهصورُ

عُصْبَةٌ كنْتُ أدَّعِي فِيْهم

وصبري لؤمٌ عليهمْ كثيرُ

وحياتي غدرٌ فهل لوقائي

أجلٌ عاجلٌ وعمرٌ قصيرُ

أيها الظاعنونَ لا زالَ للغيثِ

رواحٌ عليكمُ وبكورُ

لَسْتُ أرْضَى بِالدَّمْع فِيْكُمْ فَهَلْ

يَمْلِكُ رَيَّ البُحُور إلاَّ البُحُورُ

قَدْ رَأيْنَا دِيَارَكُمْ وَعَرَفْنَا

أثراً منْ عفاتكمْ مهجورُ

وسألنَا أطلالهَا فأجابتْ

وَمِنَ الصَّمْتِ وَاعِظٌ وَنَذِيْرُ

أيُّهَا الظَّاعِنُونَ لا زَالَ

فَارَقْتُهَا عِنْدَ الكَمَال البُدُورُ

تفهمُ الغافلينَ كيفَ يحولُ

الدَّهْرُ عَنْ عَهْدِهِ وَكَيْفَ يَجُورُ

يَا نُجُومَ العُلَى غُرْبْتُمْ وَمَا

أسىً ما القلوبُ إلاَّ صخورُ

يَا ديارَ الأحبابِ غيركِ الدهرُ

فكانتْ بعدَ الأمور أمورُ

أينَ أيامنَا بظلكِ والشملُ

جميعٌ والعيشُ غضٌّ نضيرُ

نَشْوَةٌ أعْقَبَتْ خُمَاراً مِنَ الهَّمِ

وَلَكِنْ قَدْ يفرقُ المَخْمُورُ

وَزَمَانٌ مَضَى فَمَا عُرِفَ

إلاَّ بمَا جناهُ الأخيرُ

يا نجومَ العلَى غرتُم ومَا

فِي اللَّيْلِ مِنْ بَعْدِكُمْ نُجُومٌ تَفُورُ

طَالَ عَمَّا عَهدْتُمُوهُ وَلَمْ

يَجْرِ عَلَى رَسْمِهِ الصَّبَاحُ المُنِيْرُ

وعفَا الجودُ فالكريمُ بخيلٌ

في الملماتِ والغنيُّ فقيرُ

وَتَسَاوَى الوَرَى فَلَمْ يَبْقَ مَشْكُورٌ

رٌ علَى منةٍ ولا معذورُ

لا يُجَاورُكُمُ الصَّعِيْدُ بسُوءٍ

للنازلينَ بئسَ المجيرُ

وَسَقَاكُمْ مِنَ السَّحَابِ صَنَاعُ

الكفِّ يسدِي في روضكمْ وينيرُ

كُلَّ غَنَّاء يُقْطِعُ الغَيْثُ عَنْهَا

وَلَهَا أعْيُنٌ مِنَ النُّورحُورُ

عارض مغضبٌ علَى المحلِ

لا يَخْطُرُ إلاَّ وَسَيْفُهُ مَشْهُورُ

أشرقتْ فيهِ للشقيق خدودٌ

وَأضَاءتْ مِنَ الأقَاحِي ثُغُورُ

يثقلُ الماء خطوهُ فترجيهِ

النعامَى كما يرجّي الحسيرُ

عمَّ معروفهُ ففِي كلِّ وادٍ

مِنْ أيَادِيهِ رَوْضَةٌ وَغَدِيْرُ

وعلى العزمِ أنْ يجودَ عليكُمْ

واهبٌ بالنوالِ منكمْ جديرُ

ما أرى الشعرَ كافياً في مراثيكمْ

وَلَكِنْ قَدْ يَنْفُثُ المَصْدُورُ

وَإِذَا مَا أطلْتُ فِيْهِ وَلَمْ يُشْفِ

غَلِيْلاً فَكُلُّهُ تَقْصِيْرُ

خليليَّ منْ عوف ابنِ عذرةَ إنني

خليليَّ منْ عوف ابنِ عذرةَ إنني

بكلِّ غرام فيكمَا لجديرُ

كفى حزناً أني أبيتُ وبينَنا

وَسِيْعُ الملا وَالسَّامِرُون كثيرُ

وأصبحُ مغلوباً علَى حكم رأيهِ

وقدْ عشتُ دهراً ما عليَّ أميرُ

أسيمُ ركابي في بلادٍ غريبةٍ

منَ العيسِ لمْ يسرحْ بهنَّ بعيرُ

فَقَدْ جَهَلَتْ حَتَّى أرَادَ خَبِيْرُهَا

بوَادِي القُطَيْنِ أنْ يَلُوحَ سَنِيْرُ

وكمْ طلبتْ ماء الأحصِّ بآمدٍ

وَذٰلِكَ ظُلْمٌ لِلرَّجَاءِ كَبِيْرُ

عدوها قويقاً واطلبُوا لحنينها

بجانبِ حسمَى أنْ تهبَّ دبورُ

فواللهِ ما ريحُ الصبا بحبيبةٍ

إليهَا ولا ماء الأحصِّ ثميرُ

سَقَى الهَضْبَةَ الأدمَاءَ مِنْ رُكْنِ جَوْشَنٍ

سحائبُ تسدي روضةً وتنيرُ

وَحَلَّ عُقُودَ المُزْنِ فِي حُجُرَاتِهِ

نَسِيمٌ بِأَدْوَاءِ القُلُوبِ خَبِيْرُ

فَمَا ذَكَرَتْهُ النَّفْسُ إلا تَبَادَرَتْ

مدامعُ لا يخفى بهنَّ ضميرُ

نظرتُ وأعلامُ الجزيرةِ بيننا

وأطوادُ حسمَى إنني لصبورُ

بمطروفةِ الأجفانِ عائرةِ القذَى

تَقُودُ زِمامَ النَّجْمِ وَهوَ حَسِيرُ

ذرعتُ بهَا الظلماءِ وهيَ فسيحةٌ

وباشرتُ فيها النومَ وهوَ عسيرُ

أتُرى طَيْفُكُم لَمَّا سَرَى

أتُرى طَيْفُكُم لَمَّا سَرَى

أخَذَ النَّومَ وَأعْطَى السَّهَرَا

أمْ ذَهَلْنَا وَتَمَادَى لَيْلُنَا

فَتَوَهَّمْنَا العِشَاءَ السَّحَرَا

ما نلومُ الليلَ بلْ نعذرهُ

إنمَأ طولهُ منْ قصرَا

إنْ لبسناهُ ظلاماً داجياً

فِيْمَا كَانَ صباحاً مُسْفِرَا

يَا عَيُوناً بالغَضَى رَاقِدَةً

حَرَّمَ الله عَلَيْكُنَّ الكَرى

لوْ عدلتنَّ تساهمنَا جوىً

مثلمَا كنَّا اشتركنَا نظرَا

سَلْ فُروعَ البَانِ عَنْ قَلْبي فَقَدْ

وهِمَ البَارِقُ فِيْمَا ذَكَرَا

قَالَ فِي الرَّبْعِ وَمَا أَحْسَبَهُ

فارقَ الأظعانَ حتَّى انفطرَا

مَا عَلَى الغَيْرانِ مِنْ سُقْيَا الحِمَى

أحَرَامٌ عِنْدَهُ أنْ يُمْطَرَا

وإذَا أغضبهُ ريكمُ

فَسَقَى الله الفَضَا وَالسُّمُرَا

حَبَّذَا فِيكَ حَدِيث طَاهِرٌ

فطنَ الدمعُ بهِ فانتشرَا

خبرَ الواشي وفينَا ريبةٌ

تُوجِبُ التُّهْمَةُ فِيْمَا خَبَّرَا

نظرٌ موهَ دمعاً لمْ يزلْ

يفصحُ الوجدُ بهِ حتَّى جرَى

يا بني العوام هلْ ذلكمُ

يمنعُ الموتورَ أنْ ينتصرَا

دونَ نيلِ الضيمِ نفسٌ حرة

وَالمَطَايَا وَالفَيَافِي وَالسُّرَى

لستُ منْ يقبعُ في حبوتهِ

يتمنَّى في الأعادي الظفرَا

أمِنَ العَجْزِ مِهَاداً أرَى

طلبَ العزِّ يثيرُ الخطرَا

وهوَ مغلوبٌ على صارمهِ

يتبعُ الدهرَ إذَا مَا أمرَا

أيُّهَا الرَّاقِدُ عَنْ نُهزَتِهِ

مَا يَرُوعُ السَّيْفُ حَتَى يُشْهَرَا

إنَّمَا قَومُكَ إنْ رُمْتَهُمُ

فَقْعَةٌ تَسْكُنْ وَعْثَاً قَرْقَرَا

شُنَّهَا فَهْيَ عَلَى عِلاَّتِهَا

تُلْبسُ الجَوَّ عُجَاجاً أكْدَرَا

عَلَّهَا تُسْفِرُ عَنْ حَادِثَةٍ

يسبقُ الأبيضُ فيهَا الأسمرَا

فَالهُوَيْنَا مَرْكَبٌ مَا خِلْتُهُ

يُشْرِكُ البَادُونَ فِيْهِ الحَضَرَا

ثُلَّةٌ هَوَّمَ رَاعِيهَا فَمَا

يَعْتَفي سِرْحَانُهَا أنْ يَعْقُرَا

قَدْ رَجَوْنَاكَ فَشَمِّرْ جَاهِداً

إنمَا يدركهَا منْ شمرَا

وابي المجدُ لقدْ فازَ بهِ

سَالِكٌ فِيْهِ السَّبِيْلُ الأوْعَرَا

مِنْ بَنِي الأحْرَارِ لوْلا كَفُّه

سبقتْ في الجودِ قيسٌ حميرَا

معسرٌ مالاً ومثرٍ كرماً

إنمَا اتربَ لمَّا أقترَا

مُنْتَدَى قَدْ غُرسَ الظَّنُّ بهِ

ثمَّ ما أورقَ حتَّى أثمرَا

مِنْ كِرَام رَتَقَتْ بَيْضُهُمُ

فرجَ المجدِ وكانتْ ثُغرَا

ألفوا ظلَّ العوالي فبنُوا

برماح المجدِ أبياتَ القِرَى

نَجْدَة سَرْبَلتِ الأرْضَ وَماً

وحثتْ فوقَ السماءِ العفرَا

ونأى الغيثُ فجادُوا ديماً

ودجا الخطبُ فلاحُوا غررَا

ونوالٌ منْ أكفٍّ أوجبتْ

طَاعَةَ الجُودِ فَصَارَتْ أبْحُرَا

سَلْ بهِ يُوشِكُ إذْ أرْسَلَهَا

كقنا الخطِّ خفافاً ضمرَا

قادهَا هميَا فلمَّا وردتْ

حظرَ الطعنُ عليهَا الصدرَا

وقعةٌ إنْ نطقَ الفخرُ بهَا

فضلتْ قحطانُ فيهَا مضرَا

وَعَلَى المَرْجِ أعَادَتْ بيْضُهُم

كُلَّ جَوْن في مَعَدٍّ أشْقَرَا

أشْرَعُوا فِيْهَا أكُفَّاً سَبْطَةً

علمتْ وخزَ العوالي زفرَا

وَجِيَاداً ظَنَّهَا وَاثِبَةً

مُطْرِقُ القَيْنِ أثَارَ الشَّرَرَا

رَهْطُ سَوَّار بن زَيْدِ أَلِفُوا

كرماً دثراً وماء ثرثرَا

واستطالتْ بعليٍّ لهمُ

دَوْحَةً لَمْ تَكُ تَشْكُ القِصَرَا

فشآهمْ وهوَ منْ يخبرهمْ

يجمعُ الأفقَ السهَا والقمرَا

يَا أبَا نصرٍ دعاء أمنَ الـ

مَنْ كَانَ بهِ مُنْتَصِرَا

أنَا عندَ الذبِّ عنْ أحسابكمْ

لَجِبٌ عَبٌّ وَقَرْمٌ هَدَرَا

لِي فِيْكُمُ عَنْ ودَادٍ أمِنَتْ

صفوةُ الإخلاص فيهِ الكدرَا

كُلُّ غرَّاء شَرُودٍ حَسَدَتْ

أولُ الدهرِ عليهَا الأخرَا

يجدُ الركبُ إذَا أنشدتُها

عبقةَ الريح تنوشُ الزهرَا

يحبسُ العجلانُ عنْ حاجتهِ

ويصمُّ السمعُ فيهِ البصرَا

فابسطِ العذرَ فمَا زلنَا إلى

بَحْرِكَ الزَّاخِرِ نُهْدِي الدُّرَرَا

أرأيتَ طيفَ خيالِها لمَا سرَى

أرأيتَ طيفَ خيالِها لمَا سرَى

تَرَكَ الدُّجَا إلاَّ صَبَاحاً مُسْفِرَا

وافَى وقدْ علقَ الرقادُ بهائمٍ

حكمتْ عليهِ همومهُ أنْ يسهرَا

لا تحسدوهُ على زيارتهِ فمَا

مَنَحَ الوصَالَ وَإِنَّمَا مَنَعَ الكَرَى

حظ عرفتَ بهِ فلستُ أذمهُ

وَلَقَدْ يَطُولُ الشَّيء حَتَّى يَقْصُرَا

وسجيةٍ في الغدر كنتُ أعيبهَا

حتَّى عرفتُ بهَا الصديقَ الأكبرَا

يا صاحبيَّ ومَا وثقتُ بصاحبٍ

إلاَّ تغيرَ وده وتنكرَا

أرَأَيْتُمَا مِثْلِي يُرَامُ قِيَادُهُ

منْ بعدِ ما نشطَ العقالُ وجرجرَا

ويسامُ أنْ يرضَى الخمولَ وقدْ أبى

إِيْمَاضَ وَجْهِ الصُّبْحِ أنْ يَتَسَتَّرَا

مَا تَنْقِمُ الأعْدَاء إلاَّ أنَّني

أندَى يداً منهمْ وأطيبُ عنصرَا

وَمِنَ البَلِيَّةِ في الزَّمَانِ مُعَانِدٌ

يخزيكَ أنْ يعزَى إليكَ ويذكرَا

ما أهونَ الدنيَا إذا نظرَ امرء

فيها وآنَ لحازمٍ أنْ ينظرَا

وأقلُّ ما يجدُ الحريصُ مرادهُ

وَإذَا أراحَ فَمَا يَفُوتُ مُقَدَّرَا

منْ مبلغ اللؤماءَ إنَّ ركائبي

وَجَدَتْ مَرَاحاً للإبَاءِ وَمَصْدَرَا

تَرَكَتْ مُقَارَبَةَ الدَنِيِّ وَفَارَقَتْ

مَاءً بِلَوْمِ الوَارِدِيْنَ مُكَدَّرَا

ورأتْ عمادَ الملكِ أكرمَ شيمةٍ

مِنْ أنْ يُكَلِّفَهَا المَنَاخَ الأوْعَرَا

مَلِكَ يذُمُ مِن الزَّمَانِ فَخَارَهُ

جذلانَ يهزأُ بالقضاءِ إذا جرَى

ومتوج يلقَى العفاةَ بوجههِ

بشراً كما لمعَ السحابُ وأمطرَا

كَالصَّارِمَ الهِنْدِيِّ إلاَّ أنَّهُ

أمْضَى شَبَاً مِنْهُ وَأكْرَمُ جوهرا

والليثِ لولا أنهُ يندَى يداً

وَيَلِينُ أخْلاقاً وَيَحْسُنُ مَنْظَرَا

ملأتْ وقائعهُ الطروسُ فلمْ تدعْ

في الأرْضِ إلاَّ سَائِلاً أوْ مُخْبِرَا

وَدَعَتْ مَواهِبُهُ العُفَاةَ فَلَمْ تَذَرْ

في النَّاس إلاَّ طَالِباً أوْ مُوْسِرَا

دَامي الأسِنَّةِ وَالظُبَى فَكَأنَّمَا

طبعُوا لهُ وردَ الخدودِ الأحمرَا

سَمُّوهُ ذا الحَسَبَيْن لمَّا قَابَلُوا

في المَجْدِ مِرْدَاساً عَلَيْهِ وَجَعْبَرَا

ولو اهتدوْا لرأوهمَا نالا بهِ

شرفاً علَى الشرفِ التليدِ ومفخرَا

قدْ قلتُ للأعداءِ غيرَ مجاملٍ

لهمُ وأعذرَ فيهمْ منْ أنذرَا

أما الثغورُ فإنَّ دونَ مرامهَا

لَيْثاً أشَمَّ السَّاعِدَيْن غَضَنْفَرَا

ألقَى ذراعيهِ وأطرقَ ملبداً

منْ بعدِ ما هجرَ العرينَ وأصحرَا

لا تحملوهُ علَى العقوق فتوقظُوا

طَبَّاً بِأدْوَاءَ العُقُوق مُكَدَّرَا

جَرَّبْتُمُوهُ مُحَارِبَاً وَمُسَالِمَا

وعرفتموهُ مصمماً ومعذرَا

وَبَلَوْتُمُوهُ فَمَا وَجَدْتُمْ عِنْدَهُ

إلاَّ الصوارمَ والوشيجَ الأسمرَا

وَبَدَتْ لَكُمْ في النَّقْعِ بيضُ سُيُوفِهِ

فرأيتمُ فيها الحمامَ مصورَا

تلكَ الوقائعُ فيكمُ مشهورةٌ

وَالسَّيْفُ لَيْسَ يَرُوعُ حَتَّى يُشْهَرَا

لا تَعْدِ مَنَّكَ أسْرةَ مُضَرِيَّةٌ

نزلتْ بساحتكَ الجنابَ الأخضرَا

كمْ أدركتْ بنداكَ منْ أوطارهَا

خَطَراً وَكَمْ قَرَعَتْ بِسَيْفِكَ مِنْبَرَا

أسعرتَ جمرةَ عامرٍ وهيَ التي

لا تنكرُ الأعداءَ أنْ تتسعَّرا

وَحَمَتْ مَخَافَتُكَ الجَزِيْرَةَ هَيْبَةً

فَكَأنَّمَا قَادَتْ إلَيْهَا عَسْكَرَا

وتحيَّر الغزيُّ في ظلمائها

حَتَّى أضَاء لهُ النَّهَارُ فَأبْصَرَا

إياكَ أنْ تردَ الفراتَ فإنهُ

مَاءٌ يَعُودُ الجَوْنُ مِنْهُ أشْقَرَا

فَمَضَى وَمَا وَجَدَ الفِرَارَ دَنِيَّةً

منْ خافَ حدَّ ظباكَ أنْ يتدبرَا

أوَ لَيْسَ مَحْمُودُ بنُ نَصْرٍ دُوْنَهُ

فَحَذَار إنْ نَفَعَ امرَأ أنْ يَحْذَرَا

يا جامعَ الحسناتِ دعوةَ عائذٍ

بنداكَ أدلجَ في رضاكَ وهجرَا

مَا كُنْتُ أحْسَبُ أنَّ جُودَكَ يُقْتَضَى

حتَّى أقول منبهاً ومذكرَا

وَأخَافُ فِيْكَ مِنْ الوُشَاةِ وَلَمْ تَكُنْ

ممنْ يخافُ عليهِ أنْ يتغيرَا

حاشَا لعدلكَ أنْ ينالَ مطالبي

قومٌ سبقتهمُ إليكَ تخيرَا

فيكونُ سهمي في الغناء مقدماً

عنهمْ وحظي في العطاءِ مؤخرَا

طلعتْ عليهمْ منْ نداكَ سحابةٌ

تروي البلادَ وما تبلُّ ليَ الثرَى

وسريتُ قبلهمُ إلى إدراكهَا

وبدَا الصباحُ فمَا حمدتُ بهِ السرَى

ولقدْ صبرتُ وكلُّ صبرٍ نعمةٌ

إلاَّ إذَا سَرَّ العِدَى أنْ أصْبُرَا

وأصبتُ بشركَ دونَ وفركَ إنهُ

ثَمَنٌ يُبَاعُ بِهِ الكِّرَامُ وَيُشْتَرَى

هذَا عتابكَ غيرَ أنَّ وراءهُ

قَلباً أرَقَ عَلَيْكَ مِنْ أنْ يَهْجُرَا

فَارْجِعْ إلى الرَّأي الَّذي جَرَّبْتَهُ

فَوَجَدْتَ مَيْمُونَ النَّقِيْبَةِ مُثْمِرَا

وامننْ عليَّ فقدْ قدرتَ وإنمَا

أمسكتُ عنْ نعماكَ حتَّى تقدرَا

واعلمْ بأنِّي ما ذخرتُ نصيحةً

عندي فمالَكَ في الندَى أن تذخُرَا

وَنَّهَنَّ بِالعِيْدِ الذي شَرَّفْتَهُ

لمَّا برزتَ مصلياً ومكبِّرَا

وَاسْلَمْ لهُ وَلِكُلِّ يَومٍ مِثْلِهِ

حَتَّى تَقُودَ عِدَاكَ فِيْهِ وَتَنْحَرَا

وَأَهْيَفَ مِنآدَ القُوَى يَبْذُلُ القِرَى

وَأَهْيَفَ مِنآدَ القُوَى يَبْذُلُ القِرَى

لِطارِقِهِ جَهْراً وَيَمْنَعُهُ سِرًّا

لهُ بزةُ النساكِ لولا صناعةٌ

يعاني بها الأطماعُ أشعثَ مغبرّا

يَهَابُ عَلى أنَّ الخُمُولَ طِبَاعَهُ

وَفِي أيِّ أرْض حَلَّ كَانَتْ لَهُ سِتْرَا

إذَا صَحِبَ النُسَّاكَ اكسبهم قَرى

وإنْ صحبَ الحجاجَ أكسبهمْ وزرَا

أيهَا النوامُ ويحكمُ

أيهَا النوامُ ويحكمُ

قَدْ حَمَلْنَا عَنْكُمْ السَّهَرَا

نَحْنُ فِي ظَلْمَاءَ دَاجِيَةٍ

ما لهَا صبحٌ فينتظرَا

فجرهَا والصبرُ بعدهمُ

مَا سَمِعْنَا عَنْهُمَا خَبَرَا

أرقتُ لبرق كمتن الحسام

أرقتُ لبرقٍ كمتن الحسا

م يَبْدُو مِرَاراً وَيَخْفَى مِرَارَا

كَأنَّ الصَّبَاحَ أتَى زَائِرَا

إلَى اللَّيْلِ ثُمَّ تَوَلَّى فِرَارَا

تقولُ المطايا وقدْ عزهَا

لركبٍ تهادُوا عليهِ حيارَى

هَلُمُّوا إلى الجُودِ قَدْ أوقَدَتْ

بنُو عامرٍ في دُجا الليلِ نارَا

مَا أذَاعَتْ رِيْحُ الصَبَا لَكَ سِرّاً

مَا أذَاعَتْ رِيْحُ الصَبَا لَكَ سِرّاً

إنَّمَا عَرَّضَتْ بِهِ وَهِي سَكْرَى

وَعَلَى أنَّهَا تَنِمُّ فَقَدْ أهْـ

ـدَتْ نسيماً منَ العذيبِ وعطرَا

وأتى البارقُ الذي بتَّ ترعَا

هُ فنوناً منَ الخيانةِ أخرى

بَاتَ يَطْوِي ذَيْلَ الدُّجَى وَيُضِيء ال

ـبيدَ حتَّى يظنهُ الطيفُ فجرَا

فَمَتَى يَعْرِفُ الوَفَاءَ وَمَا يَدْ

كر إلاَّ لَوْمَا عَلَيْكَ وَعُذْرَا

وإذَا كنتَ مَا وجدتَ لأشجَا

نك حُرًّا فَمُتْ بِدَائِكَ حُرًّا

يَا خَلِيْلِيَّ قَدْ سَئِمْتُ أمَانِيَّ

وَأنْفَقْتُ فِي القَنَاعَةِ عُمْرَا

فاطْلِقَا مِنْ أزِمَّةِ العَيْسِ مَا شا

ءتْ فإنَّا في ربقةِ الهمِّ أسرَى

زادَ عرضُ الفَلا عليهَا كمَا طال

الدجَى فهيَ والكواكبُ حسرَى

تَتَرَامى بهَا البلادُ وَمَا تَشْدُ

إلاَّ رَسْمَا مِنَ الجُودِ قَفْرَا

فَاعْذُرَاهَا إنْ أخْفَقَتْ فَلَقَدْ رَا

متْ عسيراً منَ المطالبِ وعرَا

نقصَ الدهرُ حظهَا منْ بنيهِ

فَهي تَبْغِي حَظاً وَنَاسَاً وَدَهْرَا

وَلَعَمَرِي لَقَدْ

كَفَاهَا نَصِيْرُ ال

رتعتْ منْ جنابهِ في رياض

ضَوَّعَتْهَا فِيْهِ ثَنَاء وَذِكْرَا

وسرَى جودهُ إليها علَى البعدِ كمَا

تحملُ النسائمُ عطرَا

وردتْ مشرعَ المكارمِ ملآ

ن وَحَيَّتْ وَجْهَ الزَّمَانِ أغَرَّا

طلعةٌ كالصباح يلمعُ فيها

بارقٌ للسماح سموهُ بشرَا

وَبَنَانَ إذا تَجَهَّمَتِ الأنْوَاء

أحرَى بهِ سحائبَ عشرَا

يسبقُ السمهريُّ طولاً وطوْلاً

ويفوتُ الهنديَّ أثراً وأثرَا

شَرَفاً يَا بَنِي فَزَارَةَ قَدْ أحْيَا

نداهُ عليكَ حصناً وبدرَا

وَغِنًى عَنْ مَوَاهِبِ المُزْنِ بالغُوْرِ

رِ فقدْ صارتِ البحيرةُ بحرَا

حَلَّ فِيْكَ ابْنَ مُلْهَمٍ وَخَصِيْبُ

الرَّوْضِ مَا كَانَ عَيْشُهُ مُسْتَقِرًّا

عارض يستهلُّ جوداً وفيهِ

بارق ربما توقدَ جمرَا

فجرَى ماؤهُ مواهبَ بيضاً

وَوَرَتْ نَارُهُ قَوَاضِبَ حُمْرَا

قدْ عرفنَا ضرامهُ كيفَ يصلَى

وعلمنَا غمامهُ كيفَ يُمرَا

فَوَجَدْنَا جَنَاهُ فِي السِّلْمِ حُلْواً

وَرَأيْنَا لَظَاهُ في الحَرْبِ مُرًّا

خَطَرَاتُ الزَّمَانِ بُؤسَى وَنُعْمَى

وفنونُ الأقدارِ نفعاً وضرّا

علمَ الناسُ كيفَ يسعَى إلى

المَجْدِ وَلَكِنْ بَاثُوا نِيَامَاً وَأسْرَى

وَأرَاهُمْ مِنْ جُودِهِ كُلَّ عَدْرَاءَ

عَلَى أنَّهَا مَواهِبُ تَثْرَى

وإذا عدَّ حامداً وعلياً

وسليمَ الندَى وكعباً وبكرَا

منةٌ لمْ يجدْ بها غيرُ كفيهِ

فأعجبْ بهَا عواناً وبكرَا

سَبَقَ النَّاسَ أوَّلا وَأخِيْرَا

وَحَوَى المَكْرُمَاتَ بَدْوَا وَحَضْرَا

طرقَ الشامَ منْ فراقكَ خطبٌ

لا يُرَى بَعْدَهُ مِنَ العُسْرِ يُسْرَا

علمَ الرومُ أنَّ سيفكَ حاميهِ

فَقَدْ حَاوَلُوا لِبُعْدِكَ أمْرَا

وأجابَ المحاربونَ إلى السلمِ

فَرَارَاً مِنَ الطِّعَانِ وَكُفْرَا

وإذَا ما خلا العرينُ منَ الليثِ

أغارَ السرحانُ فيهِ وكرَّا

عودتهمْ ظباكَ جامحةَ الفرِّ

الفَرِّ وَسَنَّتْ فِيْهِمْ جِيَادُكَ دُعْرَا

وَتَحَامَتْكُمْ المَعَاقِلُ لَمَّا

ملَكَتْهَا لَكَ الصَّوَارِمُ قَسْرَا

طَلَعَتْ نَحْوَهُمْ مِنَ الجُوْنِ

جَون وَجَدُوهَا باللاَّذِقِيَةِ شُقَرَا

مُقَرَبَات مِثْلُ السَّرَاحين إلاَّ

أنَّها تقنصُ الفرائسَ جهرَا

وخميسٌ ألقَى علَى طرفِ السا

حل شطراً وفي العواصمِ شطرَا

قادهُ مرهفُ العزيمةِ والرأ

ي إذَا قدمُ المحاربِ غيرَّا

هذبتْ فكرهُ التجاربُ حتَّى

هَتَكَتْ دُوْنَهُ مِنَ الغَيْبِ سِتْرَا

رفعَ اللهُ منْ لوائكَ لمَّا

كَانَ عِزَاً لِلْمُسْلِمِيْنَ وَنَصْرَا

طُلْتَ قَدْرَاً عَن المَدِيْحِ فَمَا أَذْهَبُ

هبُ فيهِ إلاَّ وفاء وشكرَا

زَفَرَات أَثَرْتُهُنَّ مِنَ الشَّوْقِ

وَإِنْ كُنَّ فِي المَسَامِعَ شِعْرَا

وَثَنَاء كَأَنَّمَا أَطْلَعَ الصُّبْحَ

ضِيَاء وَأَرَّجَ الرَّوْضَ نَشْرَا

يُخْبِرُ النَّاسَ إنَّ فِي ذِكْرِ إِحْسَانِكَ

دَيْنَاً وَفِي ثَنَائِي سِحْرَا

خليليَّ بثَّا ما أملتْ عليكمَا

خليليَّ بثَّا ما أملتْ عليكمَا

دُمُوعِي فَإِنِّي مَا أُرِيْدُ الهَوَى سِرًّا

أَصَابَكُمَا بَرْحُ الغَرَام لَعَلَّهُ

يمهدُ لي ما بينَ قلبيكُمَا عذرَا

سَقَى الله أَيَّامَاً مِنَ الدَّهْرِ لَمْ تَشِبْ

بهمْ كأنَّا ما عرفنا بها الدهرَا

وَمَائِلَةِ الأعْطَافِ مِنْ نَشْوَةِ الصِّبَا

سقتني الهوَى صرفاً ورنحهَا سكرَ

رَمَتْ عَيْنُهَا عَيْنِي وَرَاحَتْ سَلِيمَةً

فَمَنْ حاكِمَ بَيْنَ الكَحِيْلَةِ وَالعَبْرَى

فيا طرفُ قدْ حذرتكَ النظرةَ التي

خَلَسْتَ فَمَا رَاقَبْتَ نَهْيَاً وَلا أمْرَا

ويا قلبُ قدْ أرداكَ منْ قبلُ مرة

فَوَيْحَكَ لَوْ طَاوَعْتَهُ مَرَّة أُخْرَى

يَا لغَنيٍّ مَا لِنَادِيكُمُ

يَا لغَنيٍّ مَا لِنَادِيكُمُ

قَدْ فَقَدَ الطَّارِقَ وَالسَّامِرَا

وأهمِلَ السرح بأرجائهِ

لا ذائداً فيهِ ولا عاقِرَا

لعلَّ عضباً للردَى بائراً

أصابَ عضبَ الدولةِ الباترَا

مَا وَجَدَ الوَارِثُ مِنْ بَعْدِهِ

إلاَّ حَدِيْثًا فِي العُلا سَائِرَا

راحَ بنجلاء كلابيةً

تَسْفَحُ جُوداً فِي الثَّرَى قَاطِرَا

فَمَا لِهَذَا البَيتِ مِنْ عَامِرٍ

لمْ يُبقِ بيتاً للندى عامِرَا

حبتكَ السماء بأمطارها

حبتكَ السماء بأمطارها

وَكَيْفَ تَضِنُّ عَلَى جَارِهَا

ولا برحتْ في ثراكَ الرياضُ

تفضُّ لطائمَ نوارها

وقدْ نابَ عنهَا جميلُ الثنَا

فَذِكْرُكَ أعْبَقَ أزْهَارِهَا

أطلتَ لياليَّ حتَّى ظننْتَ

أنَّكَ نُبْتَ بِأسْحَارِهَا

وغادرتُ دمعي رقيبَ الجفون

فباعدتُ ما بينَ أشفارها

وَبي لَوْعَةٌ مِنْكَ مَا تَطْمَئِنُّ

فأشكو إليكَ بمقدارها

فلهفي عليكَ لشعثِ العُفَا

ةِ ترمي إليكَ بامطارها

تَجُوبُ المَهَامِهَ حَتَّى تُنِيخَ

بِقَارِي العَشِيْرَةِ عَقَّارهَا

وَسَاغِبَةٍ عَلَّلتْ فِي الظَّلامِ

بنيهَا بقربكَ من دارهَا

فكنتَ إلى بذلِ ما أملتهُ

أسرعُ منْ وهم أفكارهَا

وَبَهْمَاءَ تَلْمَحُ فِيْهَا النُّجُومَ

مصيفةً بينَ أقطارهَا

تعسفتَها سارياً والقطا

جَوَائِرَ عَنْ نَهْجِ أوْكَارهَا

وعانَ دعاكَ وصحبُ الهمومِ

تروحُ عليهِ بسمارهَا

فأنفذتهُ منْ يدِ الحادثاتِ

وَقَدْ عَلِقَتْهُ بأظْفَارهَا

ونجلاء تهزأ أرجاؤها

بأيدي الأسَاةِ وَمِسْمَارهَا

فضلتْ بها خطراتُ الظنو

نِ بينَ القلوبِ وأغمارهَا

ولهفي عليكَ وهوجُ الريا

تَسْحَبُ أذْيَالَ أعْصَارهَا

بغبراءَ تعرقُ كومَ المطيِّ

حتَّى تنوءُ بأوبارهَا

جَلَوْتَ غَيَاهِبَهَا وَالكِرَامُ

تُقْري الضُّيُوفَ بأعْذارهَا

وجدلَ سيفكَ شول اللقاح

وَقَدْ كَسَّعُوها بأعْبَارهَا

تَقَسَّمَها وَرَبَابُ القِدَاح

مُعَطَّلَةٌ عِنْدَ أيْسَارهَا

ولهفي لأخوانِ صدق أطلتَ

عَلَيْهَا بَقِيَّةَ أعْمَارهَا

مَلَكْتَ ضَمَائِرَهَا وَأسْتَرقَّ

جودكَ ربقةَ أحرارهَا

فإنْ نزحُوا فيكَ ماء الجفونِ

فَإنَّكَ إنْسَانُ أبْصَارهَا

وَإنْ عَقَرُوا لَكَ حَبَّ القُلُوبُ

فَقَدْ كُنْتَ مَوْضِعَ أسْرَارِهَا

برغمي نزلتُ بدارٍ تقيمُ

رَهْنَ ثَرَاهَا وَأحْجَارِهَا

تدارُ وليسَ بهَا منْ قرَا

إلاَّ الغَرَامَ لِزُوَّارِهَا

وَكُنْتَ بِعَلْيَاءَ مَطْرُوقَةٍ

يضيءُ النجومَ سنَا نارِهَا

إذَا عرستْ في دُرَاها الركابُ

فقدْ آمنتْ شدَّ أكوارِهَا

وَلَوْ نَزَلَتْ بِكَ فِيْهَا العُصَاةُ

حَمَلْتَ صَحَائِفَ أوْزَارِهَا

أبَا حَسَنٍ هِيَ دُنْيَا تُنَالُ

أقْدَارُهَا فَوْقَ أقْدَارِهَا

جرتْ في أبيكَ على عادةٍ

تموتُ الكرامُ بأوتارِهَا

وَقَدْ صَفَحَتْ عَنْكَ مِنْ بَعْدِهِ

فَإظْلامُهَا مِثْلُ إسْفَارِهَا

جَرَيْتَ عَلَى نَهْجِهِ فِي العُلا

فَكَانَ خَبِيْراً بَأوْعَارِهَا

وجادَ لنَا بكَ بعدَ الكرام

فَصَدَّقَ كَاذِبُ أخْبَارِهَا

آمُبيحَهَا فَضْلَ الأزمَّةِ قُصَّرِ

آمُبيحَهَا فَضْلَ الأزمَّةِ قُصَّرِ

فَمَعَ الصَّبَاح تَحِيَّةٌ مِنْ عَرْعَرِ

هبتْ تهادَاها البروقُ وبينَها

نشبَ الخداع وهزةُ المتذكرِ

والليلُ قدْ أخذَ السرَى منْ شبهِهِ

وأعارهُ دُللَ القلاصِ الضمرِ

يَا بَائِتِي إضَم وَمَنْ دينُ الهَوَى

بَثَّ السؤالَ لِكُلِّ مَنْ لَمْ يُخْبرِ

أعَلِمْتُمَا قَلْبي أقَامَ مَكَانَهُ

أمْ سَارَ فِي طَلَبِ الصَّبَاحِ المُسْفِرِ

أبلغْ أبا حسانَ أنَّ قلاصهُ

تجتابُ أرديةَ العجاجِ الأغبرِ

مَطْرُودَةَ وَعَلَى الشَّرِيْفِ فَوَارِس

يَتَرَنَّحُونَ مَعْ الوَشِيْجِ الأسْمَرِ

أخَذُوا مَنَاسِمَهَا الرِّيَاحُ عَشِيَّةً

ونجُوا وقومكَ فقعةً بالقرقرِ

وزعمتَ أنَّ البخلَ حامي سرحَها

أفهلْ أمنتَ الشك أم لم تعقرِ

كنْ في الطرادِ لبان طرفك مقدماً

وَإِذَا دُعيتَ إِلَى الطِّرَادِ فَشَمِّرِ

وَاهْجُرْ نُضَارَكَ مِثْل هَجْرِكَ لِلقِرَى

إنَّ المكارمَ في السبيلِ الأوعرِ

أفَمَا تَرَى ابْنَ العَامِرِيَّةَ سُبَّةً

شَنْعَاءَ مِثْلَ حَدِيْثِهَا لَمْ يُؤثَرِ

تَرَكَ الفَخَارَ لِعُصْبَةٍ يَمَنِيَّةٍ

غَلَبَتْ عَلَى الحَسَبِ الَّذي لَمْ يُعْمَرِ

أفلاَ يُحاذرُ أنْ يقولَ مخبرُ

في الحيِّ قصرَ عامرٌ عنْ حميرِ

سبقتِ كنانةَ فليثقْ منْ رامهَا

بالعجزِ عنْ شأوِ الصباحِ الأشقرِ

قومٌ أضاؤا والخطوبُ بهيمةٌ

كالبيضِ تلمعُ في خلالِ العثيرِ

يتغايرونَ على الندَى فكأنمَا

يجدُ الغنيُّ عداوةً للمعسرِ

ويسارعونَ إلى الوغَى وسيوفهُمْ

مغلولةٌ وكلومهمْ لمْ تسبرِ

أَلِفَتْ رِمَاحَهُمُ الطُّيُورَ كَأَنَّهُمْ

رَتَفُوا بِهَا خَلَلَ العَجَاجِ الأَكْدَرِ

لا يَرْقِدُونَ سِوَى مُعَرِّسِ سَاعَةٍ

يَتَفَيْئُونَ بِهَا ظِلالَ الضُمَّرِ

مِنْ كُلِّ وَرَّادِ الوَغَى بِحُسَامِهِ

وَالحَتْفُ مُعْتَرِض طَرِيْقَ المَصْدَرِ

حرم الأباء على الاسنة ظهره

فالمَوْتُ مُفْزِعُه إذَا لَمْ يَظْفَرِ

لانُوا وَفِيْهِمْ لِلْعَدُوِّ قَسَاوَة

كالماءِ يُغرفُ وهوَ غيرُ مكدرِ

في مُنْقِذٍ شَرَف فَإنْ وَصَلَتْ بِهِ

عجلٌ فليسَ وراءهُ منْ مفخرِ

سَبَقَ الكِرَامَ وَأخَّر ابْنَ مُقلَّدٍ

عنهمْ فكانَ السبقُ للمتأخرِ

شهرتْ مناقبهُمْ وزادَ فعالهُ

عَنْ شَأوهَا فَكَأنَّهَا لَمْ تُشْهَرِ

إنَّ الأصُولَ وَإنْ زَكَتْ أعْرَاسُهَا

لَوْلا الغُصُونُ فُرُوعُهَا لَمْ تُثْمَرِ

إنْ جَاوَدُوهُ فَحَاتِمٌ فِي طيِّهِ

أوْ نَازَلُوهُ فَعَامِرٌ فِي جَعْفَرِ

يُبْدِي عَلَى عَيْبِ الزَّمَان وَكُلَّمَا

صُقِلَ الحُسَامُ أفَاضَ مَاءَ الجَوْهَرِ

شَرِفَتْ أسِرَّةُ وَجْهِهِ بِحَيَائِهِ

شرق الصوارمِ بالنجيع الأحمرِ

وأرادَ إخفاءَ الندَى فأذاعهُ

لا يَظْهَرُ المَعْرُوفُ مَا لَمْ يَسْتُرِ

بيني وبينكَ حرمةٌ ما غالهَا

ولغُ الخطوبِ وذمةٌ لمْ تخفرِ

وَمَوَدَّة مُزِجَتْ بِأيَّامِ الصِّبَا

ورأت تغيرهُ فلمْ تتغيرِ

يُهْدِيْكَ كُلُّ جَدِيْدَةٍ نَعْمَاؤه

وَعِرِ السَّبِيْلِ إلَى العَلاءِ مُؤخَرِ

تتعجبُ الأيامُ كيفَ أطاعهُ

قدرٌ وفازَ منيحهُ في الميسرِ

وعَدَّ كَمَا خَدَعَ الجَهَامُ وَبَرْقُهُ

كذب وعارضُ مزنهِ لمْ يمطرِ

عدَّ الزمانُ لئامهُ فاستوقفتْ

تِلْكَ الخِلالُ عَلَيْهِ عِقْدُ الخِنْصَرِ

أهونْ بهِ ما كنتَ يا ابنَ مقلدٍ

عوني عليهِ وكانَ قومكَ معشري

أثني عليهِ بمَا علمتُ وبعضهُ

يُعِيي البَلِيْغَ وَإِنْ خَبرْتَ فَخَبِّرِ

وإذا أطلتَ وكانَ يُقصرُ عاجزاً

شكري فأعجبْ بالمطيلِ المكثرِ

رَمَى الدَّهْرُ دُوني وَهْوَ جَمٌّ صُرُوفُهُ

رَمَى الدَّهْرُ دُوني وَهْوَ جَمٌّ صُرُوفُهُ

وكلفني ما لا يقومُ بهِ شكري

فَإِنْ شُغِلتْ نَفْسِي بِغَيْرِ مَدِيحِهِ

فَعَدْتُ إلى مَا كُنْتُ فِيهِ مَعَ الدَّهْرِ

يُحَارِبُني فِي كُلِّ نَائِبَةٍ دَهْرِي

يُحَارِبُني فِي كُلِّ نَائِبَةٍ دَهْرِي

كأنَّ الرزايا تدركُ الفخرَ في قسري

أَضُمُّ لِسَعْدٍ شَارِدَ المَجْدِ وَالعُلَى

وسعدٌ يراني بالتشاوس والشزرِ

يحاولُ أنْ أرضَى الدنيةَ طائعاً

وأغدو بلا نابٍ يروعُ ولا ظفرِ

وَمِنْ دُون دُلّي عُصْبَةٌ عَامِرِيَّةَ

يلوونَ أعطافَ المثقفةِ السمرِ

إذا فوقَ الوسميُّ إبرادَ حاجرٍ

واثرت شِعَابُ الوَادِيَيْنِ مِنْ القَطْرِ

فلاَ تأمنُوا أنْ تسمعُوهَا مرنةً

بقرع العوالي والمهندةِ البترِ

يقولُ أبو حزنٍ طلبنَا لكَ الغِنى

فَلِمَ أخَذْتْ كَفَّاكَ فِي طَلَبِ الفَقْرِ

فَقُلْتُ رَأيْتُ المَالَ يَبْلَى حُطَامُهُ

وَتَبْقَى أحَادِيْثُ الرِّجَالِ مَعَ الدَّهْرِ

وشيبانُ لباني فلمَّا بلوتهُ

تقاعسَ عنِّي والأسنةُ في نحري

تحملَ عارَ الذلِّ واطرحَ الردَى

وطوقَها شنعاءَ أبقى منَ الذكرِ

وَقَارَعَني دُلاَنِ عَيْش عَلَى النَّدَى

كَمَا قَارَعَ الغَيْرانُ عَنْ بَيْضَةِ الخِدْرِ

أغادرتموهَا في الشريفِ خوامساً

طَلائِحَ لَمْ تَعْسِف بسوقٍ وَلا زَجْرِ

فهلْ فيكمُ أنْ تمنعُوا نزواتِها

بميسم عارٍ فيكمُ ثابتَ الذكرِ

أرُمْتُمْ مَدِيحي وَاطَّرَحْتُم ثَوَابَهُ

وَهَلْ تُمْلِكُ الحَسْنَاء إلاَّ عَلَى مَهْرِ

فَمَا لِي أرْضَى مِنْكُمْ بِدَنِيَّةٍ

تَحُضُّ الرِّجَالَ الأبْعَدِيْنَ عَلَى نَصْرِي

وفي الحيِّ محمودُ بنُ نصرِ بنِ صالحِ

أخو الغارةِ الشعواء والكرم الدثرِ

أقلها من الحي اللئيم ونادها

مراحكَ هذا آخرُ العهدِ بالضرِّ

فإن هي حنَّت في بيوت بن صالح

فلا عقلتْ إلاَّ قيوداً منَ العقرِ

مِنَ القَوْم صَالَ الدَّهْرُ إلاَّ عَلَيْهِمُ

وَصَالُوا بِبِيْضِ الهِنْدِ حَتَّى عَلَى الدَّهْرِ

لَهُمْ فِي قِرَاعِ المَحْلِ أيْدٍ كَأنَّمَا

يعدونَهَا وقفاً علَى الحججِ الغبرِ

إذا سئلُوا خلتَ الندَى في أكفهمْ

تشربَ ماء في وجوههمُ الغرِّ

وإنْ أخصبُوا بالطعنِ عادُوا منَ الندَى

سراعاً إلى داعي الخصاصةِ والعُسرِ

تَمِيْسُ بِهِمْ فِي طَاعَةِ الجُودِ هَزَّةٌ

كَمَا طَرِبَ النَّشْوَانُ مِنْ نَشْوَةِ الخَمْرِ

وَمَا كَاثَرَتْ جُنْحَ الظَّلاَمِ سُوَامُهُمْ

فَرَوَّحَهَا الرِّعْيَانُ إلاَّ عَلَى النَّحْرِ

إذا انتسبُوا خلتَ السماءَ تهافتتْ

عَلَيْهِمْ وَبَانَتْ مِنْ كَوَاكِبِهَا الزُهْرِ

هُمُ البيضُ إلاَّ أنَّهُمْ وَاصلُوا القِرَى

وقدُّو الطلى والبيضُ تفري ولا تقري

وُجُوهٌ كايماضِ الصَّوَارِم أشْرَقَتْ

منَ الحسبِ الوضاحِ والنائلِ الغمرِ

وَخَيْلٌ تَبَارَى بالرِّمَاحِ كَأنَّمَا

أغارَت علَى ما في الرماحِ منَ الضمرِ

وبيضٌ بهَا ماء الفرندِ كأنهُ

دُمُوعُ الغَوَادِي جُلْنَ فِي حَدَقِ الزَّهْرِ

حَبِيْبٌ إلَيْهِمْ أنْ تِلِمَّ مُلِمَّةٌ

وتطرفهمْ فيما أصابُوا منَ الوفرِ

هُمْ ظَفَرُوا بالعِزِّ عَنْ سَيْفِ صَالِحٍ

وغرِّ المعالي عنْ ثمالٍ وعنْ نصرِ

وَنَالُوا بعزِّ الدَّوْلَةِ المَجْدَ شَائِداً

لِمَّا أثَّلُوهُ مِنْ عَلاء وَمِنْ فَخْرِ

فتىً ذللَ الأيامَ حتَّى تثقفتْ

عَلَى الهوْنِ وَانْقَادَ الزَّمَانُ عَلَى القِسْرِ

إذَا شردَ المعروفُ أوْ جمعَ العُلَى

رَأيْتَ الفِعَالَ السَّهْلَ فِي المَطْلَبِ الوَعْرِ

أشدَّ احتقاراً للردَى منْ حسامهِ

وأدنى إلى شرِّ الأعادي منَ الذعرِ

لهُ خلقٌ في المحلِ غيثٌ وفي الصبا

نسيمٌ وفي جنحِ الدجا غرةُ الفجرِ

حدوتُ إليهِ المدحَ حراً وطالمَا

بَخِلْتُ بهِ حَتَّى تَقَاعَسَ فِي فِكْرِي

وَأكْبَرْتُ قَدْرِي أنْ يَجُودَ بهِ فَمِي

ونزهتُ نفسي أنْ يجيشَ بهِ صدري

فَجَادَ عَلَى إحْجَامِهِ بِشَوَارِد

جَوَائِلَ فِي الآفَاقِ مِصْراً إلَى مِصْرِ

إذَا غَرَّدَ الحَادِي بِهَا خَفَرْتَ بِهِ

حَنِيْنَاً وَأضْحَى وَهُوَ حَاسِدُهَا يَطْرِي

وَلَيْلَةَ وَصْلٍ غَابَ عَنَّا رَقِيْبُهَا

وَلَيْلَةَ وَصْلٍ غَابَ عَنَّا رَقِيْبُهَا

مَعَ الدهرِ لا عادَ إلى آخرِ الدهرِ

نَهَيْنَا بِهَا جُنْحَ الظَّلامِ فَمَا بَدَتْ

أوَائِلُهُ حَتَّى خَلَطْنَاهُ بالفَجْرِ

أسرفتَ في أنسِ الغريبِ وبرهِ

أسرفتَ في أنسِ الغريبِ وبرهِ

ورفعتَ منْ قدرِ البعيدِ بذكرهِ

وَبَعَثْتَ فِي ريْحِ الشَّمَالِ تَحِيَّةً

عادتْ إليكَ بعبقةٍ منْ شكرهِ

لا تَعْجَبَنَّ لِحَرِّهَا مِنْ بَعْدِ مَا

بردتْ فقدْ مرت بلوعةِ صدرهِ

وسألتُ عنهُ ومَا يذمَّ زمانهُ

لوْ كانَ يعرفُ ليلهُ منْ فجرهِ

مُتَقَسِّمُ العَزَمَاتِ يُنْفِقُ عُمْرَهُ

سَرَفاً عَلَى نَهْيِ الزَّمَانِ وَأَمْرِهِ

غدرتْ بهِ أيامهُ في عفةٍ

منْ مالهِ وصيانةٍ منْ شعرهِ

فَإِذَا أَرَادَ مَدِيْحَ مِثْلِكَ أَظْلَمَتْ

سدفُ الهمومِ على مطالعِ فكرهِ

لحَا اللهُ مَغْلُوباً عَلَى نَصْلِ سَيْفِهِ

لحَا اللهُ مَغْلُوباً عَلَى نَصْلِ سَيْفِهِ

مقيماً على نهيِ الزمانِ وأمرهِ

أَنَاخَ بِدَارِ الهُوْنِ حَتَّى كَأَنَّمَا

يرَى الرزقَ مقصوراً على مستقرهِ

إنْ كانَ ليلي طويلاً بعدَ بينكمُ

إنْ كانَ ليلي طويلاً بعدَ بينكمُ

فقدْ نعمتُ بكمْ والليلُ كالسمرِ

مَا أَظْلَمَ الدَّهْرُ لَيْلِي فِي فِرَاقِكُمُ

بليلِ وصلكمُ فالطولُ بالقصرِ

ومفوقٍ ألحاظهُ وسهامهُ

ومفوقٍ ألحاظهُ وسهامهُ

وَكَأَنَّ مَا فِي جَفْنِهِ فِي خَصْرِهِ

مَلَكَ الزَّمَانَ بأسْرِهِ فَنَهَارُهُ

في وجههِ وظلامهُ في شعرهِ

وَسَطا عَلى الصَّهْباء حَتَّى لَوْنُها

مِنْ خَدِّه وَحُبَابُهَا مِنْ ثَغْرِهِ

فأجابه:عَلى أيِّ حَالٍ فِيْكَ أعْجَبُ لِلْغَدْرِ

فأجابه:عَلى أيِّ حَالٍ فِيْكَ أعْجَبُ لِلْغَدْرِ

وَمَا أنْتَ إلاَّ وَاحِدٌ مِنْ بَنِي الدَّهْرِ

سجيةُ حظٌّ عازبٍ ما نكرتهَا

وَخُطَّةُ جَوْرٍ قَدْ أُلِفْتُ بِهَا صَدْرِي

فَكُنْ كَيْفَ مَا شَاءَ الزَّمَانُ فَإنَّهُ

لَدَيْكَ مُطَاعُ القَوْلِ مُمْتَثَلُ الأمْرِ

وَدَرْنِي فَمَا أعْدَدْتُ بَعْدَكَ سَاعِدَي

مُعِيني وَلا صَدْري أمِينا عَلى سِرِّي

ولكنْ شجاني أنَّ ودكَ ضاعَ مِنْ

يدِي وقدْ أنفقتُ في كسبهِ عمري

فَلو عَلِقَتْ نَفْسِي بِغَيْرِكَ لَمْ تَكُنْ

تُؤمِّلُهُ إلاَّ لِيَشْفَعَ فِي الحَشْرِ

شَبَابٌ تَقَضَّى فِي هَوَاكَ وَشُرَّدٌ

مطوحةُ الأبناءِ جائلةُ الذكرِ

أغَارُ عَلَيْهَا أنْ تُعَانَ بِشَافِعٍ

إلَيْكَ وَتَسْعَى فِي رِضَاكَ عَلَى قَسْرِ

وَيَكْتُمُهَا الرَّاوي حَيَاء وَعَرَفُهَا

يَنِمُّ كَمَا نَمَّ النَّسِيْمُ عَلَى الزَّهْرِ

علقتُ بهَا عطفَ الخيالِ الذي يسري

عَهدْتُكَ مِطْوَافٌ الهَوَى كُلَّ لَيْلَةٍ

تَرُوحُ إلى وَصْلٍ وَتَغْدُو عَلَى هَجْرِ

إذَا أحكمتْ فيكَ العهودُ زمامَها

فَذَلِكَ أدْنَى مَا تَكُونُ إلى الغَدْرِ

رضاكَ علَى سخطٍ وصفوكَ في قذًى

وحبكَ في بغضٍ وحلمكَ عنْ غمرِ

خَلائِقُ تَفْويفُ الرِّيَاضِ كَأَنَّمَا

سَقَاهَا سَحَابٌ مِنْ أَنَامِلِكَ العَشْرِ

وَوَجْهٌ يَخَالُ البَشَرَ فِيْهِ عَنْ الرِّضَى

وَمَا كُلُّ ضَوءٍ لاحَ مِنْ وَضَحِ الفَجْرِ

فَمَالَكَ تَرْمِيْنِي بعَتَبٍ جَهلْتُهُ

فلمْ أرَ فيهِ وجهَ ذنبي ولا عذري

وَكَيْفَ أضَلتني الهُمُومُ وَطَوَّحَتْ

بلبيَ حتَّى صرتُ أجني ولاَ أدري

طويتُ على غلٍّ ضميركَ بعدَ مَا

تَوَهَمْتُ أنَّ السِرَّ عِنْدَكَ كَالهَجْرِ

فَمَا أعْرَبَتْ عَنْكَ الجُفُونُ بنَظْرَةٍ

إذَا بثَّتِ الأحْقَادَ بالنَّظَرِ الشَّزَرِ

تغلُّ علَى العتبِ بينَ دلائل الصفاء

وتجلُو الحقدَ في رونق البشر

فَمَا كُنْتُ إلاَّ السَّيْفُ يَسْعُرُ حَدُّهُ

ضرامُ الوغَى والماء في متنهِ يجري

فأيُّ خليلٍ بالتجنّي حملتهُ

على الخطةِ الشنعاءِ والمركبِ الوعرِ

وأيُّ حسامٍ فلَّ رأيكَ حدهُ

وقدْ كانَ يفري والقواضبُ لا تفري

فلوْ لمْ أرَ البقيَا أطعتُ حفيظتَي

عليكَ ولكنْ ليسَ قلبكَ في صدري

وكنتُ جديراً أنْ أبيتَ وبيننَا

مهامهُ تسري الشهبُ فيها على ذعرِ

يضلُّ بهَا عنِّي خيالكَ قصدهُ

ولوْ ركبَ الجوزاء أوْ صهوةَ البدرِ

وهيهاتَ لوْ ناديتنَي ساكنَ الثرى

أجبتُ فصيحاً لا صدَى جانبَ القبرِ

وَإنِّي وَإنْ كَانَتْ سَمَاؤكَ أمْطَرَتْ

سحائبَ عرفٍ ناءَ في حملهِ ظهري

لأعلمَ أنِّي بانتسابي إليكمُ

على الكرمِ الوضاحِ والمنصبِ الجَرِ

جَرَيتُ بأوفَى مَا تَطُولُ بِهِ يَدِي

وَجُدْتُ بِأعلَى مَا يَضِنُّ بِهِ شُكْرِي

غضبتُ على جدواكَ نفساً أبيةً

فصارَ غنائِي عنكَ أوضحَ منْ فقري

وعلمتني بذلَ النوالِ توكلاً

عليكَ كمَا جادَ السحابُ منَ البحرِ

فَإِنْ كَانَ إِدْلائِي عَلَيْكَ جِنَايَةً فَإِنَّكَ

أهل للتعمدِ والغفر

ولستُ بعيداً من رضاكَ وبيننَا

مَوَاثِقُ تُلغى فِي وَسَائِلِها وزْرِي

وكمْ لكَ عندي منةٌ ما وفى بهَا

ثنائي فلا شكري رضيتُ ولاَ كفري

وقبلكَ ما عرضتُ نفسي لنائلٍ

يعدُّ ولا رمتُ الرواءَ منَ القطرِ

وَلا كُنْتُ إلاَّ رَاضِياً بِقَنَاعَةٍ

أعيشُ بهَا بينَ الخصاصةِ واليسرِ

ولكنَّ حظِّي منْ سحابكَ شيمةٌ

تَكْثُر حُسَّادِي وَتَرْفَعُ مِنْ قَدْرِي

فِدَاكَ كَرِيْمٌ جَادَ مِنْ فَضْلِ مَالِهِ

فَإِنَّكَ مَا أعْطيتَ إلاَّ عَلَى عُسْرِ

فَكَيْفَ عَمِيْدٌ بالثَّرَاءِ قِلاصُهُ

قِلاصُ الثُّرَيَّا لا تَخَافُ مِنْ النَّحرِ

ولا زلتَ أحلى في الجفونِ منَ الكرَى

وحبكَ أحلى في القلوبِ منَ الذكرِ

وَاخَجَلَتَا لِلطَّيْفِ لَمَا سَرَى

وَاخَجَلَتَا لِلطَّيْفِ لَمَا سَرَى

في خطرِ الليلِ إلى ساهرِ

زِيَارَة ضَاعَتْ وَلَكِنَّهَا

ألا أرقتُ لِلمْع بَرْقٍ سَارَ

ألا أرقتُ لِلمْع بَرْقٍ سَارَ

باتتْ تجردهُ يدُ الأمطار

يَبْدو وَيُخْفِيهِ الحَيَا فَكَأَنَّهُ

عزمٌ تجاذبهُ منَ الأفكار

وافَى علَى شعثٍ أضاعَ كراهمُ

خِصْبُ اللِّئَامِ وَضَيْعَةُ الأحْرَار

عمدُوا إلى أسيافهمْ فكأنَّهَا

آلتْ لِتُنْجِدَهُم عَلَى الأقْدَار

يحدُو بعزهمُ كريمُ قبيلةٍ

ذلُّ العدو بهَا وعزُّ الجار

يَرْتَاحُ لِلْبَرق المُضيءِ ولَو رَمَى

فِي كُلِّ جَارِحَةٍ بِحَدْوَةِ نَار

أخيالَ عذبةَ ما هداكِ لعصبةٍ

صحبُوا الدجَا نشوَى بغير عقار

ما زالَ عضبُ البين يفري شملهمْ

حَتَّى طرَقْتُهُمُ عَلَى الأكْوَار

يا دارُ سقياً للكثيبِ وصحبُنَا

آرامُه وَاللَّيْلُ لونُ عِذار

أيامَ فيكَ إذا تشاءُ يدُ الهوى

جَادَتْ بِبَدر دُجَا وَشَمْس نهَار

قَصُرْتَ لَيَالِيْهِنَّ إلاَّ أنَّهَا

تذرُ النفوسَ طويلةَ التذكارِ

هزيجٌ ينظمُ فوقَ أجيادِ الربَا

سمطيْ عرارٍ فائحٍ وبهارِ

زَهْرٌ كَزُهْرِ الشُّهْبِ إلاَّ أنَّهُ

مُتَبَسِّمٌ مِنْ دَمْعِهِنَّ الجَارِي

أمَا الزَّمَانُ فَمُوجِزٌ فِي وَعْظِهِ

أمَا الزَّمَانُ فَمُوجِزٌ فِي وَعْظِهِ

وظفرتُ بالإشهابِ في إيجازهِ

لا تُخْدَعَنَّ فَمَا حَقِيْقَةُ أمْرِهْ

عندَ النهَى إلاَّ كمثل مجازهِ

سبَقَ اللِّئَامُ بِهِ الكِرَامَ كَأَنَّمَا

قُيِّدَتْ هَوَادِيْهِ إلى إعْجَازِهِ

كَمْ مَوْعِدٍ مِنْهُ تَعَلَّقَ طَامِعٌ

سَفَهًا فَحَالَ المَوْتُ دُونَ نَجَازِهِ

منْ كانَ مقتنعاً فقدْ وجدَ الغنَى

فِي شَامِهِ وَعِرَاقِهِ وَحِجَازِهِ

مَا ذُكَرَ الرَّوْضُ وَقَدْ تَنَفَّسَا

مَا ذُكَرَ الرَّوْضُ وَقَدْ تَنَفَّسَا

غَيْرَ حَدِيْثِ الرَّكْبِ حِيْنَ عَرَّسَا

رَكِبُ هَوَى تَجَاذَبُوا حَدِيْثَهُ

فَأترَعُوا مِنَ الغَرَامِ أكْؤسَا

وَأسْبلُوا مِنَ الجُفُون أدْمُعَا

ظَنَنْتهُا مَاء وَكَانَتْ أنْفُسَا

يا صاحبيْ رحليْ بجرعاءَ الحمَى

مَا يُعْذِلُ الخَائِفُ إنْ تَجَسَّسَا

لَقَدْ سَمِعْتُ فِي الرِّحَال أنَّةً

أظنُّها نشطةَ وجدٍ حبسَا

ويا خليليَّ املكَا طرفيكمَا

لا تَنْظُرَان الحَي حِيْنَ غَلَّسَا

فإنَّ قلبي يومَ سفحِ حاجرٍ

يَغُرُّهُ دَاعِي الهَوَى فَاخْتَلَسَا

وَمَا عَلَى قَوْمِكَ يَا ذاتَ اللَّمَى

إنْ نحنُ حيينَا محلاً درسَا

ومَا علَى زواركمْ لوْ لثمُوا

عنَّا فروعَ شيحكمْ والمغرسَا

فَرُبَّ لَيْلٍ فِي هِضَابِ عَاقِلٍ

رقَّ نسيماً حينَ طابَ ملبسَا

يظننِي الغيرانُ قدْ شهدتهُ

وإنمَا ظننتهُ تفرسَا

استغفر الله القديمَ وعذبهِ

استغفر الله القديمَ وعذبهِ

مِنْ شَرِّ عَافٍ فِي الحُطَامِ مُنَافِسِ

وَاصْنَعْ جَمِيلاً لا يَضِيْعُ صَنِيْعُهُ

وَاسْمَحْ بِقُوَّتِكَ لِلضَّعِيفِ البَائِسِ

وَاقْنَعْ فَفِي عَيْشِ القَنَاعَةِ نِعْمَةٌ

لا تتقي كفَّ الزمانِ الخالسِ

لا تَرْكِنَنَّ إلى المراءِ فإنَّهُ

سببٌ لكلِّ تنافرٍ وتشاوسِ

ضلت بنُو غطفانَ لمّا قتلت

سَادَاتُهَا غَضَبَا لِلطَّمَةِ دَاحسِ

والحارثُ البكريُّ قامَ إلى الوغَى

منْ بعدِ ما أمضَى عزيمةَ جالسِ

أَلِفَ البَخِيْلُ مَكَاسَهُ فِي مَالِهِ

وَالعُمرُ أَنْفِقَ مِنْهُ غَيْرُ مُمَاكِسِ

وثوَى فأرمسَ ثمَّ صارَ تراثهُ

قسماً يفيضُ بهِ دموعُ الرامسِ

عاذتْ بنُو حواءَ منْ إبليسَ في الـ

ـدنيَا وكمْ فيهمْ فنونُ أبالسِ

درسُوا العلومَ ليملكُوا بجدالهمْ

فِيْهَا صُدُورَ مَرَاتِبٍ وَمَجَالِسِ

وتزهدُوا حتَّى أصابُوا فرصةً

فِي أَخْذِ مَالِ مَسَاجِدٍ وَكَنَائِسِ

إِيْوَانُ كِسْرَى صَارَ مَرْتَعَ ثُلَّةٍ

وديارهُ باتت مناخَ عرائسِ

والحيرةُ البيضاءُ بدلَ أنسهَا

قَدرٌ أطَاعَتْهُ مَدَائِنُ فارِس

يا عقلُ ما لكَ في اللطائفِ منهجٌ

فَلإِنْ عَثَرتَ فَلا لَعا لِلنَاعِس

أما النجومُ فقد تضمنَ شأنها

جهلُ اللبيبِ وبعدُ نيلِ اللامس

عَمْرِي لَقَدْ ذَهَبَ الذَّينَ تَفَكَّرُوا

فِيْهَا وَمَا ظَفِرُوا بِغَيْرِ وَسَاوِس

مَا قَوْلُ بَطْلِيْمُوسُ فِيْهَا حُجَّةً

عِنْدِي وَلا المَروِيَّ عَنْ رُسْطَالِس

حارَ الأنامُ فلاَ دلالةُ ناظرٍ

تَشْفِي العُقُولَ وَلا إمَارَةُ قَابِس

لا تحفلنَّ بمَا حوتهُ صحائفٌ

لهمُ وإنْ وجدتْ بخطٍّ دارس

فالمَيْنُ رُكِّبَ فِي طَبَائِعَ أرْبَع

والصدقُ عدَّ من القبيلِ الخامس

عجباً لهمامٍ ينازعُ خصمهُ

في آلِ يربوعٍ وأسرةِ حابس

هَيْهَاتَ مَا شَرَفُ الأصُولِ بنَافِعٍ

حَتَّى يَكُونَ ذَوَائِبٌ لِمَغَارِس

لا تَفْعَلَنَّ وَان فَعَلْتَ فَبالتُّقَى

نَاضِلْ وَفِي بَذْلِ المَكَارِمِ نَافِس

ألمْ أقلْ لكَ لا تخلسْ محاسنهُ

ألمْ أقلْ لكَ لا تخلسْ محاسنهُ

فإنَّ طرفكَ موتورٌ منَ الخلسِ

ظبيٌ رميتُ لهُ عينيَّ خائلةً

ومَا علمتُ بأنَّ الليثَ في الكنسِ

عَلاقَةٌ بِتُ عَنْهَا غَيْرَ مُعْتَذِرٍ

وَهَفْوَةٌ كُنْتُ مِنْهَا غَيْرَ مُحْتَرِسِ

جَرَيْتُ فِيْهَا عَلَى حُكْمِ الصِّبَا وَلَعاً

فإنْ ضللتُ فإنِّي بعدُ في الغلسِ

عَدَتْنِي عَوَادٍ عَنْكَ يَا ابْنَ مُحَمَّدٍ

عَدَتْنِي عَوَادٍ عَنْكَ يَا ابْنَ مُحَمَّدٍ

تَأَوّبَنِي مِنْ لَدْعِهَا نَازِحُ النَّكْسِ

ولمْ ألقَ في يومي سروراً يجبرُني

من الهمِّ إلاَّ بتَّ ما كانَ في أمسِ

فإنْ عاقَ دهرٌ عنكَ مثرٍ منَ الذي

تُبَاعُ لَهُ الأَوْطَانُ بِالثَّمَنِ البَخْسِ

وَخَادَعَ بِالقَوْمِ الَّذِيْنَ دُنُوُّهُمْ

بِبُعْدِكَ عَنْ عَيْنِي بَغِيْضٌ إِلَى نَفْسِي

فَلَمْ أَقْتَنِ الإِبْدَالَ مِنْكَ وَإِنَّمَا

فزعتُ إلى الملحِ الأجاجِ منَ الخمسِ

أبَا حَسَنٍ لو قُلتُ فِي ذِكْرِ وَحْشَتِي

أبَا حَسَنٍ لو قُلتُ فِي ذِكْرِ وَحْشَتِي

لِبُعْدِكَ شِعْراً كَانَ يُعْرِبُ عَنْ أُنْسِي

أبَى ذاكَ إنِّي مُذْ رَحَلْتُ بِخَاطِرٍ

كَلِيلٍ وَقَلبٍ بِالجَّوَى عَازِبِ الحِسِّ

أطالتْ عليَّ الليلَ سودُ همومهِ

كأنِّي خلفتُ السرورَ معَ الشمسِ

فهلْ أنتَ ممنْ يدَّعي ما ادعيتهُ

وَقَدْ صِرْتُ بَعْدَ البَيْنِ أفْصَحُ مِنْ قُسِّ

وجاءَ كلامٌ منكَ دلَّ صقالهُ

وَصِدْقُ مَعَانِيْهِ عَلَى جَذْلِ النَّفْسِ

فَأَيْنَ غَرَامٌ يَعْقِلُ الفِكْرَ بَعْضُهُ

ووجدٌ يعيدُ المسهبينَ منَ الخرسِ

وهيهاتَ لوْ كانتْ جفونكَ أطلقتْ

مدامعهَا ألفيتَ ذهنكَ في حبسِ

وأجبلتَ حتَّى صرتَ مثْلي فإنَّني

بِبُعْدِكَ قَدْ لاقَيْتُ ضرباً مِنَ المَسِّ

فلمْ تجتمعْ لي أحرُف في صحيفةٌ

كأنَّ الدجَا نفسي وشمسُ الضحى طرْسي

يَا نَاق إنْ أثرَى العذيبُ وروضَا

يَا نَاق إنْ أثرَى العذيبُ وروضَا

فلنَا ديون بالأسنةِ تقتضَى

قدْ ماطلَ القدرُ الجموحُ بوعدهِ

فيهَا وآنَ لمغمدٍ أنْ ينتضَى

بيني وبينَ الذلِّ عزُّ قناعةٍ

نَبَذَ الجَمَامَ ابَاؤهَا وَتَبَرَّضَا

وَسِنَانُ مُطَّرِدِ الكُعُوبِ مُثَقَّفٌ

كالصلِّ صرحَ بالوعيدِ ونضنضَا

حُبُّ الغِنَى عَقَلَ اللِّئَامَ وَفَاتَهُ

طَيَّانُ أثرَبَ بالثَّنَاءِ وَأنْفَضَا

غصبَ السراحَ علَى بقيةِ زادهَا

وقرَى فأمحضَ للضيوفِ وأنحضَا

عرضْ ثراءكَ للخطوبِ وشلهُ

شلَّ الطريدةِ قبلَ أنْ يتعرضَا

وَأنْبُذْ غِنَاكَ فَمَا رُزِيْتَ بذَاهِبٍ

لمْ يبدُ عندكَ نفعهُ حتَّى مضَى

إنْ راعَني وضحُ المشيبِ فإنهُ

بَرْقٌ تَأَلَّقَ بالخُطُوبِ وَأوْمَضَا

وَلَقَدْ أضَاءَ وَأظْلَمَتْ أيَّامَهُ

حتَّى عرفتُ بهِ السوادَ الأبيضَا

وبجانبِ العلمين شاكٍ سرهُ

إنِّي رعيتُ لهُ النجومَ وغمضَا

ومرنحٍ فطنَ النسيمُ بوجدهِ

فروَى لهُ خبرَ العذيبِ معرضَا

نَمْ وَاحْمَدِ اللَّيْلَ القَصِيْرَ فَلَيْلُهُ

بَادِي الهُمُومَ فَلا انْقَضَيْنَ وَلا انْقَضَى

وسلِ الصباحَ وقدْ أقامَ بحاجرٍ

إنْ كانَ أضمرَ أنْ يمرَّ علَى الفضَا

ذمَّ الزمانَ فمَا وجدتُ صروفهُ

إلاَّ ذلُولاً في القِيَادِ وَرَيِّضَا

صفحتْ نوائبهُ عن ابن مقلدٍ

كرماً فكيفَ ألومهُ فيمَا مضى

ولقدْ ألمَّ بهِ فأظهرَ فضلهُ

والنارُ لا تشتبُّ حتَّى تحتضَى

راضَ الزمانَ فأصبحتْ أخلاقهُ

وَأعَادَ صَبْغَ شَبَابِهِ لمَّا نَضَا

منْ معشرٍ بذلُوا النفوسَ سماحةً

وحمُوا بيوتَ المجدِ أنْ تتقوضَا

عادتْ بهمْ ظلمُ الخطوبِ مضيئةً

وَالجَدْبُ مُوشِيُّ البُرود مُرَوَضَا

لولا مُخَالَطَةُ الصَّوَارمِ وَالقَنَا

مَنَعَ السَّمَاحُ أكُفَّهُمْ أنْ تُقْبَضَا

قومٌ إذا استنجدتهمْ لملمةٍ

ملأتْ عليكَ جيادهمْ رحبَ الفضَا

السُّمْرُ تَشرَعُ وَالدُّرُوعُ تَصُونُهَا

سُحْبِ السِّهَامِ كَأَنَّهَا رُسُلُ القَضَا

وَالنَّقْعُ يُسْفِرُ بِالظُّبَا فَكَأَنَّهُ

غضبٌ تبسمَ بينهُ لمعُ الرضَا

أسْيَافُهُم في رَاهِطٍ مَعْرُوفَةٌ

مَنَعَتْ دَعَائِمَ عِزِّهِمْ أنْ يُدْحَضَا

وَتَقَلَّدَ العُمَرِي مِنْ إيْمَانِهِمْ

عاراً يطولُ عليهِ حتى يرحضَا

يَا مَنْ إذَا مَا ذَادَ عَنْ أحْسَابِهِمْ

يَوْمَ النِّضَالِ أصَابَ لَمَّا أنْبَضَا

خفضْ عليكَ فكمْ ظفرتَ بغايةٍ

وكبَا وراءكَ جاهدٌ ما خفضَا

بيني وبينكَ ذمةٌ مرعيةٌ

حاشَا مرائرُ عهدِها أنْ تنقضَا

عَيْنُ الحَوَادِثِ دُونَهَا مَطْرُوفَةٌ

نظرَ المحبّ سلا وعاودَ مبغضَا

فَأصِخ إلَيَّ وَلِلحَدِيْثِ شُجُونُهُ

حَتَّى أبُثَّكَ مَا أمَضَّ وَأرْمَضَا

مَا أخَّرَتْنِي عَنْ جَنَابِكَ هِمَّةٌ

وَجَدَتْ مِنَ الأهْوَاءِ عَنْكَ مُعَوَّضَا

لكنهُ قدرٌ أناخَ ركائبي

قَسْراً وَقَيَّدَ هِمَّتِي أنْ تَنْهَضَا

وعلمتَ أنكَ كالنسيمِ مخلدٌ

أبداً وليسَ يصحُّ حتى يقبضَا

فَاغْفِرْ لِخِلٍّ لو أبِيْعَ هَوَاكُمُ

بِحَيَاتِهِ هَجَرَ الحَيَاةَ وَأعْرَضَا

وفداكَ صبٌّ بالثراءِ محرمٌ

بسطَ البنانَ عليهِ حتى يقبضَا

نَبَذَ الإبَاءَ فَإنْ تَنَكَّرَ حَادِثٍ

أَلْقَى مَقَالِدُهُ إلَيْهِ وَفَوَّضَا

واسمعْ شواردَ لا تملُّ غريبهَا

حتى تملَّ منَ البقاءِ وتغرضَا

قدْ كانَ يسهلُ خاطِري فكأنهُ

سَئِمَتْ رَكَائِبُهُ الرِّيَاضَ فَأَحْمَضَا

فِكْرٌ أَقُودُ بِهِ الجُمُوحَ كَأَنَّمَا

طبعُ الرضيِّ لهُ وعلمُ المرتضَى

يَا مَنْ رُمَيْتُ بِعَتْبِهِ حَاشَاكَ مِنْ

يَا مَنْ رُمَيْتُ بِعَتْبِهِ حَاشَاكَ مِنْ

عَتْبٍ يَعُزُّ عَلَيَّ أَوْ إِعْرَاضِ

لِي أُسْوَةٌ فِيْمَا فَعَلْتُ وَلَسْتُ مَنْ

تخفَى عليهِ إشارةُ الأغراضِ

لولا هواكَ وجدتُني وخلائقي

شَمْسٌ وَسَيْفِي بِالقَطِيْعَةِ مَاضِي

فَاعْطِفْ عَلَيَّ وَلا تَكُنْ مُتَسَرِّعَا

فيما أحاذرهُ وخصمي راضِي

وَمِنَ العَجَائِبِ أَنْ تَكُونَ قَضِيَّةٌ

يَرْضَى الخُصُومُ بِهَا وَيَأْبَى القَاضِي

ومَا زلتُ أغضِي عنكَ بالليلُ كلمَا

ومَا زلتُ أغضِي عنكَ بالليلُ كلمَا

بدوتَ ولولا خوفُ قومكِ لمْ أغضِ

وَأرْقُبُ زُوراً مِنْ خَيَالِكِ طارِقًا

وهيهاتَ منْ شرطِ الهوَى عدمُ الغمضِ

هَجَرْتُكِ خَوْفًا مِنْ بُعَادٍ يُثِيْرُهُ

دُنُوِّي وَبَعْضُ الشرِّ أهْوَن مِنْ بَعْضِ

فَيَا حَاكِمَ الأيَّامِ إنْ كُنْتَ قَاضِيَا

بوصلٍ فبادرْ قبلَ نقضي ولا تقضِ

قُبْحَا لِيَومِكَ فَالنَّوَائِبُ بَعْدَهُ

قُبْحَا لِيَومِكَ فَالنَّوَائِبُ بَعْدَهُ

وأقولُ لوْ أنَّ النوائبَ تسمعُ

وَأخَادِعُ الأيَّامَ وَهِي مَلِيَّةٌ

بنتاجِ كلِّ ملمةٍ لا تخدعُ

لا تغبطنَّ على البقاءِ مرزأ

إنَّ المُوَدِعَ إلفَهُ لِمُوَدِّعُ

مَاطِلْ بِطَرْفِكَ يَا زَمَانُ فَإنَّهُ

لَمْ يَبْقَ عِنْدِي للصَّبَابَةِ مَوْضِعُ

أوْ فارمنِي بسهامِ خطبكَ جاهداً

إنْ كانَ في قوسِ الحوادثِ منزعُ

لا سالمتني النائباتُ فإنَّني

ثَلِجُ الفُؤادِ إذَا تَقُودُ فَأتَّبِعُ

وَعَدِمْتُ أوْطَانِي فآنسُ أرْضِهَا

وَحْشٌ وَأضْيَقُهَا عَلَيَّ الأوسَعُ

أوضحتَ لي سبلَ الهمومِ كأنمَا

صَبْرِي تَخِبُّ بِهِ الركَابُ وَتُوْضِعُ

وَأضَقْتَ ذَرْعِي بِالعَزَاءِ وَطَالمَا

أمْسَى رَحِيْبًا إذْ تَضِيْقُ الأذْرُعُ

وحجبتَ عنْ عيني الضياء كأنَّما

الآفاقُ غربٌ ليسَ فيهِ مطلعُ

فلتفخرِ الأيامُ أنَّ ملمةً

مِنْهَا أهَالُ بوَقْعِهَا وَأرَوعُ

قُبْحًا لِيَومِكَ فَالنَّوَائِبُ بَعْدَهُ

جَلَلٌ وَكُلُّ رَزِيَّةٍ لا تَفْجَعُ

أشكُو فراقكِ ثمَّ أعلمُ عندهُ

أنَّ السَّبِيْلَ إلى لِقَائِكِ مَهْيَعُ

وَرَجَوْتُ قُرْبَكِ وَالدِّيَارُ بَعِيْدَةً

فَاليَوْمَ أخْفَقَ في اللِّقَاءِ المَطْمَعُ

لوْ كانَ ينفعُني السلوُّ نبذتهُ

أسفاً عليكِ فكيفَ إذْ لا ينفعُ

هيهاتَ يجمعُ شملَ صبرٍ نافر

قلبٌ بأيدي الحادثاتِ موزعُ

أحْنُو الضُّلُوعَ عَلَى بَوَاعِثِ غُلَّةٍ

ضمنَ أذكاركَ أنَّها لا تنقعُ

وألومُ طولَ الليلِ أرقبُ فجرهُ

أوْ مَا ابْيضَاضُ الصُّبْحِ بَعْدَكِ أسْفَعُ

قَرَعَتْ إلَيْكِ ثَنِيَّةٌ مَطْرُوقَةٌ

قَضَتِ المَنِيَّةُ أنَّهَا لا تَمْنَعُ

ما كانَ أوعرَ نهجهَا لوْ أنهُ

خرقَ بأطرافِ الأسنةِ يرقعُ

لا تَبْعُدَنَّ مَصَارِعٌ مَطْلُولةٌ

ما حطمتْ فيها الرماحُ الشرعُ

ومسندونَ تعاقرُوا كأسَ الردَى

ودعَا بسهمهم الحمامُ فأسرعُوا

برِكَ الزمانُ عليهمُ بجرانهِ

وَهَفَتْ بهمْ ريْحُ الخُطُوبِ الزَعْزَعُ

خرسٌ إذَا ناديتَ إلاَّ أنهمْ

وعظُوا بما يزعُ الليبَ فأسمعُوا

وَفَوارِسٌ عَهدُوا السُّيُوفَ ذَوَائِداً

عنْ سربهمْ لوْ صادفتْ ما تقطعُ

نَبَذُوا الأنامَ فَمَا أضَاءَ بِنَقْعِهِمْ

عضبٌ يشامُ ولا سنان يلمعُ

البيضُ تزهرُ والدروعُ مفاضةٌ

وَالخَيْلُ تَمْرَحُ وَالقَنَا يَتَزَعْزَعُ

وَالدَّهْرُ يَقْتِكُ بِالنُّفُوسِ حِمَامَهُ

فَلِمَنْ يُعَدُ كَرِيْمُهُ أوْ يَجْمَعُ

عجباً لمنْ يبقي ذخائرَ مالهِ

وَيَظَلُّ يَحْفَظُهُنَّ وَهُوَ مُضَيَعُ

وَلِغَافِلٍ وَلَهُ بِكُلِّ ثَنِيَّةٍ

ملقًى لهُ بطنَ الصفائحِ مضجعُ

أتُرَاهُ يَحْسَبُ أنَّهُمْ مَا أسَأرُوا

مِنْ كَأسِهِمْ أضْعَافَ مَا يُتَجَرَّعُ

لوْ كانَ يمنعكَ القراعُ ملأتَها

جَرْداً يَغُصُّ بِهَا الفَضَاءُ البَلْقَعُ

وَأثَرْتَ فِي حَلَقِ الدُّرُوْعِ عِصَابَةً

كالدهرِ تخفضُ ما يشاءُ ويرفعُ

لكِنَّهَا الأقْدَارُ لَيْسَ أمَامَهَا

مَا يُسْتَجَنُّ بِهِ وَلا يُسْتَدْفَعُ

يَا قَبْرُ فِيْكَ الصَّالِحَاتُ دَفِيْنَةٌ

أفَمَا تَضِيْقُ بِهِنَّ أوْ تَتَصَدَّعُ

لو كُنْتَ تُبْلِغُ مَا أقُوْلُ أطَلْتُ مَا

أشْكُو إلَيْكَ مِنَ الهُمُومِ وَأضْرَعُ

حياكَ فجريُّ النسيمِ كأنهُ

أبداً بطيبِ ثنائهَا يتضوعُ

وَسَقَتْكَ أجْفَانِي فَأنْتَ بِمَعْزَلٍ

عَنْ أنْ يُتَاحَ لَكَ السَّحَابُ الهُمَّعُ

إنْ لَمْ يَكُنْ عَقْرٌ عَلَيْكَ فَإنَّهَا

كبدٌ محرقةٌ وقلبٌ موجعُ

وَهَبَّتْ لهُ ريْحُ الصِّبَا فَأَرَيْتَهُ لِمَنْ دِمَنٌ بَيْنَ الغُوَيْرِ وَأَرْبُعُ

وَهَبَّتْ لهُ ريْحُ الصِّبَا فَأَرَيْتَهُ لِمَنْ دِمَنٌ بَيْنَ الغُوَيْرِ وَأَرْبُعُ

تَوَّهُمَهَا جِفْنُ مِنَ الدَّمْعِ مُتْرَعُ

محاها صبوحُ الغين بعدَ غبوقهِ

وَهَبَّتْ بهَا ريْحُ الصِّبَا وَهِيَ زَعْزَعُ

يَقُولُ صِحَابِي هَلْ نَسِيْمُ حَدِيْقَةٍ

تنفسَ أمْ ذكرُ الهوى يتضوعُ

فأقسمتُ ما أدري أركبٌ تناشدُوا

عَلَى الدَّارِ أمْ لَحْنُ الحَمَائِمِ تَسْجَعُ

ونارٌ على الجرعاءِ يدعو بها الدجَا

إلى الطَرْفِ أمْ بِيْضُ القَوَاضبِ تَلْمَعُ

وَقُلْتُ لِسَعْدٍ والنُّعامى تَنُوشُهُ

وقدْ أثملَ الركبَ الحنينُ المرجعُ

تصامِمْ عن الأنضاءِ أو فالتمسْ لهَا

فؤاداً يعاطيها الغرامَ ويجزعُ

ودعْ عنكَ إيماضَ البروقِ فإنَّها

صوارمُ في سرِّ الجوانحِ تقطعُ

فَلَمَّا أبَى إلاَّ نِزَاعاً فُؤادُهُ

شَجَانِي جَوَاهُ فَالعَزُولُ المُفْجَعُ

وَهَبَّتْ لهُ ريْحُ الصِّبَا فَأَرَيْتَهُ

فؤادَ الحزينِ كيفَ يمضِي ويرجعُ

خليليَّ إنْ لمْ تعرفَا زفرةَ النوَى

وَلَمْ تُسْعِدَانِي فَانْظُرا كَيْفَ أَصْنَعُ

تَجَاهَلْتُ حَتَى أنْكَرَتْنِي خَفَاجَةٌ

وقالتْ بمَا ضلَّ الأعزُّ المشيعُ

وأصبحتُ أرجُو أنْ تعودَ أنايتي

وَلَيْسَ لِمَنْ تَطْوِي المَنِيَّةُ مَرجَعُ

توقد أسى ما ذلكَ العهدُ عائدٌ

عَلَيْكَ وَلا فِي قُرْبِ غَيْدَاءَ مَطْمَعُ

بَنِي عَامِرٍ يَلْقُونَ بِي جَمْرَةَ العِدَى

وأنصركُمْ واليومَ بالنقع أشفعُ

ويسهرُني منْ شفَّ جسمي فراقهُ

فَأنْظُرُ طَرْفًا في العَشِيْرَةِ يَهْجَعُ

تَحَامَوْا ورُودَ الصَّبْرِ أو فَاتْبَعُوا فَتًى

يقومُ بما قامَ الكريمُ السميدعُ

إنِّي وَإنْ كُنْتُ أبْغِي الحِلْمَ آونَةً

إنِّي وَإنْ كُنْتُ أبْغِي الحِلْمَ آونَةً

أوْ أمتطيهِ لمَا آتي وما أدعُ

فمَا أحملُ صبري فوقَ طاقتهِ

ولاَ أكلفُ قلبي فوقَ ما يسعُ

إذَا صَدِيْقٌ نَبَتْ عَنِّي جَوَانِبُهُ

وَغَرَّهُ الحِلمُ حَتَى غَالَهُ الطَّمَعُ

نزعتُ عنهُ وفي قلبي نوازعهُ

خيرٌ منَ الضيمِ أنْ ينتابكَ الجزعُ

فاذهبْ طليقاً ففِي الغبراءِ مطرحٌ

وإنْ ذهبتَ ففِي الإخوانِ متسعُ

أتَانِي وَعَرْضُ الرَّمْلِ بَيْنِي وَبَيْنَهُ

أتَانِي وَعَرْضُ الرَّمْلِ بَيْنِي وَبَيْنَهُ

حَدِيْثُ لأسْرَارِ الدُّمُوعِ مُذِيْعُ

تصاممتُ عن راويهِ حتّى أربتهُ

وَإنِّي عَلَى مَا غَالَنِي لَسَمِيْعُ

وَقَالَ رَبِيْعٌ مَاتَ فِيْهِ مُسَلَّمُ

فقلتُ لهُ بلْ ماتَ فيهِ ربيعُ

أبَا طاهرٍ مَا كانَ ألأمَ ليلةٍ

أرقتُ بهَا والساهرونَ هجوعُ

فلهفي علَى الآمالِ فيكَ فإنهَا

نوائبُ لمْ يقدرْ لهنَّ شروعُ

وَعَزَّ عَلَى سَارِي الدُّجَا أنْ يَجُوبَهُ

ومالكَ منْ دونِ النجومِ طلوعُ

ألومُ عليكَ الوجدَ وهوَ مبرحُ

وأعتبُ فيكَ الدمعَ وهوَ نجيعُ

وَأعْلَمُ أنِّي مَا مَنَحْتُكَ طَائِلاً

وهلْ هيَ إلاَّ زفرة ودموعُ

دعوهَا تناضلُ بالأذرع

دعوهَا تناضلُ بالأذرع

فَأيْنَ العَوَاصِمُ مِنْ لَعْلَع

وَقَوَّدُوا أزْمَتَهَا بالحَنِيْنِ

فَلولا الصَّبَابَةَ لَمْ تَتَّبَع

ويَا سعدُ هلْ لكَ في وقفةٍ

عَلى الدَّارِ تَجْهَلُ فِيْهَا مَعِي

فماليَ قلبٌ يبثُّ الغرامَ

علّى رسم دمنتهَا البلقع

ولكنهُ كانَ لمَّا مضَى

مَعَ الظَّعْنِ وَصَّى إلى أدْمُعِي

فهنَّ إذَا ما عدمنَ الخليطَ

رَعَيْنَ الأمَانَةَ فِي الأرْبُعِ

عَذِيرِيَ مِنْ عَاذِلٍ فِي هَوَاكَ

يعزُّ على سومهِ مسمعي

كتمتُ الغرامَ ولكنْ أتيتَ

بحُكْمِ الصَّبَابَةِ مِنْ مَدْمَعِي

وأودعتُ سركَ سفحَ الغويرِ

فضلَّ الوفاءُ علّى المودع

وَصَارَتْ صَبَاهُ تَبُثُّ الحَدِيْثَ

وَتَسْنِدُ عَنْ بَانَةَ الأجْرُعُ

وَتُقْسِمُ أنِّي أهْوَاكُمُ

وليسَ اليمينُ علّى المدعي

وبرق أضاء فلولا السهَا

دُ دلَّ الخيالَ علّى مضجعي

سرَى وهوَ في الأعينِ الساهرَا

أحْلى مِنَ النَّومِ فِي الهُجَّعِ

فطارحنا بحديثِ العذيبِ

ولكنْ جزعنَا ولمْ يجزَع

خليليَّ هلْ ضلَّ حادي الصبَا

أمْ الأُفُقَان بلا مَطْلَع

همومٌ تعينُ علينا الظلامَ

فَلو صَدَعَ اللَّيْلُ لَمْ تَصْدَع

ودهرٌ تفاخرُ أيامهُ

فَرَوعُ الكَواكِبِ بِاليَرْمُع

يحاولُ ضيمي ومِنْ دونهِ

طوالُ الذوابل والأذرع

وَيَحْسِبُنِي طَالِبَاً جُودَهُ

متَى خدعتْ منةٌ مطمَعي

أبيْتُ فَإنْ أسْلمَتْنِي المُنَى

إلَيْكَ فَمَاطِلْ بهَا أوْ دَع

وقلَّ لبينك قلَّ السماح

وحزناً على الخلق الأشنع

وبخلاً فللهِ درُّ الطوَى

إذا كانَ عندهمْ مرتعي

بَلَى لِبَنِي مُنْقِذٍ مَنْهَلٍ

مِنَ الجُودِ لوْلاهُ لَمْ أشْرَع

همُ جنبونيَ بعدَ الإباءِ

إلَى خِصْبِ وَادِيْهِمُ المُمْرِع

نَقَعْتُ بِهِمْ غِلَّتِي بَعْدَ مَا

غَرَفْتُ عَنْ السُّحْبُ الهُمَّع

وأبلجَ منهمْ بغُوا شأوهُ

وقدْ فاتَ شاردةَ الأربع

فمَا أدركوهُ ولاَ ماطلُوا

مطالَ البطيءِ عن السرع

ولكنْ جرى سابقاً في الرهانِ

وضلُّوا على الأثر المهيع

ترنحهُ هزة للسماح

عَزَتْهُ إلَى الأسَلِ الزَّعْزَعِ

وَيَنْسِبَهُ البَأسُ فِي البِيْض وَهُو

بينَ الصوارمِ والشرع

تطولُ بهِ الأرضُ حتَّى يظنَّ

أختَ المجرةِ في الموضِع

فجاءَ كما أملَ المجدُ فيهِ

ملياً بغاربةِ الأتلع

غذاهُ أبوهُ بحبِّ النوالِ

فلمْ يسلُ عنهُ ولمْ ينزَع

وعرقَ فيهِ ندَى خالهِ

إذَا لُؤمَتْ دَرَّةُ المُرْضِعِ

أبَا حَسَنٍ لِي فِي مَدْحِكُمْ

شَوَاردٌ لَوْلاكَ لَمْ تُجْمَع

نَهَيْتُ عَدُوَّكَ عَنْ غَيِّهِ

بوَخْزِ العِتَابَ فَلَم يَسْمَع

وَقُلْتَ لَهُ مَنْ يَرُوم النُّجَومَ

بِبَاعٍ كَبَاعِكَ فَلْيَرْبَع

ألسْتَ تَرَى شِيَمَ الأكْرَمِيْنَ

تَهْزَأ مِنْ أنْفِكَ الأجْدَع

حذار بني منقذٍ أنْ يغيضَ

بَحْرَكَ فِي بَحْرِهَا المُتْرَع

فَإنَّهُمْ فَرَعُوا غَايَةً

بغير الصوارمِ لمْ تفرَع

وَأنْتَ كَمَا حَكَمَ اللؤْمُ فِيْكَ

تلوبُ على ذلكَ المشرَع

وَقَدْ غَمَرُوكَ بِبَذْلِ النَّوَالِ

فَطِر بِمَواعِيْدِهِمْ أوْقَع

مِنَ الوَاخِزَاتِ الَتِي لا

إلَى لُؤمِ أصْلِكَ لَم تُقْطَع

وآخرَ نازعني فيكمُ

وَلَو تُرَكَ الصَّلُ لَمْ يَلْسَع

فراحَ بغراء وضاحةٍ

تَبْلَّجُ فِي عَرْضِهِ الأسْفَع

منَ الواخزاتِ التي لا تصدُّ

سَابِغَةُ الأدْرُع

نَوافِر تُعْجِزُ طُلاَّبُهَا

مَتَى أبْغ شَاردُهَا تُسْرِع

إذا ما دعوتُ جموحَ الكلا

م جاءَ بممتنعٍ طيِّع

بغرٍّ إذا ما غشينَ الظلا

مَ كسفنَ سنَا شهبهِ المطلع

لكُمْ أُريْهَا وَلأعْدَائِكُمْ

مَوَارِدُ مِنْ سُمِّهَا المُنِقع

أيَنْفَعُنِي فَضْلُ الحَنِيْن المُرَجَّع

أيَنْفَعُنِي فَضْلُ الحَنِيْن المُرَجَّع

وهيهاتَ ما وجدي عليكَ بمنجع

وكيفَ يفوزُ الغيثُ فيكَ بمنةٍ

إذا كُنْتُ لا أرْضَى سَحَائِبَ أدْمُعِي

أرى زفراتِ الحزن بعدكَ سلوة

يَدُلُّ عَلى وجْدَانِ قَلْبٍ وأضْلُع

وَلَيْسَ بُكَاءُ العَيْن إلاَّ خِيَانَةً

وَلا اللوْم إلاَّ أنَّهَا بَقِيَتْ مَعِي

وَكُلُّ أسَى لا تَذْهَبِ النَّفْسُ عِنْدَهُ

فمَا هوَ إلاَّ منْ قبيل التصنُّع

ووالله ما وفّيْتُ وُدَّك حَقّهُ

وهلْ هيَ إلاَّ لوعتي وتفجعي

وَأين وَفَائِي لا مَدَى الدَّمْع بَالِغٌ

رضايَ ولا جهدُ الصبابةِ مقنعِي

رَضِيْتُ بِحُكْمِ الدَّهْرِ فِيْكَ ضَرورَةً

وكيفَ إبائي دونه وتمنُّعي

وطاوعتهُ حتَّى جعلتكَ عندهُ

وديعة مغرَى بالخيانةِ مولعِ

أمثلُ في عيني خيالكَ حاضراً

وأنتَ بعيدٌ عنْ مقامي وموضِعي

فلوْ أنني حدثتُ نفسي بسلوةٍ

لكُنْتَ بمَرأى مِنْ حَدِيْثِي وَمَسْمَعِي

لَحَى الله دَهْراً نَازَعَتْكَ صُرُوفُهُ

صَبَابَةُ قَلْبٍ بِالفِرَاقِ مُرَوِّعِ

وَشُلَّتْ يَدٌ هَالَتْ عَلَى وَجْهِكَ التُّرَى

لقدْ كسفتْ نورَ الصباحِ الملمَّع

تصاممتُ عنْ ناعيكَ حتَّى أريبَه

ودافعتُ فيكَ الخطبَ من كلِّ مدمع

فَلَمَّا أَبَى إلاَّ يَقِيْنَا حَدِيْثُهُ

فزعتُ إلى جفنٍ منَ الدمع مترَع

يَزِيْدُ أوَامِي وِردُهُ وَهو طَافِحٌ

وقدْ كانَ منْ يشربْ من العدِّ ينقَع

فقدتُكَ فقدَ الماءِ بعدَ ظمائةٍ

مِنَ الغُلِّ فِي قَفْرٍ مِنَ البِيْدِ بَلْقَع

وَكَانَ رَجَائِي فِيْكَ ذُخْراً جَعَلْتُهُ

ملاذيَ في دفْعِ الهمومِ ومفزَعي

فَيَا مَاءَ عَيْنِي كَيْفَ خَلَّفَتْ نُورَهَا

مَجَالاً لِغَربِ الدَّمْعَةِ المُتَسَرِّع

ومَا كنتُ أخشى منْ يديكَ خيانةً

تضرمُ ناراً في مقيلي ومضجَعي

أصاعدُ قدْ بلغتُ لوْ بلغَ الثرَى

نداءَ حزينٍ أوْ شكايةَ موجَع

ذكرتُ لكَ العهدَ القديمَ وقدْ مضتْ

عليهِ ليالٍ ما تهمُّ بمرجِع

وخالسَني فيكَ الزمانُ بقيةً

منَ الصبرِ في أعشارِ قلبٍ موزَّع

فأيُّ حسامٍ حالتِ الأرضُ دونهُ

وكانَ متى يضربْ بهِ الخطبُ يقطَع

وَمُقْتَسِمُ النُّعْمَى أنَاخَتْ عُفَاتُهُ

عَلَى المحل فِي رَوْضٍ مِنَ الجُودِ مُمْرِع

لَهُ نَشْوَةٌ عِنْدَ السُّؤالِ كَأنَّمَا

تَنَازِعُهُ كَأسُ السُّلافِ المُشَعْشَع

إذَا أعملَ الأقلام نالتْ غروبُها

مطارحَ أطرافِ القنَا المتزعزع

وَمَا الطَّعْنَةُ النَّجْلاءُ فِي كُلِّ مَعْرَكٍ

سِوَى الخُطْبَةِ الغَرَّاءَ فِي كُلِّ مَجْمَع

أقرَّ لهُ بالفضلِ كلُّ منازعٍ

ويأسرُّه في الفكرِ كلُّ ممنَّع

وَأثْنَى عَلَيْهِ الحَاسِدُونَ ضَرُورَةً

بأحْسَنِ مَا يَعْلُو الصَّدِيْقُ وَيَدَّعِي

لعمري لقدْ منيتُ نفسي بقربهِ

سفاهاً ومنْ يطلبْ منَ الدهرِ يمنَع

فجالَ الردَى دونَ اللقاءِ ولمْ تدعْ

صروفُ الردى منْ حيلةٍ في التجمعِ

سقاكَ وقدْ أغنَى عنِ الغيثِ مزنةٌ

منَ الدمعِ تهمي في مصيفٍ ومربَعِ

سَحَابٌ تُرْجِّيْهِ الصِّبَا وَكَأَنَّمَا

يمدُّ بطودٍ منْ عمايةَ أتلعِ

يفوقُ أبرادَ الرياضِ وبرقهُ

يشقُّ جلابيبَ الظلامِ الموشعِ

كَأَنَّ حَنِيْنَ الرَّعْدِ فِي حُجُرَاتِهِ

حدآء مهيبٍ بالركابِ مزعزَعِ

لهُ زَجَلٌ يَرْوِي النَّسِيْمُ وَرَاءَهُ

أحَادِيْثَ نَشْرِ الرَّوْضَةِ المُتَضَوِّعِ

وقدْ جلَّ قدرُ الماءِ إنْ كانَ حافظاً

مَوَدَّةَ ثاوٍ فِي التُّرَابِ مُضَيَّعِ

ومَا أنَا إلا لاحقٌ بكَ فانتظرْ

لِقَائِي وَمَنْ يَسْلِكُ سَبِيْلُكَ يَتْبَعِ

عوائدُ منْ ذكراكَ عندِي حبيبةٌ

وَمَالِي مِنْهَا غَيْرَ مبكى وَمَجْزَعِ

وأيُّ جفونٍ مَا أفاضتْ دموعَهَا

عَلَيْكَ وَقَلْبٍ فِيْكَ لَمْ يَتَصَدَّعِ

سَلُوا أعَادِيَّ إذَا كُنْتُمْ

سَلُوا أعَادِيَّ إذَا كُنْتُمْ

لمْ تقبلُوا أقوالَ أشياعي

هلْ رفعتْ في كرم رايةٌ

قَصَّرَ عَنْ إدْرَاكِهَا بَاعِي

يَا رَاكِبَ العِرْمِسَ الوَجْنَاءَ مُعْتَرِضَا

يَا رَاكِبَ العِرْمِسَ الوَجْنَاءَ مُعْتَرِضَا

دُونَ العُذَيْبِ عَلَى مَيْثٍ وَأجْرَاعِ

بلغْ خفاجةَ عنِّي إنْ مررتَ بهَا

وَنَادِهَا لا أجَابَتْ دَعْوَةَ الدَّاعِي

يا خيبَ اللهُ منْ يرجُو نوالكمُ

كَمْ تَمْنَعُونِي آمَالِي وَأطْمَاعِي

وتلبسونَ الهوينَا وابنُ عمكمُ

في ساحةِ الذلِّ مقذوفاً بجعجاع

ظَنَنْتُمُ المَجْدَ أدْوَاداً مُهَمَّلَةً

وثلةً صاحَ في أرجائها الرَّاعي

فَرَوَّعَ الله جَارِي إنْ جَزَيْتُكُمُ

إلاَّ بمُنْصَلتٍ كَالنَّجْمِ قَطَّاعِ

أنَا ابنُ منْ لمْ يدعْ ذخراً لوارثهِ

إلاَّ الجيَادُ وَسُمْراً ذاتَ زَعْزَاعِ

داني القِرَى لا يذمُّ الذئبُ صحبتهُ

ولا يَقِرُّ عَلَى هَمٍّ وَأدْمَاعِ

ذَنْبي إلى القَوْمِ أنِّي مَا حَمَلْتُ لَهُمْ

قَلْبَا ذَلِيْلاً وَكفّا غَيْرَ مِضْيَاع

وأنكرُوا بي أسقاماً مؤرقةً

ولوعةً تتوارَى بينَ أضلاعي

وَمَا عَلَيْهِمْ إذَا مَا قُلْتُ مِنْ طَرَبٍ

يا ديمةَ الغيثِ حيِّي سرحةَ القاعِ

نعمْ أحبُّ سُليمَى فاهجروا عذْلي

فَالقَلْبُ قَلْبيَ وَالأوْجَاعُ أوْجَاعِي

وإنْ دعاني الهوَى لبيتُ دعوتهُ

والحبُّ أكرمُ ما لبيتُ منْ داعي

لعلَّ دنوَّ الحيِّ بعدَ شسوعهِ

لعلَّ دنوَّ الحيِّ بعدَ شسوعهِ

يُعَلِّلُ قَلْبَاً هَائِمَا بِجَمِيْعِهِ

أأحْبَابَنَا بَيْنَ الأحَصِّ وَجَوْشَنٍ

دُعَاءَ مَعْنَى بِالفُرَاقِ صَرِيْعِةِ

مقيمٌ على الحبِّ الذي تعرفونهُ

وإنْ جهدتْ أفعالكمْ في نزوعهِ

يحبُّ سنَا البرق الذي لاحَ منكمُ

وَمَا هُوَ إلاَّ جَمْرَةً فِي ضُلُوعِهِ

وَمُنْتَصِرٍ بِالدَّمْعِ فِي رَسْمِ مَنْزِلٍ

تذكرَ أيامَ الصبا في ربوعهِ

فَلَو أعْشَبَتْ أطْلالُهَا مِنْ بُكَائِهِ

لَمَا رَضِيَتْ أجْفَانُهُ عَنْ دُمُوعِهِ

إذَا كَانَ خَوفُ الضَّيْمِ أبْعَدَ دَارهُ

فَلا تَطْمَعُوا فِي قُرْبِهِ وَرُجُوعِهِ

فَمَا هِيَ إلاَّ نَخْوَةٌ عَامِرِيَّةَ

تَعَلَّقَهَا مِنْ حَربِهِ وَرَبِيْعِهِ

وربَّ هنات منكمُ صارَ ذكرهَا

يمنُّ علَى أجفانهِ بهجوعهِ

لَحَى الله مَنْ يَرضَى الدَّنِيَّةَ وَاصِلاً

لهاجرةٍ أوْ حافظاً لمضيعهِ

يُقِيْمُ عَلَى أوْطَانِهِ فِي مُلِمَّةٍ

مِنَ الدَّهْرِ يَلْقَى عِزَّهَا بخُضُوعِهِ

وأينَ ذميلُ الأرحبيةِ في الدجَا

وَاخِذُ السُّرَى مِنْ بَيْنِهَا وَهَزِيْعِهِ

وَنُصْرَةُ مَحْمُودٍ بنْ نَصْرٍ فَلَمْ تَكُنْ

بعازبةٍ عنْ عبدهِ ورضيعهِ

نَزَلَتْ عَلَى رَحْبِ الفَنَاءِ مُرِيْعَةِ

وَلَدَّتُ بِعَادِي البِّنَاءَ رَفِيْعِهِ

صَفَحْنَا لهُ عَمَّا مَضَى مِنْ صَنِيْعِهِ

أخي الغارةِ الشعواء في كلِّ جانب

منَ الأرضِ يروي باغياً منْ نجيعهِ

وَذِي الحَرْبِ مَا أَلْقَى ثَمَائِمَ مَهْدِهِ

عن الجيدِ حتَّى اجتابَ زغفَ دروعهِ

فإنْ تنجزِ الأيامُ ممطولَ وعدهِ

فقدْ بانَ ضوءُ الصبحِ قبلَ طلوعهِ

ومنْ عادةِ اللهِ الحميدة عندهُ

منيَّةُ عَاصِيهِ بسَيفِ مطيعِهِ

أقولُ لِمغرُورٍ يُخادعُ سِلْمَهُ

حذارِ وثوبَ الليثِ بعدَ قبوعهِ

فإنَّ التي أبصرتُ في يومِ مالكٍ

مكانكِ منها فرقةٌ منْ جموعهِ

تَضُمُّ كِلاَبٌ كُلَّ يَوْمٍ أُمُورَهَا

إلى ناشرِ المعروفِ فيها مذعهِ

إذَا نَابَهَا خَطْبٌ مِنَ الدَّهْرِ عَوَّلَتْ

علَى رأيهِ أوْ سيفهِ أوْ قطيعهِ

كَفِيْلٌ بِرَدِّ الأمْرِ بَعْدَ ذَهَابِهِ

عَلَيْهَا وَدَفْعُ الخَطْبِ قَبْلَ وُقُوعِهِ

لعمري لقدْ قادَ ابنُ خانٍ غليلهُ

إلَآ منهلٍ يلقَى الردَى في شروعهِ

تَعَرَّضَ لِلسُمْرِ الطِّوَالِ بِنَحْرِهِ

وَفِيْهَا شِفَاءُ مِنْ صَدَاهُ وَجُوعِهِ

ومنْ يكنِ العشارُ رائدَ سرعهِ

فَلا تَتَعَجَّبْ مِنْ وَخِيْمِ رُتُوعِهِ

وَمَا يترك الأصْلَ الدَّمِيْمَ دَنَاءَةً

من اللؤمِ إلاَّ ردَّهَا في فروعهِ

جَزَى الله خَيْراً عُصْبَةٍ أنْزَلَتْ بِهِ

عَلَى حُكْمِ مَصْقُولِ الغِرَارِ صَنِيْعِهِ

أجابتْ ضريحَ المرتضَى في غريةٍ

وسَرَّتْ ضَرِيْحَ المُصْطَفَى فِي بَقِيْعِهِ

هوَ السيفُ إلاَّ نبوة منْ هلوعهِ

أبا سابقٍ للهِ فيكَ سريرة

قَضَتْ بِقَريبِ النَّصْرِ مِنْهُ سَرِيْعِهِ

إذا أظلمتْ سودُ الخطوبَ جلوتهَا

برأي يُعِيْرُ الصُّبْحَ ضَوْءُ صَدِيْعِهِ

بِقَلْبٍ جَمِيلِ الظَنِّ فِيْكَ وَسِيْعِهِ

وَمَنْ كَانَ يَبْغِي شَافِعًا فِي لُبَانِهِ

فوجهكَ يغني سائلاً عنْ شفيعهِ

أسْتَغْفِرُ الله لا فَخْرٌ ولا شَرَفٌ

أسْتَغْفِرُ الله لا فَخْرٌ ولا شَرَفٌ

ولا وَفَاءٌ ولا دَيْنٌ ولا أُنُفُ

كأنمَأ نحنُ في ظلماءَ داجيةٍ

فليسَ ترفعُ عنْ أبصارِنَا السجفُ

تَزِيْدُ بِالبَحْثِ جَهْلاً إنْ طَلَبْتَ هُدَى

وهلْ تضيء لعين المدلج السدفُ

وفي الفلاسفةِ الماضينَ معتبرٌ

فَطَالَمَا قَصَدُوا فِيْهَا وَمَا عَسَفُوا

وقدْ أتوكَ بمينٍ منْ حديثهمُ

يَكَادُ يضْحَكُ مِنْهُ الحِبْرُ وَالصُّحُفُ

ظنٌّ بعيدٌ وأقوالٌ ملفقةٌ

تخفَى علَى الغمرِ أحياناً وتنكشفُ

الأمرُ أكبرُ منْ فكرٍ يحيطُ بهِ

وَالعُمْرُ أقْصَرُ أنْ يُلْقَى لهُ طرَفُ

فاَعَظِمْ بِدَائِكَ إنْ حَاوَلْتَ وَاضِحَةً

ومتْ بهِ فعلَى هذا مضَى السلفُ

جَاءَتْ أحَادِيْثٌ عَنْ قَوْمٍ أظُنُّهُم

عَاشُوا طَوِيْلاً وَقَالُوا بَعْدَ مَا خَرَفُوا

سخيفةٌ ويزيدٌ المخبرون بها

فقد تجمَّع سوء الكيلِ الحشف

يَا حَاكِمَ المِصْرِ لا تَحْفَلْ بِذَمِّهِمُ

فَإنَّ كُلَّ قَضَاءٍ عِنْدَهُمْ جَنَفُ

ولا يغرِكَ منْ دعواهمُ قسمٌ

فالقومُ أكذب ما كانوا إذا حلفوا

يدِيْنُ قَوْمٌ بأنَّ الشُّهْبَ خَالِدَةً

وعندَ قوم لهَا وقتٌ وتنصرفُ

وَمَا رَضِيْتُ بِعَقْلِي فِي جِدَالِهِمُ

وَلا تَوَهَّمْتُ إلا غَيْرَ مَا وَصَفُوا

يا أمَّ ذفرٍ جزاكِ الله صالحةً

وَإنْ أضَافَ إلَيْكِ القَوْمُ مَا اقْتَرَفُوا

قَالُوا يَغِرُّ بِهِمْ جَهْلاً وَعِنْدَهُمُ

مِنَ المَوَاعِظِ فِيْكَ المَوْتُ وَالخَرَفُ

وَمَا تَرَكتِ قَبِيْحَا تُعْرَفِيْنَ بِهِ

لَوْ كَانَ يَأنَفُ مِنْكِ الهَائِمُ الدَّنِفُ

وَرُبَّ قَوْمٍ أضَاعُونِي وَقَد فَهِمُوا

قدري فمَا أنكرُوا فضلي ولا عرفُوا

لَوْلا سَنِيُّ الدَّوْلَةِ بنْ مُحَمَّدٍ

لَوْلا سَنِيُّ الدَّوْلَةِ بنْ مُحَمَّدٍ

مَا كانَ للمعروفِ ذكرٌ يعرفُ

كَيْفَ السَّبِيْلُ إلَى مَدِيْحِكَ بَعْدَمَا

وصفُوا علاكَ بأنَّها لا توصفُ

أمَّا دِمَشْقُ فإنَّهَا بِكَ رَوْضَةٌ

مَا تَحْتَوي وَسَحَابَةٌ مَا تُخْلِفُ

بَلَدٌ أقَمْتُ بِهِ وَذِكْرَكَ سَائِرٌ

فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ يَخُبُّ وَيُوجِفُ

لا يَسْأَلُ العَافُونَ فِيْهِ لأنَّهُمْ

لَمَّا رَأَوا شَرَفَ الكُفَاةِ بِهِ كُفُوا

أملالةً ضيعتَ ودي بعدَ مَا

أملالةً ضيعتَ ودي بعدَ مَا

وَجَبَتْ عَلَيْكَ حُقُوقَهُ الأسْلافُ

أمْ شِبْتَ تَعْلَمُ أنَّ جُودَكَ لَمْ يَدَعْ

شَيْئًا وَأنَّ طِبَاعَكَ الإتِلافُ

سَلا ظَبْيَةَ الوَعْسَاءِ هَلْ فَقَدْتِ خِشْفَا

سَلا ظَبْيَةَ الوَعْسَاءِ هَلْ فَقَدْتِ خِشْفَا

فَإنَّا لمَحَنَا فِي مَراتِعِهَا طَرْفَا

وقولا لخوطِ البانِ فليمسكِ الصبَا

عَلَيْنَا فَإنَّا قَدْ عَرَفْنَا بِهَا عَرْفَا

سرتْ منْ هضبِا الشامِ وهيَ مريضةٌ

فَمَا ظَهَرَتْ إلاَّ وَقَدْ كَادَ أنْ يَخْفَى

عليلةُ أنفاسٍ يداوَى بها الجوَى

وَضَعْفَا ولَكنَا نُرَجِّي بِهَا ضُعْفَا

وهاتفةٍ في البانِ تُملي غرامهَا

علينَا وتتلُو منْ صبابتها صحفَا

عجبتُ لهَا تشكو الفراقَ جهالةً

وَقَدْ جَاوَبَتْ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ إلْفَا

وَيُشْجِي قُلوبَ العَاشِقِيْنَ غِنَاؤُهَا

وَمَا فَهمُوا مِمَّا تَغَنَّتْ بِهِ حَرْفَا

ولوْ صدقتْ فيمَا تقولُ منَ الأسى

لَمَا لَبسَتْ طَوْقًا وَلا خَضَبَتْ كَفَّا

أجَارَتْنَا أذْكَرْتِ مَنْ كَانَ نَاسِياً

وأضرمتِ ناراً للصبابةِ ما تطفَى

وَفِي جَانِبِ المَاءِ الَّذِي تَرديْنَهُ

مواعيدُ ما ينكرنَ ليأً ولا خُلفَا

وَمَهْزُوزَةٍ لِلْبَانِ فِيْهَا شَمَائِلٌ

جَعَلْنَ لَهُ فِي كُلِّ قَافِيَةٍ وَصْفَا

لبسنَا عليهَا بالثنيةِ ليلةً

منَ السودِ لمْ يطوِ الصباحُ لهَا سجفَا

لعمري لئنْ طالتْ علينَا فإننَا

بحُكْمِ الثُّرَيَّا قَدْ قَطَعْنَا لهَا كَفَّا

رَمَيْنَا بهَا فِي الغَرْبِ وَهِي ذَمِيْمَةٌ

ولمْ تبقِ للجوزاءِ عقداً ولا شنفَا

كأنَّ الدجَى لمَّا تولتْ نجومهُ

مدبرُ حربٍ قدْ هزمنَا لهُ صفَّا

كَأنَّ عَلَيْهِ لِلْمَجَرَّةِ رَوْضَةً

مفتحةَ الأنوارِ أوْ نثرة زعفَا

كأنّا وقدْ ألقي إلينَا هلالهُ

سَلَبْنَاهُ تَاجَا أوْ فَصَمْنَا لَهُ وَقْفَا

كَأنَّ السُّهَا إنْسَانُ عَيْنٍ غَرِيْقَةٍ

منَ الدمعِ تبدُو كلمَا ذرفتْ ذرفَا

كأنَّ سهيلاً فارسٌ عاينَ الوغَى

فَفَرَّ وَلَمْ يَشْهَدْ طِرَادَا وَلا زَحْفَا

كأنَّ سنَا المريخِ شعلةُ قابسٍ

تخطفَها عجلانُ يقذفهَا قذفَا

كَأنَّ أفُولَ النَّسْرِ طرف تَعَلَّقَتْ

بهِ سنةٌ ما هبَّ منهَا ولاَ أغفَى

كأنَّ نصيرَ الملكِ سلَّ حسامهُ

علَى الليلِ فانصاعتْ كواكبهُ كسفَا

رَعَى الله غَيْمَا طَبَقَ الأرْضَ جُودُهُ

فَلَمْ يُخْلِ سَهْلاً مِنْ نَدَاهُ وَلا نَعْفَا

وحيًّا علَى رغمِ الليالي خلائقاً

لَو انْتَحَلْتْهَا مَا ذْمَمْنَا لَهَا صَرْفَا

وأبلجَ أحيَا دارسَ العدلِ بعدَما

ثَوَى وَشَقَى المَعْرُوفَ مِنْ بَعْدِمَا أَشْفَى

لَهُ نَشْوَةٌ فِي الجُودِ حَتَى كَأَنَّمَا

يُدِيْرُ لَهُ العَافِي مُعَتَّقَةً صِرْفَا

خفيَّ مرامِ الكيدِ تفري شباتهُ

وما مالَ عنْ نهجِ الوقارِ ولا خفَّا

تَفَرَّدَ عَنْ أَهْلِ الزَّمَانِ بِمَذْهَبٍ

يَزِيْدُ بِهِ مَسْتُورٌ لُؤمِهِمُ كَشْفَا

إذَا أَفْقَرُوا أَغْنَى وإنْ هَدَمُوا بَنَى

وإنْ بخلُوا أعطَى وإنْ غدرُوا أوفَى

جَرَى سَابِقًا فِي حَلْبَةِ الجُودِ وَحْدَهُ

وَقَالَ العِدَى كَانَ السَّحَابُ لَهُ ردْفَا

جمعتَ علَى المعروفِ شملَ فزارةٍ

وثقفتَ بالإحسانِ خيلهمُ الخُنفَا

وَفَدَّتْ إِلَيْهِمْ جُلَّةَ يَمَنِيَّةً

فَقَدْ حَمَدُوا تِلْكَ المَوَدَّةَ والحِلْفَا

وَلَو كُنْتَ فِي يَومِ الهِبَاءَةِ شَاهِداً

لَطَالَ عَلَى نَفْسِ الجَذْيْمِيِّ أَنْ يَشْفَى

وقدْ أسندتْ كلبٌ إليكَ أمورهَا

فَمَا فَقَدَتْ نَصْراً وَلا عَدِمَتْ عُرْفَا

وكمْ لكَ فيهمْ منْ يدٍ ملهميةٍ

إذا انتجعتْ أرختْ سحائبهَا الوطفَا

أصابَ سنانَ درَّها وهوَ حافلٌ

وخلفَ للهرماسِ منْ بعدهِ خِلفَا

مَواهِبُ فِي قَيْسٍ وَقَحْطَانَ لَمْ تَدَعْ

لهَا حافراً يطوي البلادَ ولا خُفّا

أقَامَتْ عَلَى الأوْطَانِ تَشْرَبُ مَاءَهَا

نَمَيْراً وَتَرْعَى رَوْضَهَا خَضِلاً وَحْفَّا

وقدْ بدرتْ في بحترٍ لك غضبةٌ

منحتهمُ فيها القساوةَ والعنفَا

فَدائُوا لأطْرَافِ الأسِنَّةِ عُنْوَةً

وَكَانُوا لِقَاحَا مَارَضوا خُطةً خَسْفَا

إذا نظرُوا خصبَ السوادِ ودونهُ

سيوفكَ حارُوا لا أماماً ولا خلفَا

وَمَا حَلَبُ الوَرْهَاءَ إلاَّ خَرِيْدَةً

عطفتَ عليهَا ثمَّ طلقتَها ألفَا

فإنْ ظهرتْ فيها عيوبٌ كثيرةٌ

فمَا عدمتْ وجداً عليكَ ولاَ لهفَا

وإنْ كفرتْ آياتُ جودكَ ضلةً

فَمَا طَلَبْتَ إلاَّ الصَّوَاعِقَ وَالخَسْفَا

وقدْ عرستْ فيها الخطوبُ مقيمةً

فلا عدمتْ منْ بعدكَ الجورَ والعسفَا

لكَ الخَيْرُ قَدْ وَفَّيْتَ جُودَكَ فَرْضَهُ

وَمَنْ بَذْلَ المَجْهُودَ فِي شُكْرِهِ وَفَّي

وَلِي فِيْكَ مِنْ غُرِّ القَوَافِي فَضَائِلٌ

تقبلُ أفواهُ الرواةِ لهَا رشفَا

يَنِمُّ بهَا طِيْبُ النَّسِيْمِ إذَا هَفَا

وينشرُها نورُ الرياضِ إذَا رقّا

وَمَا أدعِي دُرَّ الكَلامِ لأنَهُ

صِفَاتُكَ إلاَّ أنَّنِي أحْسِنُ الرَّصْفَا

ومرتحِ الأعطافِ في أجفانهِ

ومرتحِ الأعطافِ في أجفانهِ

سَقَمٌ يَزِيْدُ بِهِ سِقَامَ المُدْنَفِ

عنفتَني في حبهِ ولربَّما

أبصرتهُ فأتيتَ غيرَ معنفِ

وأمرتني بجحودهِ وبذكرهِ

عنونتُ ذكرَ صحيفتي في الموقفِ

وحياتهِ ما حازَ مثلَ كمالهِ

أحَدٌ وَلا تَحِلبْ عَلَيَّ بِيُوسُفِ

أبَا حَسَنٍ مَا هَفْوَتِي بِغَرِيْبَةٍ

أبَا حَسَنٍ مَا هَفْوَتِي بِغَرِيْبَةٍ

إلَيْكَ وَلا عُقْرَانُهَا بِطَرِيْفِ

فَإنْ تَقْبَلَ العُذْرَ الضَّعِيْفَ تَطَوُّلاً

فإنَّ رجائي فيكَ غيرُ ضعيفِ

في كلِّ يومٍ نشطةٌ ووثاقُ

في كلِّ يومٍ نشطةٌ ووثاقُ

فَمَتَى يَكُونُ لِدَائِهَا إفْرَاقُ

إنْ كانَ أعطاهَا جذابُ نسوعِها

سَفَهاً فَقَدْ لَغِبَتْ بِهَا الأعْنَاقُ

تشكُو صداهَا والدموعُ مناهلٌ

وَوَجَى المَنَاسِمُ وَالخُدُودُ طِرَاقُ

فَاسْتَبِق فَضلَتَها إذَا دَبَّ الوَنَا

فيهَا فمَا كلُّ السرى أعناقُ

وَدَعِ النَّسِيْمَ بُعِيدُ مِنْ أخْبَارِهِ

فلهُ حواشٍ للحديثِ دقاقُ

مَا ثَمَّ مَنْ عُلِقَ العُذَيبِ بغَائِبٍ

إلاَّ وَقَدْ شَهِدَتْ بِهِ الآمَاقُ

وعلى العضَا إنْ كنتَ منْ جيرانهِ

نَارٌ تَقَاسَمَ حَرَّهَا العُشَّاقُ

وَمُحَلَّؤنَ عَنِ المَنَاهِلِ بَعْدَ مَا

شرقتْ بحمةِ مائهَا الطراقُ

ومشتتِ العزماتِ ينفقُ عمرهُ

حَيْرَانَ لا ظَفَرٌ وَلا إخْفَاقُ

أملٌ يلوحُ اليأسُ في أثنائهِ

وَغِنَى يَشِفُّ وَرَاءَهُ الإمْلاقُ

يمري غفافةَ ثروةٍ لو أنَّها

نَوْمٌ لَمَا شَعَرَتْ بِهِ الأحْدَاقُ

وتروقهُ خدعُ المنَى فكأنَّها

حقٌّ وكاذبُ وعدِها ميثاقُ

أثرَى اللئامُ وجدُّهُ بنسيئةٍ

عَدْرَاءَ مَا فَطِنَتْ بِهَا الأرزَاقُ

لولا نَصِيْرُ المُلكِ طَالَ ثَواؤهُ

فِيْهَا وَلَيْسَ لأسْرِهِ إطْلاقُ

القائدُ الزل الصعابِ كأنَّها

ممَّا يجوبُ بهِ الفلاةَ حقاقُ

وَمُؤلِّفُ الأهوَاءِ بَعْدَ شَتَاتِهَا

طَوْعاً فَمَا بَيْنَ القُلُوبِ شِقَاقُ

يَسْطُو وَقَدْ بَرَقَتْ أسِرَّةُ وَجْهِهِ

بِشْراً فَيَمْزِجُ أمْنَهُ الإشْفَاقُ

كالسيفِ يسعرُ حدهُ نارَ الوغَى

والماءُ في صفحاتهِ رقراقُ

مَا هَزَّهُ طَرَبُ العُقَارِ وَإنَّمَا

أعطتهُ نشوةَ كأسهَا الأخلاقُ

هِي فِي الهَوَى وَعْدُ الوصَالِ وَفي الكَرَى

طيفُ الخيالِ وفي الوداعِ عناقُ

يَنْمَى إلَى حَسَبٍ تقَدَّمَ مُلْهَمٍ

فِيْهِ وَعَزَّ عَلَى النُّجُومِ لحَاقُ

بيتٌ لهُ الشرفُ القديمُ وغيرهُ

كالشَّيْبِ جِدَّةُ مِثْلِهِ إخْلاقُ

البركُ دثرٌ والقبابُ فسيحةٌ

وَالجُودُ غَمْرٌ والجِفَانُ عِمَاقُ

أحيَا الندَى جذلانَ ثمَّ بحلمهِ

بِشْرٌ يُهَابُ كَأَنَّهُ إطْرَاقُ

وحمَى العواصم بعدَ ما عاثَ العدَى

فيها وحاولَ سرحها المراقُ

مَا ضَرَّهَا جَدَبٌ وَأنْتَ رَبْيعُهَا

الحَالِي وَكَفُّكَ غَيْثُهَا الغَيْدَاقُ

ظنَّ ابنُ باديسٍ بعادكَ جنةً

فأبتْ نواحلُ كالقسيِّ دقاقُ

ألْهَاهُ عَنْ نَظَرِ العَوَاقِبِ سَامِرٌ

غردٌ وكأسٌ بالعقار دهاقُ

وَأقَامَ يَسْجِعُ بالظُّنُونَ سَفَاهَةً

وَمِنَ الظُّنُونِ خَدِيْعَةٌ وَنِفَاقُ

حتَّى إذَا طالعتْ ثغرةَ كيدهِ

وَهَفَا عَلَيْهِ لِوَاؤكَ الخَفَّاقُ

ونزتْ جيادُكَ للطرادِ كأنهَا

سِرْبُ المَهَا ورِمَاحُكَ الأورَاقُ

ولَّى يَدُمُ لهُ قَوَائِمُ سَابِحٍ

جمحتْ بهِ الخيلاء وهيَ إباقُ

ورمى بصيرة في مخالبِ ضيغمٍ

طَيَّانَ تُفْتَحُ بَاسْمِهِ الأغْلاقُ

ما دبَّ للصهباءِ في أعطافهِ

فَرَحٌ وَلا عَبَثتْ بهِ الأعْلاقُ

دَامِي الأسِنَّةِ مَا تَقِرُّ جِيَادُهُ

حتَّى تضيء بعدلهِ الآفاقُ

بالقيروان لهَا عمامةُ عثيرٍ

وَطفَاءَ وَابِلُهَا الدَّمُ المُهْرَاقُ

وَعَلَى خَلِيْجِ الرُّومِ بَرْقُ صَفَائِحٍ

تفري ذيولَ النقعِ وهيَ صفاقُ

فتنازعَ الكفارُ فضلةَ كأسهَا

منْ بعدِ ما ثملتْ بهِ الفساقُ

عادتْ سهامهمُ الحدادُ كليلةً

حتَّى كأنَّ نصالها أفواقُ

صحبتهمْ باللاذقيةِ فالتقَى

بحرانِ ماء راكدٌ وعتاقُ

فَاتَ الظَّلامُ بِهَا فَعَقّتْ وُرُودَهَا

تبعاً وأنتَ بمثْلِهَا سباقُ

حَتَّى إذَا سَفَرَ الضُّحَى وَتَمَارَتِ

أبْصَارُ ايَّكُمَا لَهُ الإشْرَاقُ

غادرتهَا دمناً على أطلالِها

يبكي الخليطُ وتذكرُ الأشواقُ

وَشَرعَتْ دِيْنَ قَرَاكَ فِي عَرَصَاتِهَا

فَالنَّارُ تُضْرَمُ وَالدِّمَاء تُراقُ

فأطاعَ جامحهَا وكانتْ زبرة

عوجاء ثقفَ ميلهَا الإحراقُ

شرفاً بني كعبٍ فمَا عذبَ الجنَى

إلاَّ بِمَا سَبَقَتْ بِهِ الأعْرَاقُ

شادَتْ سيوفُ أبي عليٍّ فيكمُ

مجداً لهُ فوقَ السماءِ طباقُ

وسعَى المهذبُ سعيهُ فتوافقَا

إنْ كانَ بينَ الفرقدينِ وفاقُ

يا جامعَ الحسناتِ إنَّ غرائبي

تُهدَى وليسَ سوَى الودادِ صداقُ

لوْ أنصفتْ زفَّتْ إلى خطابهَا

وَالبَدْرُ تَاجٌ وَالنُّجُومُ نِطَاقُ

لَمْ تَعْتَرِضْهَا بالحِجَابِ نَقِيْصَةٌ

ما كلُّ ما سترَ البدورَ محاقُ

وقالُوا قدْ تغيرتِ الليالي

وقالُوا قدْ تغيرتِ الليالي

وضيعتِ المنازلُ والحقوقُ

وأقسمُ ما استجدَّ الدهرُ خلقاً

وَمَا عُدْوَانُهُ إلاَّ عَتِيْقُ

أليسَ يردُّ عنْ فدكٍ عليٌّ

وَيَملِل أكْثَرَ الدُّنْيَا عَتيقُ

بقيتُ وقدْ شطتْ بكمْ غربةُ النوَى

بقيتُ وقدْ شطتْ بكمْ غربةُ النوَى

ومَا كنتُ أخشَى أنَّني بعدكمْ أبقى

وعلمتموني كيفَ أصبرُ عنكمُ

وَأطْلُبُ مِنْ رِقِّ الغَرَامِ بكُمْ عِتْقَا

فمَا قلتُ يوماً للبكاءِ عليكمُ

رويداً ولا للشوق نحوكم رفقًا

فمَا الحبُّ إلاَّ أنْ أعدَّ قبيحكمْ

إليَّ جميلاً والقِلَى منكمُ عشقًا

كَتَبْتَ فَهَجَتْ الذِيْنَ تَقدَّمُوا

كَتَبْتَ فَهَجَتْ الذِيْنَ تَقَدَّمُوا

وأعلمتنَا أنَّ التأخرَ في السبق

وَأغْضَيْتَ عَنْ نَظْمِ القَرِيْضِ سَمَاحَةً

بِهِ فَظَنَنَّا أنَّ ذلكَ عَنْ حَقِّ

فإنْ عدتَ تهدي منهُ كلَّ عجيبةٍ

إلينَا فكمْ منْ معجزٍ لكَ في السبق

وَمَنْ لِي بأنْ ألقَى بعَيْنِيَ كُلَّمَا

شَكَوتُ ومَا يَرْتَابُ مِثْلكَ فِي صِدْقِي

ووَاللهِ لوْ شاطرتكَ العمرَ ما وفتْ

حَيَاتِي بأدْنَى مِنَّةً لكَ فِي عُنُقِي

إذَا سَكَنْتُمْ فُقلبي دَائِمُ القلَق

إذَا سَكَنْتُمْ فَقَلبي دَائِمُ القَلَق

وإنْ رَقَدْتُمْ فَطَرْفِي دَائِمُ الأرَق

سَرَقْتُ بالنومِ وَصْلاً مِنْ خيَالِكُمُ

فَصَارَ نَومِي مَقْطُوعَا عَلَى السَّرْق

أنفقتُ بعدَ أبي العلاءِ مدامعاً

أنفقتُ بعدَ أبي العلاء مدامعاً

حُبسَتْ ذَخِيرتُهَا عَلَى الإنْفَاق

وبكيتهُ وجفونُها موجودة

مثلَ الحمامِ تنوحُ بالأطواق

لا تدعي حسنَ الوفاءِ بعهدهِ

منْ بعدِ ما فنيتْ وطرفي باقي

ولقدْ حذرتُ عليهِ لو دفعَ الردَى

حَذَري وَرَدَّ مَنِيَّةُ إشْفَاقِي

وَظَنَنْتُ في فَيْضِ الدُّمُوعِ مِنَ الجَوَى

فرجاً فصارَ بمائِها إحراقي

لَهْفِي عَلَيْكَ وَكَيْفَ يَنْفَعُ دَاهِيَا

لَهْفَ الحَزِيْنِ وَلَوْعَةَ المُشْتَاق

يَا نَسِيْمَ الصَّبَا تَحَمَّلْ ومَازلـ

يَا نَسِيْمَ الصَّبَا تَحَمَّلْ ومَازلـ

تَ معنًّى في خدمةِ العشاق

حاجةٌ خفَّ حملُهَا ولهَا مِنْ

ثقيلٍ يبقى على الأعناق

وتعرضْ بمنزلٍ في كفر طا

ب كثير الزُّوَّار والطُّراق

كيفَ يُسْتَطْلِقُ المُنَى مِنْ يَدِ الدهـ

ـرِ وَتَبغِي نَشَائِدُ الأرْزَاق

فَاقِرِ مِنِّي لَهُ السَّلامَ فَقَدْ قِيْـ

ـلَ بلاغُ السلامِ بعضُ التلاقي

ثُمَّ قُلْ يَا بَنِي كِنَانَةَ مَا أسْـ

ـما حلتمُ عن الميثاق

أوْ بحكمِ المودعينَ إذا

لَهُ أن يَسير نَحْوَ العِرَاق

كلفٌ يخجلُ القلوبَ بدعوَا

هُ وشوق عادٍ عن الأشواق

واحتراقٌ في العقل قدْ كادَ أنْ

يمزجَ عندي أخلاقهُم بالنفاق

ثُمَّ يَا صَاحِبَ الجِنَايَةِ مِنْهُمْ

قدْ لقينَا في البعدِ ما لمْ تلاق

كَيْفَ تَرْضَى بمُقْلَةٍ تَألفُ النَّو

م وَدَمْعٌ يُصَانُ فِي الآمَاق

وَزَمَانُ الصِّبَا يَمُرُّ وَقَدْ أنـ

ـأنفقَ أيامَه زمانُ الفراق

وَاللَّيَالِي تَمْضِي سِرَاعا وَمَا يقـ

يقبلُ منَها إحالةً في البواقي

فَاجِرِ فِي حَلْبَةِ الخَلاعَةِ مَا دُمْـ

ـتَ بِحُكْمِ الشَّبَابِ شَرْطَ السِّبَاق

واعتمدْ مذهبَ الشريفِ فقدْ قَا

لَ النَّصَابي رِيَاضَةُ الأخْلاق

يَا حَبِيْبَا وُدُّهُ لِلنَّـاس

يَا حَبِيْبَا وُدُّهُ لِلنَّـ

ـاسِ تمثالُ النفاق

أنْتَ بَدْرُ التَمِّ لكِنْ

لكَ عهدٌ في المحاق

قدْ بلوناكَ علَى حَا

لِ التَّنائي وَالتَّلاقِي

كيفَ أشكُو منكَ الجفاء ومَا

كيفَ أشكُو منكَ الجفاء ومَا

للمجدِ فرعٌ إلاَّ علَى أعوادكْ

أوْ أناجيكَ بالقطيعةِ والعلياء

ـياء مِمَّنْ تُعَدُّ في حُسَّادِكْ

غَيْرَ أنِي أدُمُّ دَهْراً رَمَانِي

فِيْكَ حَتَّى أخْلَلْتَ فِي إبْعَادِكْ

وَتَصَامَمْتُ عَنْ نِدَايَ بلا وقـ

ـرٍ فَيَا لَيْتَ أنَّني لَمْ أُنَادِكْ

أحمدُ اللهَ إنَّ أمراً مِنَ الحاج

يسيراً أضاءَ مَا في فؤادكْ

لَم يَكِلْنِي إلَيْكَ في حَادِثٍ لا

يَتَخَطَّى إلاَّ عَلَى إسْعَادِكْ

لَسْتُ أَخْشَى تَغْيُّراً فِي اعْتِقَادِكْ

لَسْتُ أَخْشَى تَغَيُّراً فِي اعْتِقَادِكْ

بَعْدَ عِلْمي بِمَوْضِعِي مِنْ فُؤَادِكْ

أحجبُ الواردينَ عنهُ ولا آ

ذنُ إلاَّ لِصَافِي ودَادِكْ

وأرَى كُلَّمَا تَجن فَلا أتـ

ـرك شيئاً يخافُ مِنْ أحْقَادِكْ

ويعدّ العتاب منكَ وإنْ أسرفَ

ـرفَ غمر الثقافِ مِنْ إرْشَادِكْ

فَالْتَمِسْ مَنْ يَرُوعُهُ ظَاهِرُ الفَوْ

لِ وَيَخْفَى عَلَيْهِ سِرُّ مُرَادِكْ

لا مُطِلاً عَلَى ضَمِيْرِكَ قَدْ دَلَّ

في هواكَ صعبُ قيادكْ

يأمنُ الحاسدينَ فيكَ إذا

فكرَ في صفوِ ودهِ وسدادكْ

منةٌ منْ فنونِ بركَ ما تُو

جبُ إلاَّ المزيدَ منْ إحمادكْ

مَنَعُوا خَيَالكِ أنْ يُلِمَّ بنَا

مَنَعُوا خَيَالكِ أنْ يُلِمَّ بنَا

وَعَلى وِصَالكَ يَحْسُنُ البُخْلُ

مَا عندهمْ إنَّ الرقادَ إذَا

مَا بِتْتَ عَنْ عَيْنِيَّ يَرْتَحِلُ

ردُّوا عليَّ النومَ ويحكمُ

وَدَعُوا الخَيَالَ يَصُدُّ أو يَصِلُ

فإنْ كفرُوا نعماكَ فيهمْ فإنهَا

فإنْ كفرُوا نعماكَ فيهمْ فإنهَا

دُيُون تَقَاضَتْهَا الرِّمَاحُ الذَّوَابِلُ

وَإنْ قَابَلُوهَا بالجُحُودِ سَفَاهَةً

فقدْ عرفتهَا سمرهمْ والمناصلُ

أتوكَ فحانت ساهريها مضاربٌ

حياء وعاصتْ مشرعيها عواملُ

أفي نجدٍ تحاوركَ القبولُ

أفي نجدٍ تحاوركَ القبولُ

أظُنُّ الرِّيْحَ تَفْهُم ما تَقُولُ

تَغَنَّتْ فِي رحَالِ الركْب حَتى

تشابهتِ الذوائبُ والذبولُ

صحبنَا في دياركمُ صباها

تَنَاوَبَها التَّنَفُّسُ وَالنُّحُولُ

وأمطرنَا سحابَ الدمع حتَّى

حَسِبْنَا أنَّهُ مُهَجٌ تَسِيلُ

وَعُجْنَا ذاهِلِيْنَ فَمَا عَلِمْنَا

أنَحنُ السَّائِلونَ أمْ الطُلُولُ

وأعدينَا بذكركمُ الخزامَى

فمالَ معَ النسيمِ كمَا يميلُ

وفي الأظعانِ لينةُ الثنيِّ

عَصبيُّ الرِّدْفِ مَانِعَةٌ بَدُولُ

سَألْنَاهَا تُحَيِّينَا فَضَنَّتْ

وذلكَ لوْ تجودُ بهِ جزيلُ

سَقَتْ أرْضَ السَّوِيَّةِ والغَوَادِي

تَهَادَاهَا الأباطِحُ وَالسُّهُولُ

يَمَانِيَّةٌ تُصَفِّقُهَا النَّعَامَى

إذَا خطرتْ وتلحقُها القبولُ

كأنَّ يدَ المعزِّ حنتْ عليهَا

مخافةَ أنْ تضرَّ بهَا السيولُ

شفَى مرضَ العواصمِ عامريٌّ

تَنِمُّ عَلَى خَلائِقِهَ الشُّمُولُ

جلاَ صدأ القذَى عنهَا وصحتْ

فَلَيْسَ سِوى النَّسِيْمِ بِهَا عَلِيْلُ

وَآمَنَ سِرْبَهَا مِنْ كُلِّ خَطْبٍ

فأمُّ النائباتِ بها ثكولُ

كَرِيمٌ يَسْتُرُ المَعْرُوَف حَتَّى

كأنَّ كثيرَ ما يعطي قليلُ

تغيرُ على سوابقهِ الفيافي

وَتَضْربُ فِي صوَارمِهِ الفُلُولُ

تَزُورُ جِيَادُهُ أرْضُ الأعَادِي

وَأطْرَافُ الرِّمَاح لَهَا دَلِيْلُ

طَلَعْنَ مِنَ الجَزِيْرَةِ فِي هَنَاتٍ

تقاضاهَا الطوائلُ والدخولُ

وَجُبْنَ مَعَاقِلَ الأعْدَاء حَتَّى

تَنَادَرَتِ الرَّكَائِبُ والخُيُولُ

إذَا خدعتهمُ بالنقع قالُوا

نعامُ الدوِّ أفزعهَا الرعيلُ

وإنْ صدقتهمُ الخرصانُ عنهَا

وَلاحَتْ فِي عَجَاجَتِها النُّصُولُ

أجَارَهُمُ الفِرارُ مِنَ العَوَالي

وقدْ ينجُو منَ القدرِ الذليلُ

وحلوا بالسماوةِ في شعابٍ

يذمُّ لهَا منَ الطلبِ الخمولُ

رعُوا فيها الهشيمَ وقدْ تباهتْ

بزينتِها المخازمُ والهجولُ

إذَا سَرَحَتْ قِلاصُ الحَيِّ أمْنَاً

وسارتْ عنْ منازلِها الحمولُ

ثَوَوْا أسْرَى الخِدَارِ وَقَدْ أريحَتْ

مَطِيُّهُمُ وَسَالَمهَا الدَّمِيْلُ

طِلابٌ لا يُرَوِّعُهُ عِثَارٌ

وعزمٌ لا ينفرهُ نكولُ

وَمُلْكٌ شَادَه ظَعْنُ الهَوَادِي

تَزولُ الرَّاسِيَاتُ ولا يَزُولُ

حماهُ منْ مخاتلةِ الليالي

فتىً مثلُ المرادِ بهِ جليلُ

تُحَاذِرُ بأسَهُ سُمْرُ العَوالِي

فَفِيْهَا مِنْ مَهَابَتِهِ ذُبُولُ

ويطلعُ في ظلامِ النقعِ منهَا

نُجُومَا فِي النُّحُورِ لَهَا أُفُولُ

مِنَ القَومِ الَّذِيْنَ لَهُمْ أكُفٌّ

يُبَادِرُهَا فَتَنْجَابُ المُحُولُ

كهولهمُ إذَا غضبُوا شبابٌ

وَمُرْدُهُمْ إذَا حَلِمُوا كُهُولُ

إذَا رَاعَتْ سُيُوفُهُم المَطَايَا

تمنتْ أنَّ مالكهَا بخيلُ

غَدَتْ غُرَراً عَلَى هَامِ الأعَادِي

وَهُزَّ عَلَى مَنَاسِمِهَا حُجُولُ

وَقَفْرٌ قُيِّدَتْ فِيْهِ الدَّيَاجي

فمَا لخضابهَا عنهُ نضولُ

تَسْتِرَّ فِيْهِ ضَوْء الصُّبْحِ خَوْفَاً

فنمَّ بسيرهِ السيفُ الصقيلُ

تُمُرُّ بِهِ السَّحَائِبُ خَائِفَاتٍ

فليسَ لهَا بساحتهِ همولُ

أقامُوا في غياهبهِ العوالي

مناراً ما يضلُّ بهِ سبيلُ

حذار فإنَّ في حلبٍ ليوثاً

وآجامُ الرِّمَاح لهُنَّ غِيلُ

وَمِنْ بَطْنِ الشَآمِ إلى دُجَيْلٍ

مراتعُ نبتُها الأسلُ الطويلُ

يشيدُ دونهَا لبني كلابٍ

بُيُوت مَا يُضَامُ لهَا نَزَيْلُ

تسيلُ شعابُها بندَى ثمالٍ

فليسَ لهَا إلى كلأ رحيلُ

تَغَمَّدَ جُرْمَهَا إنْ طاحَ حِلمٌ

وضلتْ عنْ هدايتهَا عقولُ

وَصُنْهَا فَهي فِي يُمْنَاكَ عَضَبٌ

يزينكَ حملهُ وبهِ تصولُ

فدونكَ عاجلتْ وخزَ العوالي

كأنَّ الرمحَ يطعنهُ التليلُ

وَتَحْتَ لِوَائِكُمْ صَعْبٌ أبَاء

فلمْ يركبْ لهَا ظهرٌ ذلولُ

أرَى إبلي شوارعَ من قنوعي

مَوَارِدَ مَا يُبْلُّ بهَا غَلِيْلُ

ولمْ تعرفْ لمصعبها قيودٌ

ولمْ يملكْ لشاردهَا جديلُ

وَآمَالِي مُطَّرحَةٌ بطاء

ينازعُ دونهَا قدرٌ مطولُ

أعِيْذُ نَمِيرَ وُدِّكَ مِنْ أوَامي

وقدْ أودَى بجمتهِ النهولُ

فهلْ يرضَى لكَ الكرمُ اطراحِي

ولوْ أنِّي لجودكمُ عذولُ

فَمَا يَسْمُو الزَّمَانُ إلى قِرَاعي

وَظِلُّ جَنَابِكُمْ أبدَا ظَلِيلُ

وَلا تَسْطُو عَلَيَّ يدُ اللَّيَالي

وَظَنّي فِي رَجَائِكُمُ جَميلُ

أما تريانِ البرقَ في غلسِ الدجَى

أما تريانِ البرقَ في غلسِ الدجَى

تَمِيْلُ بِهِ رِيحُ الصَّبَا فَيَمِيْلُ

خليليَّ هبَّا واسعدَاني بنظرةٍ

إليهِ فطرفي بالبكاءِ كليلُ

وفي تلعاتِ، السفحِ لوْ تلمحانهَا

غزالٌ أحمُّ المقلتينِ كحيلُ

رَحَلْنَا قُبَيْلَ الصُّبْحِ نَنْشُدُ أهْلَنَا

ونحنُ بأعلى الرقمتينِ نزولُ

فَأَلْثَمَنِي وَاللَّيْلُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ

غروبُ أقاحٍ ظلمهنَّ شمولُ

أعَارِضُهُ فِي غَفْلَةٍ الرَّكْبِ لاثِمَا

كما خصلت غصنَ الأراكِ قبولُ

أبُثُّ سِرَاري إنَّ حُبَّ عُدَيْبَةٍ

أقَامَ وَوَيْبَ النَّاسِ كَيْفَ يَزُولُ

فليتَ الليالي في الغوير قصيرة

فِدَاهُنَّ لَيْلٌ بالحِيَارِ طَويلُ

أظنُّ نسيمَ الريح منْ حيثُ أرسَلا

أظنُّ نسيمَ الريح منْ حيثُ أرسَلا

أعَادَ عَلَى بَرق اللِّوَا مَا تَحَمَّلا

ومَا لاحَ مختالاً علينَا بعلمهِ

وَعَرَّضَ بالدَّهْنَاء إلاَّ لِيُسْألا

رَوَى مُجْمَلاً وَالبَانُ يَتْلو حَدِيْثَهُ

فَفَسَّرَ مَا قَالَ النَّسِيْمُ وَفَصَّلا

وخيَّر بالمحل الركائبَ بعدَ ما

ضمنَّا لها خصبَ العذيبِ تعلُّلا

فمَا كانَ إلاَّ صادقاً غيرَ أنهُ

حَدِيثٌ هَوَيْنَا فِيْهِ أنْ يَتَأوَّلا

وهلْ علمَ البرقُ اليمانيُّ أننَا

طرفنَا بهِ طرفاً منَ الليلِ أكحَلا

وَمَا بَالهُ خَصَّ الغَضَا بِابْتِسامَةٍ

وَسَلَّ عَلَى رَمْلِ الشَّقِيقَةِ مَنْصَلا

وفي الركبِ طاوٍ لوْ أتى الذئبَ ضافهُ

علَى الزادِ إمَّا غادة أو تفضَّلا

إذا خطرَتْ في جانبِ البشرِ نفحةٌ

ترنحَ في أعطافهِ وتململَا

يَعُدُّ أناتي لِلعدوِّ قَساوة

وطوعَ قِيَادِي للصديقِ تَذَلُّلا

يلومُ على عيشٍ تبرضتُ عفوهُ

وأيُّ حسامٍ لمْ يصادِف مفصَلا

إلَيْكَ فإنِّي قَدْ عَقَلْتُ رَكَائِبي

فلمْ أرَ عاراً مثلَ أنْ أترحَّلا

رَمَى البُخْلَ طُلاَّبَ الغِنَى في سُؤالِهِ

وكنتُ على وجهي أضنُّ وأبخَلا

وَأثْقَلُ رِفْدٍ مَا امْتَطَى المَنُّ ظَهْرَهُ

وشرُّ ثراءٍ ما أتاكَ تطوُّلا

لأخلفَ غيثٌ بالسؤال انتجاعهُ

وَأجْذِبَ روضٌ بالمَذَلَّةِ يُجْتَلَى

عَذِيري مِنَ الأيَّامِ تُلْقَى بثابتٍ

من البشرِ رَوْضَا أوْ مِنَ الجُودِ جَدْوَلا

كَرِيْمٌ إذَا ضَنَّ الغَمَامُ فَكَفُّهُ

كَفِيْلٌ بطَرْدِ العَام أغيَرَ مُمْحِلا

يغيرُ على جنح الظلامِ بغرةٍ

تعلمُ وجهَ البدرِ أنْ يتهلَّلا

دعتهُ إلى بذلِ الندَى أريحيةٌ

تعودَ منهَا أنْ يقولَ ويفعَلا

نوالٌ يعمُّ الأرضَ حتَّى كأنهُ

تَضَمَّنَ أرْزَاقَ الوَرَى وَتَكَفَّلا

إذَا استحدثَ المجدَ الطريفَ أبتْ لهُ

مناصبهُ إلاَّ القديمَ المؤثَّلا

عُلاً وجدتْ والدهرُ في حجرِ أمهِ

وخيرُ خليليكَ الذي كانتَ أوَّلا

مِنَ القَومِ حَلُّوا فِي السَّمَاءِ فَمِنْهُمُ

السحائبُ تمري والأهلةُ تجتلى

أقمتَ عزيزَ الدولةِ الجودَ واصفاً

لَمَّا غَابَ مِنْ أفْعَالِهِمْ ومُمَثَّلا

خلقتَ ودينُ البخل عالٍ منارهُ

فَكُنْتَ نَبِيْهاً بالسَّمَاحَةِ مُرْسَلا

وَلامُوكَ فِي إتلافِ مَالِكَ بالنَّدَى

وحاشاكَ أنْ تغنَى وأنْ تتموَّلا

عمرتَ منَ الإحسانِ مَا كانَ دارساً

وَأوْضَحْتَ فِي المَعْرُوفِ مَا كَانَ مُشْكِلا

فإنْ كنتَ فذّاً في الزمانِ فإنَّما

سَلَكْتَ سَبِيْلا كَانَ قَبْلَكَ مُهْمَلا

فداؤكَ مثرٍ ما أعدَّ سوامهُ

وَنِيرَانُهُ إلاَّ لِتُرْعَى وتُصْطَلى

أدُمُّ لَهَا مِنْ نَحْرِهَا بُخْلَ كَفِّهِ

فهلْ أمنتْ منْ ذلةٍ أنْ تذلَّلا

أبُوكَ الَّذِي عَمَّ الأنَامَ نَوَالُهُ

فلمْ يبقَ جيداً منْ نداهُ معطَّلا

وَكَمْ قَصدَ الدَّهْرَ الكِرَامُ بِجُورِهِ

فَمَا وَجَدُوا إلاَّ عَلَيْهِ المُعَوَّلا

وَمَنْ لِبُدُورِ الأُفْقِ وَالمُزْنِ أنْ تَرَى

بنانكَ مبسوطاً ووجهكَ مقبلا

وَمَا جَاءَكَ التَّشْرِيْفُ إلاَّ دَلالَةً

عَلَيْكَ وَرَأياً فِيْكَ أنْ يَتَبَدَّلا

بأبْيضَ مَاضِي الشَّفْرَتَيْنِ تَضَمَّنَتْ

يَمِيْنُكَ عَنْهُ أنْ يَعُودَ مُفَلَّلا

وَأجْرَدَ نَهْدٍ لَمْ يَجِدْ غَيْرَ ظِلِّهِ

رسيلاً ولمْ يملكْ منَ الأرضِ منزلا

يفوتُ مجالَ الطرفِ حتَّى تخالهُ

منَ البرقِ لولا أنهُ كانَ أعجلا

وهيفاء طوعُ الريحِ قدْ خلعَ الدجَا

عَلَيْهَا هِلالاً بالنُّجُومِ مُكَلَّلا

لَهَا مِنْ خِلالِ المَشْرِفِيِّ صِقَالُهُ

ومنْ شيمِ الخطيِّ أنْ يتميَّلا

وصافيةٍ مثلِ الرياضِ تزورها الـ

الجَنَائِبُ نَشْوَى وَالسَّحَائِبُ حُفَّلا

لأحسنَ منهَا ما تزف غرائبي

إلَيْكَ وَتَكْسُوكَ الثَّنَاءَ المُبَجَّلا

شَوَارِدُ كَانَتْ فِي القِيَادِ أبيَّةً

فمَا قرعتْ باباً منَ القومِ مقفَلا

أغَارَ عَلَيْهَا أنْ يُرَاضَ جُمُوحُهَا

لِغَيْرَكَ أوْ تَرْجُو سِوَاكَ مُؤمَّلا

وَلَو رَامَهَا دَاعِي النَّوَالِ تَقَاصَرَتْ

خطاهَا وأكدَى الفكرُ فيها وأجبَلا

وَلَكِنَّهُ وُدٌّ صَرِيْحٌ وَذِمَّةٌ

بعيدٌ على أمراسهَا أنْ تحلَّلا

تَأمَّلْ مَنْ يَلُومُكَ في

تَأمَّلْ مَنْ يَلُومُكَ في

هواكَ ويكرهُ العدْلا

فإنْ ألفيتهُ صبًّا

فَهَلاَ نَفْسَهُ عَذْلا

وَإنْ نَكَرَ الهَوَى جَهْلاً

فذاكَ عدوُّ ما جهَلا

ثَوَّرَها ناشِطَةً عِقالُها

ثَوَّرَها ناشِطَةً عِقالُها

قدْ ملأتْ منْ بدنِها جلالهَا

فَلَمْ تَزَل أشْوَاقُهُ تَسُوقُهَا

حَتَّى رَمَتْ مِنَ الوَجَى رِحَالَهَا

مَادًا عَلَى النَّاقَةِ مِنْ غَرَامِهِ

لوْ أنهُ أنصفَ أوْ رثَى لهَا

أرَادَ لَهَا أنْ تَشْرَبَ مَاءَ حَاجِرٍ

أرِيَّهَا يَطْلُبُ أمْ كَلالَهَا

إنَّ لهَا علَى القلوبِ ذمةً

لأنَّهَا قَدْ عَرَفَتْ بِلْبَالِهَا

كانتْ لهَا معَ الصبَا تحيةً

أعْجَلَهَا السَّائِقُ أنْ تَنَالهَا

كَمْ تَسْأَلُ البَارِقَ عَنْ سُوَيقَةٍ

ولا يجيبُ عامداً سؤالهَا

خوفاً علَى قلوبها إنْ علمتْ

إنَّ الغوادِي درستْ أطلالهَا

مَسَارحٌ رَعَتْ بهَا مَنِيْعَةٌ

فَمَا رَأى طارِدُهَا انْشِلالَهَا

وَحَيْثُ مَدَّت فِي الجَمِيْمِ بَوْعَهَا

وقامصتْ منْ مرح إفالَها

وَسَرَّحَتْ لاعِبَةً كَأنَّمَا

تحسبُها منْ سفهٍ فصالَها

قَدْ نَاكَرَتْ مِنَ الوَجَى أخْفَافَها

وَنَاحَلَتْ مِنْ ضُمُرٍ ظِلالَها

وَامْتَدَّتِ الفَلاةُ دُونَ خَطْوِهَا

كَأنَّهَا قَدْ كَرِهَتْ زَوَالَهَا

فَعَلَّلُوهَا بِحَدِيْثِ حَاجِرٍ

ولتصنع الفلاةُ ما بدَا لهَا

قدْ زجرَ الشعرُ لكمْ فآلهْ

قدْ زجرَ الشعرُ لكمْ فآلهْ

وَطالمَا جَرَّبْتُ أقْوالَه

فلمْ يزلْ يخبرُ فيما مضَى

عنكَ كأنَّ الله أوحَى لهْ

وقدْ رأى جيشكَ والنصرُ في

لوائهِ يسحبُ أذيالهْ

والرحبةَ الخضراءَ جذلانةً

بِمُلْكِكَ المُقْبِلِ مَختَالَه

وَمُسْلِمٌ مِنْ دُونِهَا مُسْلِمٌ

لا يَمْنَعُ الشَّيء إذَا نَالهْ

إذا هوتْ خيلكَ عنْ بالسِ

حدَا إلى الموصلِ أجمالهْ

فاعْرِف لهُ البُشْرَى وَكُنْ ضَامِنا

ظُنُونَه فِيكَ وَآمَالهْ

إنكَ إنْ أنطقتهُ بالغِنى

فتحتَ دونَ الغيبِ أقفالهْ

ولمْ تردْ منْ بعدهِ كاهناً

يجمجمُ القولَ إذا قالهْ

يا طالباً قومي وعندي لهمْ

رسائلٌ بالنصحِ حمالهْ

قُلْ لَهُمْ عَنِّي وَمَا يَكْذِبُ

الرائدُ في أخبارهِ آلهْ

إياكمُ منْ أسدٍ باسلٍ

قَدْ مَرَّ للوَثْبَةِ أشْبَاله

أروَعَ لا يَعْرِفُ حِيْرَانُهُ

حوادثَ الدهرِ وأوحالهْ

كأنهُ متنُ ردينيةٍ

ذابلةٍ فِي الكَفِّ عَسَّاله

ما زوحمتْ في المجدِ أعمامهُ

إلاَّ إذَا عَدَّدَ أخْوَاله

أما سَمِعْتُم بأحَادِيْثِهِ

شَاردة فِي الأرْضِ جوَّاله

في كلِّ أفقٍ منْ دجَى نقعهِ

غَمَامَةٌ بالدَّمِّ هَطَّاله

وَقَائِعُ فِي الأرْضِ مَشْهُورَة

زلزلَ منها الشامُ زلزالهْ

يَا نَاصِرَ المُلكِ وَقَدْ غَالَهُ

منْ هفواتِ الملكِ ما غالهْ

كمْ ضيعوهُ فتداركتهُ

والليثُ لا يسلمُ أغيالهْ

في كلِّ يومٍ منهمُ راحلٌ

ينتجعُ الذلَّ ويسعَى لهْ

ونَازِحٌ عَنْ عِزِّ أوطَانِهِ

ينفقُ في الغربةِ أموالهْ

جَارَ ولو احْسَن تَدْبِيْرَه

مَا خَرَجَ البَدْرُ عَن الهَالة

وأنتَ منْ دونهمْ لابدٌ

تُجَاهِدُ الدَّهْرَ وَأهْوَالهْ

فِي مَعْرَكٍ تُقتلُ أبْطالهُ

أوْ مغرم تحملُ أثقالهْ

ما عرفتْ فيهمْ نميريةٌ

مِنْ بَعْدِ وثَّابَ وَأمْثَالهْ

وَلا لَهُم بَيْنُكَ فِي ظالِمٍ

يُنَادِمُ الجَوْزَاءَ إنْزَالهْ

لوْ طلبُوا سلمكَ كانتْ لهمْ

قُرْبَى عَلى وُدِّكَ محُتَالهْ

لكِنَّهُمْ غَرَّهُمْ خُلَّبٌ

شامُوا على غلهم آلهْ

مَا أظْهَرَ الرَّأيَ لدَى فِكْرَةٍ

فِيْهِ وَمَا أكْثَرَ جُهَالهْ

خُدْهَا بِعَفْوِ الفِكْرِ مَا فَارَقَتْ

سُلافَةُ الطبْعِ وَسِلْسَالهْ

إنْ لحقتْ سامعهَا نشوةٌ

فَإنَّهَا صَهْبَاءَ جِريَالهْ

خالصةً فيكَ فمَا تدعي

صَبَابَةَ الحُبِّ وَبلْبَاله

وَلا مَضَى النَّاقِبُ مِنْ فِكْرِهَا

في منزلٍ ينعتُ أطلالهْ

يُشْغِلُها مَدْحُكَ عَنْ غَيْرِهِ

وَلَمْ تَكُنْ تَصْلُحُ إلاَّ لَهْ

يقصرُ مالي في الحوادثِ عنْ بذلي

يقصرُ مالي في الحوادثِ عنْ بذلي

فمَا عذرُ دهرٍ لا يجودُ على مثلي

رَمَتْنِي رجَالٌ بالوَعِيْدِ كَأنَّمَا

تَرُومُ مَرَامِي أوْ تُنَازِعُنِي فَضْلِي

وقدْ أمِنُوا أنْ يمنعَ السبَّ منْ فمِي

فهلْ أمِنُوا أنْ يمنعَ الضربَ منْ نصلي

وَيَحْسَبُنِي دَهْرِي أرُومُ عَطَاءَهُ

فَيُوسِعُني قَبْلَ السَّؤالِ مِنَ البُخْلِ

وَهَلْ كُنْتُ أرضَى أنْ أنَالَ حُطَامَهُ

وأعلمُ أنَّ الحظَّ فيهِ معَ الجهلِ

أنِفْتُ مِنَ الدُّنْيَا فَمَا طلَبَتْ يَدِي

ولاَ طمعتْ نفسِي ولاَ وخدتْ إبلي

وَمَنْ كَانَ فِي بَرْدِ القَنَاعَةِ رَافِلاً

أصابَ الغنى في الفقرِ والخصبَ في المحلِ

أُلامُ إذَا مَا نَاوَشَ الدَّهْرُ جَانِبِي

وأيُّ حسامٍ لا يحادثُ بالصقلِ

وَمَا هُو فِي مَا بَيْنَنَا مِنْ ضَغِيْنَةٍ

بمطرحِ قولي ولاَ جاهلِ فعلي

وَكُنْتُ أُمَنِّي النَّفْسَ بَدْا مِنَ الغِنَى

يُحَسِنُ مُعْرُوفِي وَيُوسِعُ فِي فـَ

أمَّا وَقَدْ فَارَقْتُ آل عُدَيْبَةٍ

فلاَ خيرَ في حزنٍ منَ العيشِ أو سهلِ

ألا إنَّمَا وَارَيْتِ يَا أُمَّ عَامِرٍ

عهودَ الصبا بينَ الصفائحِ والرملِ

أيهَا النفسُ أقلّي

أيهَا النفسُ أقلّي

فلقدْ أكثرتِ ثقلي

إنمَا أصلحُ منْ أمركَ

ما يفسدُ عقلي

لسْتُ أرْضَى لكَ بالعِزِّ

الذي يوجبُ ذلّي

وَهَوى الأكْثَرُ وَالعَيْـ

ـش يُرَجَّى بالأقَلِّ

قَدْ تَعَلَّقْتُ مِنَ الدُّنْيَا

بأمْرٍ مُضْمَحِلِّ

وَتَمَسَّكْتُ مِنَ النَّاسِ

بعقدٍ مثلِ حلِّ

فإذَا حاولتَ تحقيقاً

فجهلاً فوقَ جهلِ

يا حلالَ التربِ مَا

أبلاكمُ إلاَّ ويبْلي

نَحْنُ نَثْلُوكُم وَمَا

السابقُ إلاَّ كالمصلّي

قَدْ بَذَلْنَا لكُمُ مِنْ

دمعنَا جهدَ المقلِّ

ولحقنَاكمْ منَ الدهرِ

بجادٍ مشمعلٍّ

كمْ أطيلُ الخوضَ في ليلٍ

منَ الفكرِ مضلِّ

أرَانِي مِنْكَ يا كَعْبَ بن عَمْرو

أرَانِي مِنْكَ يا كَعْبَ بن عَمْرو

علَى قربِ المودةِ في تقال

عليكَ إذا حسدتَ طلابَ فضلِي

وليسَ عليَّ أنْ أذرَ المعالِي

حويتَ فضائلاً ما نلتَ منهَا

سوَى بثِّ العداوةِ في الرجال

ومَا ذنبي إلى الأقوامِ إلاَّ

مُكَاثَرَتِي لأطْرَافِ العَوَالِي

وإنِّي لا أعدُّ الرفدَ جوداً

لِمَنْ حَمَّلْتُهُ ذُلَّ السُّؤال

ولا أبغي طريفَ المالِ إلاَّ

لتروى راحتايَ منَ النوال

عَرَفْتُ الدَّهْرَ مَعْرِفَتِي بَنِيْه

فلستُ أفرُّ منْ نوبِ الليالي

أسْتَغْفِرُ الله مِنْ تَرْكِي وَإِخْلالِي

أسْتَغْفِرُ الله مِنْ تَرْكِي وَإِخْلالِي

وَهَفْوَةٍ خَطرَتْ مِنِّي عَلى بَالِي

قضيتُ عمري بدرسٍ ما حظيتُ بهِ

وَكَيْفَ يَنْفَعُ عِلْمٌ بَيْنَ جُهَّال

وَزَادَ زُهْدِيَ فِي أنِّي عَرَفْتُهُمْ

فَمَا أسَيْتُ عَلى جَاهٍ وَلا مَال

قَيَّدْتُ باليَأس عَزْمِي عَنْ مُطالَبَهٍ

فلتحمدِ الله أفراسي وأجمالي

أعُدُّ أصْدَقَ آمالِي مُخَادَعَةً

إذَا تَعَلَّقَ أقْوَامٌ بآمَالِي

وللقناعةِ عندي منةٌ شكرتْ

وَالشُّكْرُ أحْسَنُ إعْظَامٍ وَإجْلال

قرنتُها بثراءٍ غير مكتسبٍ

وَعِفَّةٍ بَيْنَ إكْثَارٍ وَإقْلال

ميراثُ قومٍ كفاني بعدَ عهدهمُ

فَثْوَى الظُّنُون بإحْرَامٍ وَإحْلال

سقَى الربيعَ ربيعٌ جادَ هاطلهُ

بكُلِّ أسْحَمَ صَافِي الدَّيْلِ هَطَّال

وخصَّ رمسَ سنانٍ منْ مواهبهِ

ببَارِدٍ كَسُلافِ الخَمْرِ سِلْسَال

فَقَدْ أعَانَا عَلَى زُهْدٍ بَمَيْسَرةٍ

وأغنيانِي عَ؛ْ شدٍّ وترحالِ

أرحتُ جسمي فلمْ تنصبُ جوارحهُ

وقدْ أضرَّ بهَا في الحرص أمثالِي

ومَا جعلتُ اغترابي للغنَى سبباً

إذَا تَفْرَعَ أقْوَامٌ لأشْغَالِ

قالُوا جميلاً ولكنْ قلمَا فعلُوا

مِنْهُ وَصَدَقْتَ أقْوَالِي بأفْعَالِي

وقدْ أجدَّ ابنُ عمِّي في مخالفتِي

رَأياً فَصَادَفَ عِنْدِي غَيْرَ إجْفَالِي

كنْ كيفَ شئتَ جفاءً أوْ مواصلةً

فقدْ خلقتَ بلا عمٍّ ولا خالِ

وخلِّ عنكَ جدالِي أو معاتبتِي

فإنَّ ذلكَ فضلَ القيلِ والقالِ

وعصبةٍ ألفَ الأحرارُ جمعهمُ

عَلَى تَقَلُّبِ أوْقَاتٍ وَأحْوَالِ

منْ كلِّ معترفٍ بالشرِّ مضطغنٍ

وقاصدٍ بلئيمِ الطبعِ مختالِ

بيتُ المكائدِ إلاَّ أنهُ طالٌ

وَمَوضِعُ السُّوءِ إلاَّ أنَّهُ خَالِي

عووْا عليَّ وهرتني كلابهمُ

فَمَا عَبِئْتُ بِرَسْمِ الدِمْنَةِ البَالِي

الحقُّ أبلجُ فاعرفْ منْ تنازعهُ

وَدَعْ وَسَاوِسَ أفْكَارٍ وَأقْوَالِ

وَلِلعَدَاوَةِ أسْبَابٌ وَأظْهَرُهَا

فِيْهَا تَبَايُنُ أعْرَاضٍ وَأشْكَالِ

والناسُ شتَّى وإنْ عمتهمُ صورٌ

هيَ التناسبُ بينَ الماءِ والآلِ

تَبَارَكَ الله هَلْ للخَيْرِ مِنْ أثَرٍ

يقفَى فيتبعُ فيهِ سابقاً تالِي

وهلْ تبينَ سيفٌ أنَّ منزلهُ

فِي رَأسِ غَمْدَانَ دَارٌ غَيْرُ مِحْلالِ

أمْ هَلْ لِسَابُورَ عِلْمٌ مِنْ مَدَائِنِهِ

فَيَسْتَهِلُ لآثارٍ وَأطْلالِ

يَا شَائِدَاً رَفَعَ الإيْوَانَ مُجْتَهداً

خفضْ عليكَ فإنَّ الحادرَ العالِي

وقدْ عجبتُ منَ الرهبانِ إذْ صدقوا

للنُّسْكِ عَنْ ذَبْحِ خِلاَنٍ وَأطْفَالِ

يكفيكَ قوتكَ مما أنت تذخره

وما يصونك من بيتٍ وسربالِ

لم يولمُوا حيوانَ البرِّ واقتصرُوا

علَى كوامنَ في الأفواهِ اغفالِ

فَحَرَّمُوا الصَيْدَ جُهْداً وَهُوَ أيْسَرُ فِي

العُقُولِ لو عَلِمُوا مِنْ صَيْدِ مُغْتَالِ

ومديةُ الذبحِ أوحَى منْ عذابهمُ

للسانحاتِ علَى رفقٍ وإمهالِ

أمْ عِنْدَهُمْ أنَّ حَيّا لا يُحِسُّ إذا

هَيْهَاتَ مَا ذاكَ إلاَّ خَبْطُ جُهَّال

ما أكثرَ الجهلَ في فسقٍ وفي نسكٍ

وَالمُضْحِكِيْنَ بأقْوَالٍ وَأعْمَال

انَخْتُ عَنْسِي وَسَارَتْ فِي الوَرَى حِكمي

فجالَ فكري وشخصي غيرُ جوال

ولستُ منْ ودِّ إخواني على ثقةٍ

فكيفَ آمنُ حسادي وأقيالِي

فاسْمَعْ كَلامِيَ وَافْهَمْ مَا أُرِيْدُ بِهِ

وَاسْتَوصِ خَيْراً بَأغْرَاضٍ وَأمْثَال

وَاجْعَلْ عِظَاتِيَ نُوراً تَسْتَضِيء بِهِ

فَهْيَ المَصَابِيْحُ مَا شُبَّتْ لِقُفَّال

وَخَلِّ مَدْحِي إذا مَا ضَمَّنِي جَدَثِي

فلا انتفاعٌ لترابٍ فيهِ منهال

كَانَ شَمْلِي بِهِمْ جَمِيْعًا وَلَكِنْ قَدْ قَنِعْنَا مِنْ وَصْلِكُمْ بِالخَيَال

كَانَ شَمْلِي بِهِمْ جَمِيْعًا وَلَكِنْ قَدْ قَنِعْنَا مِنْ وَصْلِكُمْ بِالخَيَال

ورضينا منْ وعدكمْ بالمطال

وصبرنَا على ملالكُمُ الزَّا

ئدِ عنْ كلِّ مذهبٍ في الملال

ورَأيْنَا دِيَارَكُمْ فَعَرَفْنَا

كلَّ رسمٍ بالٍ بجسمٍ بالِي

دَارِسَاتٌ وَنَاحِلِيْنَ فَبِمَا يُفـ

رَقَ بينَ العشاق والأطلال

أيُّهَا اللائِمُونَ كُفُّوا فَمَا أغْفَلَ

مَنْ نَامَ عَنْ طُول اللَّيَالِي

خبرونَا عن الكرَى واسمعُوا

مِنَّا حَدِيْثَ الغَرَام وَالبِلْبَال

مَا لأيامنَا تمرُّ قصارَى

ـد وَحالُوا فِي سَائِر الأحْوَال

أكذًا تصنعُ الصبابةُ أمْ عَا

د علينا الصيام في شوال

أم رمانا ببعده ناصر الملك

ببيض الظبَا وسمر العوالي

فَفِرَاقُ الكِرَام يَفْعَلُ فِي الأجـ

ـسام مَا تفعلونَ في الأموال

حفظ اللهُ معشراً ضيعُوا العهْـ

ـد وَحالُوا فِي سَائِر الأحْوَال

كانَ شملي بهمْ جميعاً ولكنْ

فرقتْ بيننَا صروفُ الليالي

قِيْلَ لِي لِمْ بَعُدْتَ عَنْهُمْ وَهَلْ يُصـ

ـلحُ أنْ تتركَ العبيدُ الموالي

قُلْتُ لا تَعْجَلُوا عَلَيَّ فَلَو سِرْ

تُ لكانتْ نهايةُ الإخلال

أيُّ شيءٍ إليَّ منْ أمرهمْ حتَّى

يَكُونَ إرْتِحَالُهُمْ بِارْتِحَالِي

فَرَّقَتْ بَيْنَنَا صُرُوفُ اللَّيَالِي

ـسَامِ مَا تَفْعَلُونَ فِي الأمْوَالِ

حَاشَ للهِ لَيْسَ فَسْتَكَةُ الأثْبَـ

ـسَامِ مَا تَفْعَلُونَ فِي الأمْوَالِ

رأسُ مالي تركُ الفضولِ ومَا أثـ

ـركُ منْ أجلِ حبكم رأسَ مالي

ومنَ السخفِ والرقاعةِ تطفيـ

ـلي عليهمْ يومَ الوغَا في القتالِ

ومسيري أذبُّ في ظهرِ عجفَا

ءَ تباري أعضاءهَا بالهزالِ

عاطلاً منْ جميعِ مَا يصحبُ

سُ وَيَا رُبَّ عَاطِلٍ وَهُوَ حَالِي

لَيْسَ غَيْرَ المُقَامِ أسْتُرُ بالجُدْ

رانِ مَا يَعْلَمُونَ مِنْ سُوءِ حَالِي

وَلِعَمْرِي لَو أنْصَفُونِي لَمَا قَصَّرْتُ

ـرتُ عنْ نفعهمْ علَى كلِّ حالِ

دَارِسَاتٌ وَنَاحِلِيْنَ فَبِمَا يُفـ

ـت عَلَيْهِمْ بِالسَّعْدِ وَالأقْبَالِ

كانَ حدِّي مثلَ اسم جدِّي قالا

تَرَكُونِي برَسْمِ زَجْرِ الفَالِ

أحمدُ اللهَ ما كسادي سوَى الرخْـ

ـص فَإنَّ النِّفَاقَ فِي كُلِّ غَالِ

يَا خَلِيْلَيَّ عَرِّضَا بِي فَمَا أعْـ

لمُ أنِّي خطرتُ منهمْ ببال

وَانْشُدَا دَارِسَ الرُّسُومِ كَمَا يَنْـ

ـشدُ ربعٌ منَ الرسومِ الخوالِي

أيُّهَا اللائِمُونَ كُفُّوا فَمَا أغْفَلَ

نستُما منهُ سامعاً لمقالِي

يا أجلَّ الملوكِ عماً وخالاً

عندَ ذكرِ الأعمامِ والأخوالِ

ومثيرَ الحربِ العوانِ منَ المهْـ

إلى يَومِ وَقْعَةِ الدَّجَّالِ

وَالَّذِي لَمْ يَزَلْ تَجُودُ يَدَيْهِ

مُزْنَةً تَسْتَهِلُّ قَبْلَ السُّؤالِ

لَيْتَ شِعْرِي بِأيِّ فَيءِ أدَارِيْكَ

ـكَ فقدْ قلَّ في رضاكَ احتيالي

ليسَ يغنى جدِّي ولا ينفعُ الهزْ

ـدَ وَحاوَلوا فِي سَائِرِ الأحْوَالِ

بِلَيَالٍ سُودِ الدَّيَاجِي طِوَالِ

ـتُ بجهدِي عليكَ منْ أثقالِي

وَأرَانِي فِي كُلِّ يَومٍ إلى خَلْفٍ

كَأنِّي خَرَجْتُ فِي الحِبَالِ

مَا لِمِخِلاتِي الصَّغِيْرَةِ لا

تَدْخُلُ مَعَكُمْ فِي جُمْلَةِ الأعْدَالِ

أتُرَانِي أرْضَى بَهَذا وَفِي الدُّنْيَا

ظهورُ الفلا وأيدي الحبالِ

لاَ ونعماكَ ما مقامي على التقْـ

إلاَّ مِنْ حَدِيْثِ المِحَال

افتحُوا دوني الطريقَ وردُّوا

لِي إلى عَسْقَلانَ بَدْرَ الجِمَال

وَدَعُونِي أصِيْحُ عِنْدَ ابن حَمْدَانَ

نَ صياحاً يشقُّ حلوَ السلال

ما اتفقنَا إلاَّ على صحبةِ

الدَّهْرِ وَلَكِنْ بَدَا لَكُمْ فبدَا لِي

جَهلْتُمْ فَمَا وَجْهُ النَّهَارِ بوَاضِح

جَهلْتُمْ فَمَا وَجْهُ النَّهَارِ بوَاضِح

لَدَيْكُم وَلا طَرَفُ الدُّجَى بكَحِيل

وَغَرَّكُمُ طُولُ المُقَامِ سَفَاهَةً

كَأَنَّكُمُ لَمْ تَسْمَعُوا برَحِيْل

إذَا وَقَفَ العَانِي عَلَيْكُمْ فَإنَّمَا

يَمُرُّ برَسْمٍ فِي الدِّيَارِ مَحِيْل

فإنْ نلتمُ خصبَ الجسوم نضارةً

فَرُبَّ كَلامٍ كَالهلال نَحِيْل

مَرَّتْ تَثَنَّى وَبهَا هِزَّة

مَرَّتْ تَثَنَّى وَبهَا هِزَّة

يخدعُ عطفِي غصنُها المائلْ

كلمعةِ البارق مجتازَة

بمائِها في البلدِ الماحلْ

تَرْنُو إلى الرَّائِعِ مِنْ شَيْبِهِ

تَلَفَّت الظَّبي إلى الحَابِلْ

قدْ غادرَ الشعراءُ منْ يتردمُ

قدْ غادرَ الشعراءُ منْ يتردمُ

إنْ كَانَ يُسْمَعُ مَا أقُولُ وَيُفْهَمُ

لِي كُلُّ يَومٍ آيَةٌ مَشْهُورَةٌ

فِيْهِ إذَا نُثِرتْ عَلَيْهِ الأنْجُمُ

وكواكبٌ قدْ بانَ كيفَ تنالهُا

الأيدي ولكنْ أينَ منْ يتعلمُ

فَنَدَى فَحَسْبُكَ إنَّ مِثْلِي شَاكِرٌ

وَغِنًى فَحَسْبِي إنَّ مِثْلَكَ مُنْعِمُ

لا تحفلنَّ إذَا بقيتَ بناطقٍ

غَيْرِي فلَيْسَ مَعَ الفُرَاتِ تَيَمُّمُ

ودعِ الكلامَ لمنْ يسيرُ ثناؤهُ

وَالرِّيْحُ حَسْرَى وَالكَوَاكِبُ نُوَّمُ

قَدْ كَانَ قَبْلَكَ وَاهِبُونَ وَفَاتَهُمْ

مدحي ومائُوا والمواهب معهمُ

لمْ يبقَ بعدهمُ حديث سائرٌ

فِيْهَا وَلا حَادٍ بِهَا يَتَرَنَّمُ

لا يَدَّعِي الفُصَحَاءَ فِيْكَ عَرِيْبَةً

والبيضُ تنثرُ والأسنةُ تنظمُ

نَطقَتْ بمَدْحِكَ قَبْلَ أنْ يَتَكَلَّمُوا

تَجْري حِيَادُكَ فِي البلادِ وَمَالَهَا

شَأوٌ يُرَامُ ولا مَدَى يُتَوَهَّمُ

وَيَرُدُ جَدُّكَ كُلَّ خَطْبٍ نَازِلٍ

حتَّى يحلَّ بهِ القضاءُ المبرمُ

عجباً لوجهكَ كيفَ بارقُ بشرهِ

تهمَى سحائبهُ ولا يتغيمُ

وَلِحَاسِدِيْكَ وَهَلْ تَأخَّرَ مِنْهُمُ

مَنْ كَانَ يُمْكِنُ أنَّهُ يَتَقَدَّمُ

مَا تَنْزِلُ الأفْلاكَ غَيْرُ نُجُومِهَا

أبداً ولا الغيلِ إلاَّ الضيغمُ

ومعرضينَ نحورهمْ لذوابلٍ

ما زالَ يمطرُ منْ أسنتها الدمُ

حاربتهمْ فتنصرُوا ولو انهمْ

نظرُوا الصوابَ لسالموكَ وأسلمُوا

مَا لَيْسَ تَطْلُبُهُ سُيُوفُكَ مِنْهُمْ

يمضي صليبُ الأرمنيِّ عليهمُ

وأبوكَ ذلَّ لهُ الصليبُ الأعظمُ

مَا يَصْنَعُ الحَسَبُ الكَرِيْمُ بِعَاجِزٍ

يُبْنَى لَهُ الشَّرَفُ الرَّفِيْعُ وَيَهْدِمُ

لا يذكرُوا حلباً وبيضكَ دونَها

مَشْهُورَةً فَهِي الظُبَا وَهُمُ هُمُ

وَلَرُبَّمَا قَالَ الجَبَانُ بِقَلْبِهِ

مَا لا يَقُومُ بِهِ اللّسَانُ وَلا الفَمُ

صعبت ففازَ بهَا الذي لا يمتطى

وَأبَت فَمَارنَها الذَّي لا يُحَطَّمُ

وَالنَّقْعُ لَيْلٌ والأسِنَّةُ أنْجُمُ

فِي حَيْثُ يَرْتَابُ الحُسَامُ بِحَدِّةٍ

ويخونُ صدرُ السمهريِّ اللهذمُ

شرفاً بني العباس إنَّ حسامكمْ

ماضٍ يطبقُ في العدَى ويصممُ

حملتْ لواءكمُ السحابَ أناملٌ

أندَى عليهِ منَ السحابِ وأكرمُ

فكأنمَا حكمتْ على عذباتهِ

أنْ لا يفارقهَا النسورُ الحومُ

ركنُ الحطيمِ ولاَ سقاكمْ زمزمُ

وَنَظرْتُمُ تِلْكَ المَعَالِمَ حُجْرَةً

عنكمْ كمَا نظرَ الثراءَ المعدمُ

لكنْ أعادَ لكمْ تراثَ محمدٍ

طَعْنٌ تُرَدُّ بِهِ الحُقُوقُ وَتُغْرَمُ

ومتوجٌ لمعتْ أسرةُ وجههِ

حَتَى أضَاءَ بهَا الزَّمَانُ المُظْلِمُ

غضبانُ يطلبُ حقكمْ بعزائم

كالدهرِ يعطي ما يشاءُ ويحرمُ

وَمِنَ العَجَائِبِ أنَّ بِيْضَ سُيُوفِهِ

تبكي دماً وكأنهَا تتبسمُ

فَالآنَ سُلِّمتِ القُلُوبُ إليْكُمْ

وتيقنت أنَّ الخلافةَ فيكمُ

مَا كَانَ حَمْلُكُمُ القَضيْبَ بِنَافِعٍ

حَتَّى يُضَافَ إلَيْهِ هَذا المِخْذَمُ

والخوفُ أدعَى للقلوبِ وإنمَا

خُلِقَتْ عَلَى حُكْمِ الطِّبَاعِ جَهَنَّمُ

شرفاً وأفصحَ بي الزمانُ الأعجمُ

عرضتُ قبلكَ بالمديحِ فأعرضُوا

وَجَلَوتُ أبْكَارَ القَرَيضِ وَقَدْ عَمُوا

وفطنتَ بي فلبستُ مَا لمْ يلبسُوا

مِنْ وَشْيِهِ وغَنِمْتُ مَا لَمْ يَغْنَمُوا

وهيَ القوافي ما يفرطُ عندهَا

في العارفاتِ ولا تضيعُ الأنعمُ

تَبْقَى مُخَلَّدَةً وَكُلُّ غَرِيْبَةٍ

حاشَا علاكَ فإنهَا تتصرمُ

وأبيهمُ مَا كنتُ أتبعُ خلباً

خَمَدَتْ بَوَارِقُهُ وَبَحْرُكَ مُفْعَمُ

إنْ أعرضوا عنهَا فإنَّ عقودهَا

درٌّ لمثلِ نحورهمْ لا ينظمُ

فاضَ الفراتُ بزعمهمْ فوردتهُ

وَتَرَكْتُ كُلَّ غَمَامَةٍ تَتَجَهَّمُ

تربتْ يدٌ سألتْ سواكَ وأجدبتْ

أرض بغيرِ سحابِ كفكَ توسمُ

فَالعِزُّ إلاَّ فِي جِنَابِكَ ذِلَّةٌ

والمالُ إلاَّ منْ نداكَ محرمُ

وَغَرِيْبَةٍ سَبَقَ الوُشَاةُ بأوَّلٍ

مِنْهَا وَحُسْنُ الشِّعْرِ حِيْنَ يُتَمَّمُ

غَنَّتْ كَمَا سَجَعَ الحَمَامُ وَرُبَمَا

زأرتْ كمَا هدرَ الفنيقُ المقرمُ

كالكاعبِ الحسناء إلاَّ أنهَا

مِنْ فَقْدِهَا الأكفاء قَبْلَكَ آيِمُ

أظهرتَ فيها المعجزاتِ لأمةٍ

ذلَّ البليغُ بهَا وعزَّ المفحمُ

لوْ كانَ في نظمِ القريضِ نبوة

صَلَّى عَلَيَّ السَّامِعُونَ وَسَلَّمُوا

فإنْ دَعُوا بكَ تَحْمِيْهَا فمَا ظَلَمُوا

فَإنْ دَعُوا بكَ تَحْمِيْهَا فمَا ظَلَمُوا

فمَا تخالفهَا عربٌ ولا عجمُ

يجري القضاءُ بمَا تهوَى فإنْ جمحتْ

عنهَا القلوبُ أطاعتْ أمرهَا القممُ

تروي وتحيي نفوسَ العائذينَ بهَا

فعندهَا نعمٌ في طيهَا نقمُ

كأنمَا هيَ للأعمارِ مالكةٌ

فمنْ مضاربهَا تعطِي وتخترمُ

نَادَتْ نُمَيْرٌ فَلَبَّتْهَا وَقَدْ لُؤمَتْ

فيهَا الكرامُ وماتتْ دونهَا الهممُ

فضاربَ الخوفُ عنهَا وهيَ مغمدة

وليسَ كلُّ ضراب أنْ يراقَ دمُ

أغنَى كتابكَ عنْ جيشٍ تجهزهُ

ووقرَ السيفَ لمَّا أقنعَ القلمُ

يا همةً حملَ الإسلامُ منتهَا

ونعمةً صغرتْ في جنبهَا النعمُ

هَلْ عِنْدَ قَبْرِ شَبِيْبٍ مِنْكَ مَعْرِفَةٌ

فَرُبَّمَا صَنَعَتْ مَا تَصْنَعُ الدِّيَمُ

دعتكَ رمتهُ والتربُ بينكمَا

وَمِنْ فُرُوض العُلَى أنْ تَسْمَعَ الرِّحَمُ

فَلَمْ يَكُنْ بِكَ فِيْمَا قَالَهُ حَصَرٌ

ولاَ بسمعكَ عمَّا قالهُ صممُ

عَلَيْكَ إذَا أبْصَرْتَهَا وَعَمُوا

فَإنْ دَعُوا بِكَ تَحْمِيْهَا فَمَا ظَلَمُوا

مَاتُوا وَلَكِنَّهُمْ أحْيَا بِذِكْرِهِم

إنَّ الثَنَاءَ وجُودٌ مَا لَهُ عَدَمُ

أحْيَتْ سُيُوفُكَ مَيْتُ العِزِّ فِي مُضَرٍ

وَأسْفَرَتْ بِسَنَاهَا عَنْهُمُ الظُّلَمُ

كانتْ لهم آيةً في الفخرِ واحدة

حَتَّى خُلِقْتَ فَصَارَ الدِّيْنُ والكَرَمُ

قَالَتْ عِدَاتُكَ طُرْقُ المَجْدِ خَافِيَةٌ وَمَا

عَلَيْكَ إذَا أبْصَرْتَهَا وَعَمُوا

كمْ خلةٍ لكَ رامُوا سترَ شارفها

حتَّى رأوهُ صباحاً ليسَ ينكتمُ

أطلعتَ منهَا شموساً غيرَ آفلةٍ

وعاندوكَ فقالُوا إنهَا شيمُ

مَا أيْقَنُوا لِغَرِيْبٍ مِنْ بَدَائِعِهَا

إلاَّ وَقَدْ جَهِلُوا فَوقَ الذِّي عَلِمُوا

وَلا أطَاعُوكَ إلاَّ بَعْدَ مَعْرِفَةٍ

بأنَّ مثلكَ لا يعصيهِ مثلهمُ

شَفَتْ سُيُوفُكَ دَاءً مِنْ عُقُوقِهِمُ

لَهَا وَرُبَّ شِفَاءٍ كُلُّهُ سَقَمُ

يا ابنَ الأُلى رضعُوا خلفَ الندَى فرُبوا

بِدَرِهِ ثُمَّ مَاتُوا قَبْلَ مَا فُطِمُوا

لا تأسفنَّ لموتاهمْ إذَا ذهبُوا

فمَا مضَى أحدٌ منهم وأنتَ همُ

ما يخبرُ الناسُ عنْ قومٍ بقيتهمْ

أبُو سلامةَ إلاَّ أنهمْ سلمُوا

أمَّا فؤادي فقدْ رقتْ جوانحهُ

أمَّا فؤادي فقدْ رقتْ جوانحهُ

عن الغرامِ وخانتني عزائمهُ

ولَسْتُ أنْكِرُ مَا فِيْهِ لِبُعْدِكُمُ

وكيفَ أنكرهُ والله عالمهُ

مَا عَلَى الوَاشِيْنَ مِنْ حَرَجِ

مَا عَلَى الوَاشِيْنَ مِنْ حَرَجِ

مثلُ مَا بِي ليسَ ينكتمُ

زعمُوا أنِّي أحبكمُ

وغرامي فوقَ ما زعمُوا

إذَا عزتْ صفاتكَ أنْ ترامَا

إذَا عزتْ صفاتكَ أنْ ترامَا

قضينَا في الحديثِ بهَا ذمامَا

وَمَا قَصُّرَتْ يَدٌ دُونَ الثُّرَيَّا

فخافتْ عندَ عارفهَا ملامَا

لكَ النسبُ الذي منْ سارَ فيهِ

فمَا يخشَى الضلالَ ولا الظلامَا

إذَا طلعتْ بدور بني حميدٍ

فَحَقٌ لِلْكَواكِبِ أنْ تُضَامَا

أما وَقُبُورُهُمْ فَلَقَدْ أجَنَتْ

عِظَاما فِي ضَرَائِحِهَا عِظَامَا

لقدْ أبقيتَ مجدهمُ ومائُوا

فكانُوا لا حياةَ ولا حمامَا

وربَّ منازعٍ لكَ في المعالي

سَهرْت عَلَى الطِّلاب لَهَا وَنَامَا

يُحَدِّثُ عَنْ لِقَائِكَ بالأمَانِي

فَقَالَ العَارِفُونَ بِهَا سَلَامَا

ومجتازٍ بأرضكَ حذرتهُ

سيوفكَ إنْ يريدُ بهَا مقامَا

أدلَّ بجدِّه فكفاكَ جدٌّ

يَقُلُّ سُعُودُهُ الجَيْشَ اللُّهَامَا

ضربناهُ بذكركَ وهوَ لفظ

فكانَ القلبَ واليدَ والحسامَا

عَجِبْتُ لِقَصْدِهِ المولى بعَزْمٍ

يُقْصّر أنْ يَنَالَ بِهِ العُلامَا

حَلَفْتُ بِهَا خِمَاصاً كَالحَنَايَا

وَإنْ كَانَتْ لِسُرْعَتِهَا سِهَامَا

تخبُّ بمحرمينَ تسنموهَا

وأموا فوقهَا البلدَ الحرامَا

لِيَومٍ فِيْهِ دَوْلَتُكَ اطْمَأَنَّتْ

قواعدهَا حقيقٌ أنْ يضامَا

أبَيْت اللَّعْنَ إنْ كَثُرَتْ شُجُونِي

فإنِّي قدْ وجدتُ لهَا مسامَا

فإن بَلَغَتْ إلَيْكَ بِيَ اللَّيَالِي

فقدْ زجيتهَا عاماً فعامَا

وَرَوَثْنِي سَحَابُكَ فِي بلادٍ

كَثِيْرا مَا شَكَوْتُ بِهَا الأوَامَا

وأغنانِي عطاؤكَ عنْ أناسٍ

حَسِبْتُهُمُ وَلا بَلَغُوا كِرَامَا

بَعَثْتُ إلَى نَوالِهِمُ رَجَاء

تعلمَ كيَ ينتجعُ الجهامَا

فإنْ أكدَى لئيمُ الظنِّ فيهمْ

فإنِّي قدْ عرفتُ بهِ اللئامَا

ومَا لِي والبخيلُ وقدْ كفتني

مَوَاهِبُكَ الَّتي كَفَتِ الأَنَامَا

إذَا ضَنَّ السَّرَابُ عَلَى نَدَاهُ

فقدْ نالتْ يدُ الصادي الغمامَا

وَمَا غَبَّتْ مَكَارِمَكَ القَوَافِي

وَإنْ كَانَتْ زِيَارَتُهَا لِمَامَا

وكيفَ يضيعُ جودكَ في كريمٍ

أعدَّ لشكرهِ هذا الكلامَا

قَصَائِدُ إنْ تَرَنَّحَ سَامِعُوهَا

فإني قدْ أبحتُ بها المدامَا

تَزُورُ صَبَابَة وَأحِنُّ شَوقًا

كِلانَا يَدَّعِي فِيْكَ الغَرَامَا

إذا زفتْ إليكَ علمتُ أنِّي

مَلَكْتُ لِكُلِّ جَامِحَةٍ زِمَامَا

ولولا أنهَا وجدتكَ كفؤاً

لكَانَتْ فِي الصُّدُور مِنَ الأيَامِي

ولوْ قصدتْ سواكَ لقلتُ فيها

أراني الله نقبكِ في السلامَى

إذا اتقى القومُ قبلَ الصيدِ في حرم

إذا اتقَى القومُ قبلَ الصيدِ في حرم

جَعَلْتُ كُلَّ مَكَانٍ حَلَّهُ حَرَمَا

لا تحمدِ الدهرَ في فعلٍ يجودُ بهِ

فليسَ يقصدُ لا بخلاً ولا كرمَا

قَالُوا أَتَيْنَاهُ لَمَّا نَالَهُ هَرَمٌ

ومَا أصابُوا ولكنْ لم يزلْ هرمَا

مَا سَرَّ كِسْرَي وَلَمْ تَذْهَبْ مَدَائِنُهُ

ولا سناناً وقد أنفَى له الهرمَا

تأتي لياليهِ إسعافاً وكلهمُ

أصْغَى إلى البَيْنِ مُغْتَراً فَلا جَرَمَا

يَقُولُونَ شُهُبُ اللَّيْلِ تَحَكُّمُ فِيْهِمُ

يَقُولُونَ شُهُبُ اللَّيْلِ تَحَكُّمُ فِيْهِمُ

وأقسمُ ما سارتْ بعدلٍ ولا ظلمِ

إذا فكرَ الإنسانُ في الدهرِ لم يجدْ

بَيَانَاً وَألفَى جَهْلُهُ غَايَةَ العِلْمِ

فعش فيهمُ أعمَى وإنْ كنتَ مبصراً

سفيهاً وإنْ نزهتَ نفسكَ بالحلمِ

فَمَا العَيْشُ إلاَّ مَا غَنِمْتُ نَهَابَهُ

ولا العمرُ إلاّ طارق زارَ في حلمِ

لعمري لقدْ أنحَى الزمانُ بحربهِ

عَلَيَّ وَلَكنْ مَا جَنَحْتُ إلى السِّلْمِ

إلَيْكَ عَنِّي فَلَيْسَ الخَوْفُ مِنْ شِيَمِي

إلَيْكَ عَنِّي فَلَيْسَ الخَوْفُ مِنْ شِيَمِي

سَيَطْرُدُ الهَمَّ مَا يَسْمُو مِنَ الهمَمِ

إذَا سُررْتُ فَمَا تَعْرِي بِمُبْتَسِمِ

وَإنْ جَزِعْتُ فَمَا دَمْعِي بِمُنْسَجِمِ

يَا نَاشِدَ العِزِّ مَطْوِيًّا عَلَى ضَمَدٍ

ما يدركُ المجدُ بينَ الشاءِ والنعمِ

أمَامَكَ القَاعُ فَاقْذِفْهَا مُضْمَرَةً

كأنمَا وضحتْ أخفافهَا بدمِ

حتَّى تراهَا وقدْ أودَى الكلالُ بهَا

وفي مناسمهَا عقلٌ منَ الخدمِ

وصاحبٍ كغرارِ العضبِ مفترشٍ

نمارقَ الرملِ طلاع علَى الظلمِ

يخالسُ الصبح والظلماء تحجبهُ

تَسَتُّرَ البَرْقِ بَيْنَ الوَابِلِ الرَّدِمِ

يهبُّ يعثرُ في أذيالهِ وسناً

كأنمَا النومُ بينَ الساقِ والقدمِ

هلمَّ نرسلهَا هوجاء ساميةً

لا يَمْنَعُ السَّيْفُ فِيْهَا خُدْعَةَ القَلَمِ

إنَّا إذَا الحَيُّ لا تَرْعَى سَوَائِمُهُ

إلاَّ تَذَكُّرَ رِيْحِ الضَالِ وَالسَّلَمِ

وَأَخْمَدَ البَرْقَ حَتَّى فِي بُيُوتِهِمُ

مَا يُظْهِرُ الزَنْدُ مَا فِيْهِ مِنَ الضَّرَمِ

وَرَاحَتْ النَّيْبُ فِي الأنْسَاعِ سَاغِبَةً

تنافسُ الخيلَ إنْ عللنَ باللجمِ

نبنَا عنِ الغيثِ أحياناً فحلتنَا

لا يَعْدَمُ الغَيْثُ فِيْهَا هَاطِلَ الدِّيَمِ

هلمَّ طيفَ سليمَى قدْ جلوتَ لنَا

غياهبَ الصدِّ لولا خدعةُ الحلمِ

نَشَدْتُكَ الله هَلْ أنْسِيتَ لَيْلَتَنَا

عَلَى الثَّنِيَّةِ دُونَ السَّفْحِ مِنْ إضَمِ

وليلة الحي إذْ أغرَى الرقيبُ بنَا

فَمَا اتَّقَيْنَا بِغَيْرِ الخُمْرِ وَاللثمِ

فَكَيْفَ تَقْذِفُ وُدَّاً كُنْتَ تَحْفَظُهُ

لَقَدْ خَصَمْتُكَ لو صِرْنَا إلَى حَكَمِ

لولا عَقَابِيْلُ وَجْدِي قُلْتُ حُبُّهُم

كخلبِ البرق لمْ يمطرْ ولمْ يدمِ

وبانةُ السفحِ تغريني بذكرهمُ

وجداً فيا ليتهَا باتتْ كعهدهمِ

هل الأجيرعُ يشفي منْ يمرُّ بهِ

بالعرفِ أمْ ذاكَ معْ أيامنَا القدمِ

وَنَشْقَة خَطَرَتْ وَالرَّكْبُ مُشْتَمِلٌ

دُؤابَةَ اللَّيْلِ بَيْنَ الأيْنُقِ الرُّسُمِ

شاقتْ طلى حانها وافى رحالهم

سُكْراً مِنَ السَّيْرِ أوْ ضُعْفَاً مِنَ السَّقَمِ

آهاً لِقَلْبكَ مِنْ نَجْدٍ وَسَاكِنِهِ

لقدْ علقتَ بشعبٍ غيرِ ملتئم

ما هبتِ الريحُ إلاَّ منْ جوانبهِ

ولا علا الشيحُ إلاَّ ذروةَ العلمِ

للهِ ليلكَ كمْ أفنيتَ منْ جلدٍ

حَتَّى الصَّبَاح وَكَمْ أبْقَيْتُ مِنْ ألَمِ

وصاحبٍ كلمَا هممتُ بهِ

وصاحبٍ كلمَا هممتُ بهِ

وَهَبْتُ لُؤمَ العُقُوقِ لِلْكَرَمِ

حاولَ نيلَ الكرامِ مقتصراً

عَلى الَّذِي شَادَ مِنْ عُيُوبِهِمْ

يُمَر متَّعُ فِي ذِمَّةِ الخُمُولِ فَمَا

تغضُّ منْ لواذعِ الكلمِ

لوْ ضربتْ بالسيوفِ راحتهُ

لمَا تندتْ منْ بخلهِ بدمِ

فِدًى لِمَنْ لا يَزَالُ نَائِلُهُ

يخلفُ جوداً سحائبَ الديمِ

يمنحُ حتَّى تدومَ نعمتهُ

إنَّ العَطَايَا تَمَائِمُ النِّعَمِ

أيا ملكَ الروم شتماً لهمْ

أيا ملكَ الروم شتماً لهمْ

وَفِي ظَاهِرِ القَوْلِ لَمْ أشْتُمِ

تَجَاوَزْتَ فِي البُخْلِ حَدَّ الكِلاب

فَفِي أيِّ طَائِفَةٍ تَنْتَمِي

وأظْهَرْتَ فِي البَطْرَمِ المُعْجِزَات

وَكُنْتَ بِفِعْلِكَ فِي بَطْرَمِ

يا غائباً ببعادهِ وحمامهِ

يا غائباً ببعادهِ وحمامهِ

جارَ الزمانُ عليكَ في أحكامهِ

لِتَطِل لَيَالِي الدَّهْرِ بَعْدَكَ إنَّهُ

سَيَّانْ بَيْنَ صَبَاحِهِ وَظَلامِهِ

سودتهُ في ناظري كأنمَا

خلعتْ لياليهِ على أيامهِ

أمَا حياكمُ عبقُ النسيم

أمَا حياكمُ عبقُ النسيم

فَيُخْبِرُ عَنْ ثَرَى تَلْكَ الرُّسُوم

وتُنْجِدُهُ الدَّوَافِرُ حِيْنَ تُرخَى

عليهِ ذوائبُ الليلِ البهيم

أمَّا ذا البَرقُ بِيْضُ بَنِي عَدِيٍّ

فَكَيْفَ رَمَى فُؤادَكَ بِالهُمُوم

هنيئاً للمدامع بثُّ وجدي

لَقَدْ خَبَّرنَ عَنْ خُلُقٍ كَرِيْمِ

أمَنْكَ الطَّيْفُ هَبَّ مَعْ الخُزَامى

يُخَادِعُ عِطْفُهُ وَلَعَ النَّسِيمِ

رَأى قُرْبَ الحُسَامِ وَغَارَ مِنْهُ

فَحَاكَمْنَا إلَى العَهدِ القَدِيْمِ

أحِنُّ إذَا أصَابَ الغَيْثُ نَجْداً

وقعقعَ بالرعودِ علَى الغيومِ

وَلَمَّا كُنْتُ أطْرَبُ لِلغَوَادِي

ظَنَنْتُ خَلائِقِي زَهْرَ الغَمِيْمِ

أفي مجدي طمعتَ أخَا الهوينَا

وَمَا بَالُ البُوَيْزل وَالقُرُومِ

تناكركَ القبائلُ منْ نزارٍ

كأنكَ فيهمُ خلقُ اللئيمِ

وَعَزْمِي يَسْتَقِلُّ الأفُقَ دَاراً

ويأنفَ منْ مصاحبةِ النجومِ

وتربٍ يدعيهِ المسكُ طيباً

إذا وسمتهُ أنديةُ الحميمِ

يعزُّ بهِ إذا سفِه النعامَى

وَيُعْرِضُ عَنْ مُنَازَعَةِ الحَلِيْمِ

وروض ملَّ حرَّ الشمسِ حتَّى

تفيأ بالسحائبِ والغيومِ

إذَا عَبَثَتْ بِهِ رِيْحُ الصِّبَا النُّعَامَى

تَمَايَلَ طَرَبَهَ الرَّجُل السَّقِيْمِ

صحبتُ إليهِ أكوارَ المطايَا

فَجَادَتْ بالغَوَاربِ وَالرَّسِيْمِ

وقبلَ نورهُ أفواهَ خيلي

فغازلهنَّ منْ نصبِ الشكيمِ

فَبِتْنَ كَأَنَّهُنَّ بأل حُزْنٍ

وَذاكَ الربْد تَلْعَبُ بالحُلُومِ

لهنَّ إذا سرحنَ بهِ مراحٌ

مراحُ الحمدِ في الحسبِ الصميمِ

وحيٍّ منْ خفاجةَ رحتُ فيهِ

علَى جرداء حاليةِ الأديمِ

أبيحُ الخمرَ فيهِ حمى همومي

فَأَطْرِبْهَا وتفتِكُ بالنَّدِيمِ

وَكَحْلاء الجُفُونِ قَرْعتُ مِنْهَا

نِجَادَ السَّيْفِ بالعِقْدِ النَّظِيْمِ

وأحياء حبائلهمْ كراهمْ

طَرَقْتُهُمُ بقَاطِعَةِ النَّمِيْمِ

أفِي فَضْلِي يُبَارِيْنِي غَوِيٌّ

وأينَ الوجهُ يبذلُ للسهومِ

فلا لكَ ما نسبتَ إلى سنانٍ

ولا عزيتْ خؤولكَ في تميمِ

نُجُومُ اللَّيْلِ يُسَهِرُهَا حذاري

وَسُمْرُ الخَطِّ يُرْعِدُهَا عَزِيْمِي

ودمعي في جفون الركبِ يبدو

كَدَمْعِ الغَيْثِ فِي حَدَقِ النَّجِيْمِ

وقدْ خبرتَ عنْ نشبٍ قليلٍ

فهلْ خبرتَ عنْ خلقٍ ذميمِ

تحاذرُ أنْ أسبكَ يا ابنَ سلمَى

تحاذرُ أنْ أسبكَ يا ابنَ سلمَى

كأنَّ أباكَ في حسبٍ كريمِ

وبالشهباءِ منْ حزنِ ابنِ عمروٍ

بُيُوت مَا رُفِعْنَ عَلَى لَئِيْمِ

إذا ما شئتَ هبَّ إليَّ منهَا

مذربةُ الأسنةِ كالنجومِ

لسْتُ مِنْ عَدْنَانَ إنْ لَمْ تَرَهَا

لَسْتُ مِنْ عَدْنَانَ إنْ لَمْ تَرَهَا

كَذِئَابِ القَاعِ يَرْعَيْنَ اللُّجُمِ

كُلُّ نَشْوَانَ يبَادِي عِطْفَهُ

غصنُ البانةِ والرمحُ الأصمْ

قدْ أغارُوا فحوُوا مَا بالفنَا

مِنْ ثَمَام وَقَوَام وهَضْمْ

يا بني قيلةَ لا تخدعكمْ

هَجْمَةُ اللَّيْثِ إذَا اللَّيْثُ هَجَمْ

إنَّ أسْيَافَ نِزَارٍ طَبُعَتْ

لطلاكمْ وعراقيبِ النعمْ

ربَّ خلٍّ طمحَ الغيُّ بهِ

فَوَهَبَنَا اللُّؤمَ فِيْهِ للكَرَمِ

وابْنِ عَمٍّ قَدْ بَلَونَا سِرَّهُ

فلبسناهُ علَى ما قدْ كتمْ

وَنَدِيْمُ عَبَّهَا فِي لَيْلَةٍ

غَطَّ فِيْهَا الكأسَ حِلْبَابَ الظُّلَمْ

كلمَا حاربنَا ضوءُ الضحَى

حالفَ الصبحُ علينَا وابتسمْ

إنْ تريني بمضلاتِ الغنَى

أحملُ الجودَ على ظهرِ العدمْ

فأبيُّ النفسِ عنْ ذلِّ المنَى

وَخَفِيْفُ الظَّهْرِ عَنْ حَمْلِ النِّعَمِ

صَرَفْتَ بِعَدْلِكَ صَرْفَ الزَّمَانِ

صَرَفْتَ بِعَدْلِكَ صَرْفَ الزَّمَانِ

وَأَحْيَتْ عَطَايَاكَ مَيْتَ الكَرَمِ

فَلا زَالَ بِشرُكَ قَبْلَ النَّوَالِ

كَمَا ابْتَسَمَ الغَيْثُ ثُمَّ انْسَجِم

وَسَيْفُكَ يَسْبِقُ شَأوَ السَّحَابِ

بِ ذاكَ بماء وهذا بدمْ

استغفرُ اللهَ سرِّي في الهوَى علنُ

استغفرُ اللهَ سرِّي في الهوَى علنُ

وقدْ قنعتُ فقلتْ عنديَ المننُ

عرفتُ دهري فلمْ أحفلْ بحادثةٍ

فِيْهِ فَلا فَرَحٌ عِنْدِي وَلا حَزْنُ

فنٌّ منَ العيش لا تُخشى عواقبهُ

وَلا تُثَارُ بِهِ الأحْقَادُ والاحَنُ

ضلَّ الذينَ رأوْا في النسل فائدة

وَلَو أصَابُوا لمَا رَبُّوا وَلا حَضَنُوا

وقدْ تصافى رجالٌ لوْ كشفتَ لهمْ

سجيةَ الناس خافُوا كلَّ منْ أمنُوا

يجري القضاء بمَا تعيَا العقولُ بهِ

وينصرُ الجهلُ حتَّى يعبدَ الوثنُ

والظلمُ طبعٌ ولولا الشرُّ ما حمدتْ

في صَنْعةِ البيْض لا هِنْدٌ ولا يَمَنُ

دَمَمْتَ دَهْرَكَ إذْ نَابَتْكَ نَائِبَةٌ

بِمِثْلِ مَا تَشْتَكِيْهِ يَعْرِفُ الزَّمَنُ

خفضْ عليكَ فإنَّ العمرَ مخترمٌ

والموتُ منتظرٌ والحرُّ ممتحنُ

ولا يغركَ خلقٌ راقَ ظاهرهُ

فليسَ تصندق لا عينٌ ولا أذنُ

صحبتُ قوماً يعدُّ الشرُّ عندهمُ

حزماً تشيرُ بهِ الآراءُ والفطنُ

عمُوا عن الرشدِ واعتادتْ نفوسهمُ

فِعْلُ القَبِيْحِ فَظنُّوا أنَّهُ حَسَنُ

وَقَدْ تَوَالتْ عَلَى قَصْدِي سِهَامُهُم

وَلِي مِنَ الزُّهْدِ فِي أوطانِهم جَنَنُ

رضيتُ عيشي فلا حرص ولا طمعٌ

وَصُنْتُ عَرْضِي فَلا عَارٌ وَلا دَرَنُ

إذَا سَغِبتُ فَجِسْمٌ لا حَيَاةَ بِهِ

وإنْ ظمئتُ فماء مَا لهُ ثمنُ

خيرُ المَشاربِ مَا تَبقَى الحَيَاةُ بِهِ

في فطرةِ الخلق لا ماء ولا لبنُ

وأفضلُ القوتِ ما جادتْ لطالبهِ

يَدُ الثَّرَى وَقَرَاهُ العَارضُ الهَتْنُ

لا أطْلُبُ الرِّزْقَ مِنْ سَيْفٍ وَلا قَلَمٍ

وَلا يُمَارِسُ فِي مَا أكْسِبُ المِهَنُ

ورثتُ مالَ أناس طالَ عهدهمُ

غَنيتُ مِنْهُم ومَا خَبرْتُ كَيْفَ غَنُوا

وَأفْسَدُوا بِجوَارِ الرُّومِ عِيْشَهُم

إنْ حَارَبُوا أسَرُوا أو سَالمُوا دَهَنُوا

فمَا تخلفَ عنهمْ غيرُ حادثةٍ

تَلُوكُهَا هَذِهِ الأحْدَاثُ وَالفِتَنُ

هيَ العواصمُ مرمَى كلِّ فاقرةٍ

فليسَ تسكنُ لولا أنهَا وطنُ

وقدْ تقدمَ فيهَا معشرٌ دفنوا

حتَّى يحورُوا وعندي أنهمْ دفنُوا

أهونْ عليَّ بدنياهمْ وإنْ كثرتْ

عَلَى مَحَبَّتِهَا الأظْعَانُ وَالإحَنُ

يَا دِمْنَةَ الشَرِّ لا جَادَتْكِ سَارِيَةٌ

فَطَالَمَا دَرَست مِنْ جُودِكَ الدِّمَنُ

يمضي الزمانُ وتعفُو كلُّ حادثةٍ

فِيْهِ وَقَدْ ثَبَتَتْ مِنْ ظِلْمِكَ السُّنَنُ

أَلِفتُ شَرَّكِ حَتَّى مَا أرَاعَ بِهِ

وَكَيفَ تَفُرقُ سَيْفَكَ البَارِقُ المُزْنُ

وأضحكتني حقودٌ منكَ باديةٌ

وَهَلْ يَضِيْقُ برَسْمِ دَارسٍ عَطِنُ

تَبَارَكَ الله مَا في الخَلْق مُشْكِلَةٌ

وَلَيْسَ يَطْمَعُ فِي إدْرَاكِهِ المِنَنُ

ولا تهبُّ منَ الأحلامِ راقدة

إلاَّ ويغبرُ في أجفانهَا الوسنُ

يا عالمَ المصرِ هل أضمرتَ خافيةً

عَن البَصَائِر فِي ايْضَاحِهَا شَجَنُ

أمْ ليسَ عندكَ إلاَّ حيلةً لفتىً

تصيبهُ وحديث كلهُ طننُ

رَمَيْتَ خَصْمَكَ بالتَقْلِيْدِ مُتْبَعا

فيهِ وأنتَ بمَا أنكرتهُ قمنُ

وَكَيْفَ تَصْدُقُ فِي الأخْبَارُ مُرْسَلَةٌ

ومَا أراكَ معَ الإسنادِ مؤتمنُ

وكمْ تضمنَ قومٌ في جدالهمُ

أنْ يفهموكَ فمَا أوفُوا بمَا ضمنُوا

خَفْ مِنْ جَلِيْسِكَ وَاصْمِتْ إنْ بُلِيْتَ بِهِ

فالعيُّ أفضلُ ممَّا يجلبُ اللسنُ

ولا يغركَ قولٌ سارَ في مثلٍ

فَمَا ابْنُ سِيْرِيْنَ مَأمُونٌ وَلا الحَسَنُ

كلَّ الأنامِ لأم غيرِ منجبةٍ

فما زكى فيهمُ عرق ولا غصنُ

وَلا تَقَدَّمَ مِنْهُمْ مَعْشَرٌ خَمِدُوا

فلا تغركَ أخبارُ الذينَ فنُوا

تَوقَّ كَلامِي يَا ابْنَ عَمْرو فإنَّهُ

تَوقَّ كَلامِي يَا ابْنَ عَمْرو فَإنَّهُ

أسِنَّةُ عَارٍ لا يَبِلُّ طَعِيْنُهَا

فَقَدْ نَازَعَتْنِي العزَ فِيْكَ قَبَائِلٌ

ملأتَ عليهَا دهرهَا ما يهينُها

وَفَارَقْتُهَا مُسْتَبْدِلاً دَارُ غُرْبَةٍ

ألا إنَّ أوطانَ الغنَا مَا يصونُها

توقدُ منْ غيظٍ عليَّ صدورهَا

وتزورُّ منْ خوف إليَّ عيونهَا

غَدَتْ فِقَرٌ مِنِّي تُثِيْرُ مَخَازِيا

بأعراضِهَا لوْ كانَ لؤمٌ يشينُها

خَلائِقُ نَدْبٍ أطْمعتكُمْ سُهُولُهَا

ستفزعكمْ عمَّا قليلٍ حزونهَا

وَكَيْفَ يُرَامُ الذُّلُ مِنْي وَعَامِرٌ

تقضَّى بأطرافِ العوالي ديونهَا

وَمَا نَكَرَتْ بِيْضَ السُّيُوفِ صُدُورُهَا

ولاَ جهلتْ سمرَ الرماح متونهَا

نَبَذْتُكَ نَبْذَ العَارِ مِنِّي فَلَو صَبَتْ

إلَيْكَ شِمَالِي فَارَقَتْهَا يَمِيْنُهَا

ولوْ كنتُ برقاً بالغوير بدتْ بهِ

منازلُ سلمَى سهلهَا ووجيئُهَا

لأعرضتُ عنهُ والجوَى في مقرهِ

وَنَازَعْتُ نَفْسَاً جُنَّ مِنْهَا جُنُونُهَا

متَى أنَأ غادٍ بالغميم وصحبتي

تُجَاوِدُ هَطالَ الغَوَادِي شُؤُنُهَا

علَى ضمرٍ باريتهمْ بحنينهَا

غراماً وبارهَا سقاماً حنيئُهَا

تجدْ إذَا هبتْ رياحٌ مريضةٌ

ضلالكَ منهَا إن توعكَ لينهَا

إذَا خِلْنَ غُدْرَانَ الغُوَيرِ صَوَارِمَا

تُمَنَّيْنَ لَو أجْفَانَهُنَ جُفُونُهَا

فَإنَّ بِقَلْبِي مِنْ فِرَاقِ عُدَيْبَةٍ

طماعةُ شك لا عراني يقينَها

يَا نَاصِرَ الأمْرِ الَّذِي بِسُيُوفِهِ

يَا نَاصِرَ الأمْرِ الَّذِي بِسُيُوفِهِ

ذُلَّتْ أعَادِيْهِ وَعَزَّ الدِّيْنُ

أرهفتَ في ظلمِ الخطوبِ عزائماً

تُثني بهَا الأقْدَارُ وَهِي سُكُونُ

أكْثَرْتُ حَاجَاتِي إليك مُثْقَلاً

ورجاء مثلكَ كالحديثِ شجونُ

إنْ كنتَ واهبهَا فجودكَ غامرٌ

أو شَافِعًا فِيْهَا فَأنْتَ مَكِيْنُ

مَا عَلى أحْسَنْكُم لَو أحْسَنَا

مَا عَلى أحْسَنَكُم لَو أحْسَنَا

إنَّمَا نَسْألُ شَيْئًا هَيِّنَا

قدْ شجانَا اليأسُ منْ بعدكمُ

فغدونَا بأحاديثِ المنَى

وَعَدُوا بالوَصْلِ مِنْ طَيْفِكُمُ

مقلةٌ لمْ تدر فيكمْ وسنَا

لا وسحرٌ بينَ أجفانكمُ

فتنَ الحبُّ بهِ منْ فتنَا

وحديثٍ منْ مواعيدكمُ

تحسدُ العينُ عليهِ الأذنَا

ما رحلتُ العيسَ عنْ أرضكمُ

فَرَأتْ عَيْنَايَ شَيْئًا حَسَنَا

يا بني عذرةَ إنْ ضفناكمُ

فَدَمُ الهرْمَاس مِنْكُمْ عِنْدَنَا

أخذتْ سمركمُ الثأرَ بهِ

لستُ أعنِي لكمُ سمرَ القنَا

وَسَلَلْتُمْ فِيْهِ ألْحَاظُكُمُ

فَعَرَفْنَا بِالسُيُوفِ اليَمَنَا

هلْ لنَا نحوكمُ منْ عودةٍ

وَمِنَ التَعْلِيْلِ قَولي هَلْ لنَا

كمْ أسلّي النفسَ عنْ حبكمُ

وَهْيَ لا تَزْدَادُ إلاَّ حَزْنَا

وَلَعَمْرِي لو وَجَدْنَا رَاحَةً

منْ هواكمْ لطلبنَا شجنَا

يَا نديميَّ علَى ذكرهمُ

وَحَدِيْثُ الشَوق قَدْ أسْكَرَنَا

بينَ بصرَى وضميرٌ عرَب

يأمنُ الخائفُ فيهمْ مَا جنَى

كُلَّمَا شُنَّتْ عَلَيْهِمْ غَارَةً

أغْمَدُوا البيْضَ وَسَلُّوا الأعْيُنَا

طلَعَتْ لِلحُسْنِ فِيْهِمْ مُزْنَةٌ

أنْبَتَتْ فِي كُلِّ حِقْفٍ غُصُنَا

مَا لقلبي ليسَ يشفَى داؤهُ

كُلَّمَا زَالَ ضَنَىً عَادَ ضَنَا

كلُّ يوم صبوة عذريةٌ

منْ هواكمْ تتلاقى الدمنَا

لوْ سلمنَا منْ تباريح الهوَى

لذكَرْنَا جُملةً مِنْ أمْرِنَا

وشكرنَا لابن نصرٍ منةً

أنْطَقَتْ بالمَدْح فِيْهِ الألسُنَا

مغرمٌ بالجودِ مَا يحملهُ

نصبُ الفقرِ علَى حبِّ الغنَى

كلمَا عرضَ بالحمدِ لهُ

أكْثَرَ السُّومَ وَأغْلَى الثَّمَنَا

مَا تَرَاهُ كَيْفَ مَا مَالتْ بِهِ

عِقَبُ الأيَّام إلاَّ مُحْسِنَا

وقريبٌ بعدتْ همتهُ

ربَّ أمرٍ مَا نأى حتَّى دنَا

وَإذَا مَا أقْبَلَتْ غَائِرَةً

كقنَا الخطِّ خفافاً لدنَا

صاحَ محمودٌ علَى فراطِها

لا فَتَى يَعْطِفُهَا إلاَّ أنَا

خُلِقَتْ لِلْجُودِ مِنْهُ رَاحَةٌ

عَلَّمْتَنَا أنْ نَدُمَّ المُزْنَا

يَا عِمَادَ الحَزْمِ نَعْتاً صَادِقًا

وَمِنَ الألْقَابِ مَيْنٌ وَالكُنَى

لا أرَى عتبكَ إلاَّ ظاهراً

خَيْرُ شَكْوَى عَاشِقٍ مَا أعْلَنَا

كُنْتَ تَرْمِي زَمَنِي دُونِي فَقَدْ

صرتُ أخشَى أنْ يكونَ الزمنَا

مَا تعاملنَا بحمدِ اللهِ في

سببٍ يوجبُ خلفاً بينَا

غَيْرَ شِعْرٍ رُبَّمَا أهْدَيْتُهُ

لكَ إذ صادفَ وقتاً ممكنَا

لَيْسَ فِي الأعْدَاءِ مَنْ يَفْهَمُهُ

فيقولُوا إنهُ مَا أحسنَا

ولعمري إن في حبهمُ

مَا يُرَى سَحْبَانُ إلاَّ ألكَنَا

كُلَّ يَومٍ لِيَ مِنْهُمْ نَوْبَةٌ

تذرُ الحرَّ بهمْ ممتحنَا

وعلى العلاتِ لا زلتُ بمَا

أكْرَهُ التَّصْرِيْحَ فِيْهِ فَطِنَا

أنْكَرُوا حِرْصِي عَلَى السِّلْمِ وَمَا

أدعي أنِّي أحبُّ الفتنَا

كيفَ يهوَى الحربُ منْ إنْ فزتمُ

لَمْ يَكُنْ بالخَيْرِ مِنْكُمْ قَمِنَا

وَإذَا ضَاقَتْ عَلَيْكُمْ خُطةٌ

عدمَ المال بهَا والوطنَا

لَيْسَ فِي المَعْقُولِ أنْ يُؤثِرَهَا

غيرَ مَنْ إنْ خفتُ فيها أمنَا

فتنبهْ لمخاريقهمُ

ما عهدنَا منكَ هذا الوسنَا

واحملِ الناسَ علَى حبهمُ

ليسَ منْ دينِ العلَى أنْ تغبنَا

إنَّ مَنْ أحْرَزَ عَنْكُمْ مَذْهَبَا

غيرَ منْ أنتمْ لهُ كلُّ الدنَا

ليسَ منْ يعبدُ رباً واحداً

مِثْلُ مَنْ يُشْرِكُ فِيْهِ الوَثَنَا

خليليَّ خلينَا الصبَا وتعاقلنَا

خليليَّ خلينَا الصبَا وتعاقلنَا

فيا ليتَ شعري هلْ يعودُ كمَا كنَّا

وهيهاتَ حالَ الهمُّ دونَ مراحِنا

وَفَارَقَنَا شَرْخُ الشَّبَابِ وَفَرَّقَنَا

سَقَى الله أيَّامَ السِّبَاحَةِ رِيَّهَا

مداماً فإنَّ اللهَ قدْ أرخصَ المزنَا

وحيَّا زمانَ الأصمعيِّ ونظرة

إلى الدَّيْلَمِي غَادَرَتْ بَيْنَنَا ضِغْنَا

وَلَيْلَتَنَا بالبُرْجِ مِنْ حِصْنِ صَمَّع

رَعَى الله ذاكَ اللَّيْلَ وَالبُرْجَ وَالحِصْنَا

وحربَ أبي عمروٍ ودارَ ابنِ ثعلبٍ

فَكَمْ قَدْ عَلِمْنَا فِي الجُنُونِ بِهَا فَنَّا

وليلاً قصرنَا بالقريطيِّ طولهُ

إذَا شددَ الميمات في شدوهِ صحنَا

وقولَ عليٍّ للنيامِ تعرفا

عَلَى الجَسَدِ المَقْرُورِ وَالمُقْلَةِ الوَسْنَا

معاهد أتراب الصبا وملاعب

أجَدَّ لَنَا ذِكْرُ السُّرُورِ بِهَا حُزْنَا

لَيَالِيَ لا نَخْشَى مِنَ التُرْكِ غَارَةً

وَلا نَبْتَغِي فِي وَصْلِ أحْبَابِنَا إذْنَا

نبيتُ نشاوَى مَا شربنَا مدامةً

وَنَغْدُو إلَى خَلْعِ العِذَارِ كَمَا كُنَّا

وَكَمْ مُلِحٍّ وَافَى اليْنَا يَرُدُّنَا

فَلَمَّا أبَيْنَا أنْ نَرُوحَ مَضَى عَنَّا

أحَادِيْثُ أمَّا لَفْظُهَا فَهُوَ وَاضِحٌ

جليٌّ ولكنْ قلَّ منْ يفهمُ المعنَى

ومستخبرٍ عنَّا أجبنَا سؤالهُ

بعجماء لا علماً أفادتْ ولا ظنَّا

أتانا فسمينَا لهُ الأمرَ ناسقاً

فَأنْبَسَ فِي إبْهَامِهِ وَتَلَدَّدْنَا

يفسرهَا للقومِ كلُّ ملذذٍ

تَوَاحَشَتِ الأيَّامُ فِي بُعْدِهِ عَنَّا

ذَكَرْنَا بِهَا أحْبَابَنَا فَتَنَاثَرَتْ

مدامعُ لا يتركنَ عيناً ولا جفنَا

مَضُوا وَبَقِيْنَا لِلْشَقَاوَةِ بَعْدَهُمْ

نزورُ ديارَاً مَا نحبُّ لهَا مغنَى

يَا نديمي علَى الهمومِ ويَا حَامل

يَا نديمي علَى الهمومِ ويَا حَا

ملَ عنِّي في الدهرِ خوفاً وأمنَا

كمْ رعينَا الخطوبَ حلواً ومراً

وقطعنَا الزمانَ سهلاً وحزنَا

وَرَمَتْنَا صُرُوفُهُ بِهَنَّاتٍ

هُنَّ أمْضَى مِنَ الأسِنَّةِ طَعْنَا

وعبوس فإنْ تبسمَ كأنَ اللؤمَ

منْ ذلكَ التبسمِ يجنَى

ربَّ عينٍ إلى الدنيةِ شزراً

ء وأخرَى عن المكارمِ وسنا

لَكَ كُلَّ يَومٍ غَضْبَةٌ مُضَرِيَّة

لَكَ كُلَّ يَومٍ غَضْبَةٌ مُضَرِيَّةٌ

فَمَتَى تَجُودُ بِهَا عَلَى أجْفَانِهَا

تدنِي بهَا الآجالَ قبلَ أوانهَا

تَجْرِي بِطَاعَتِكَ الخُطُوبُ فَإنْ عَصَتْ

يوماً فقدْ عرفتْ مدَى عصيانهَا

ما ينكرُ الإسلامُ أنَّ ثغروهُ

عَزَّتْ وَسُمْرُ قَنَاكَ مِنْ أرْكَانِهَا

أدَّبْتَ صَرفَ الدَّهْرِ فِيْهَا بَعْدَمَا

جمحتْ حوادثُهُ علَى سكانهَا

وصددتهُ عنْ نهجهَا فكأنمَا

وَقَفَتْ لكَ الأفْلاكُ عَنْ دَوَرَانِهَا

إنْ أظهرتْ لعلاكَ أنطاكيةٌ

حزناً فقدْ ضحكتْ علَى قطانهَا

بَعَثَ البَرِيْدُ مُخبراً عَنْ وَثْبَةٍ

مَا كانَ أحْوَجَهُ إلى كِتْمَانِهَا

لمَّا أظلَّ لهُ لواؤكَ خافقاً

عرفتْ وجوهُ الذلِّ في صلبانِها

إنْ عَادَ نَحْوَكَ جَانِبٌ مِنْ كَيْدِهِ

قَامَتْ لكَ الخُطبَاءُ فِي قُسَّانِهَا

أتظنَّ الورقَ في الأيكِ تغنِّي

أتظنَّ الورقَ في الأيكِ تغنِّي

إنمَا تضمرُ حزناً مثلَ حزني

لا أرَاكَ الله نَجْداً بَعْدَهَا

أيُّهَا الحَادِي بنَا إنْ لَمْ تُجِبْنِي

هلْ تباريني إلى بثِّ الجوَى

في ديارِ الحيّ نشوَى ذاتُ غصنِ

هَبْ لنَا السَّبْقَ وَلكِنْ زَادَنَا

أننَا نبكي عليهَا وتغنّي

يَا زَمَانَ الخَيْفِ هَلْ مِنْ عَوْدَةٍ

يسمحُ الدهرُ بهَا منْ بعدِ ضنِّ

أرَضِيْنَا بِثَنِيَّاتِ اللِوَى

عنْ زورد يَا لهَا صفقةَ غبنِ

سَلْ أرَاكَ الجَزْع هَلْ جَادَتْ بهِ

وَأحَادِيْثُ الغَضَا هَلْ عَلِمَتْ

أنهَا تملكُ قلبي قبلَ أذني

لسْتُ أرْتَاعُ لِخَطْبٍ نَازِلٍ

إنَّمَا الخَوفُ لِقَلْبٍ مُطْمَئِنِّ

وَكَرِيْمُ القَوم لا أسْألُهُ

فَلِمَاذَا يُعْرِضُ البَاخِلُ عَنِّي

قَدَ رَضِيْنَا بإبَاءٍ عَنْ غِنًى

وَيَعِز اليَأسَ عَنْ دُل التَّمَنِّي

صاحبِ الدهرَ قليلاً تعترفْ

فِيْهِ بالسَجْلَيْن مِنْ سَهْلٍ وَحَزْن

يُخْبِرُ الصَّاحِبُ عَنْ إخْوَانِهِ

فاسأل الصارمَ ما يعرفُ منِّي

وذللٍ موعدٍ لي بالردَى

إنمَا يطمعُ أنْ يحسبَ قرنِي

نمْ علَى ضلعكَ مَا رعتَ بهَا

إنَّمَا قَعْقَعْتُ للطَوْدِ بشَنّ

لسْتُ أرْضَاكَ لِحَرْبِي فَاحْتَرِزْ

بزمامِ الهون منْ ضربي وطعْني

ميسمٌ يشهرُ قدراً خاملاً

أنْتَ مِنْ لَدْعَتِهِ فِي شَرّ أمْن

كنْ معَ الأيامِ ألباً إنمَا

صلتُ في الدهرِ بكفٍّ لمْ تنلني

بعزيزِ الدولةِ امتدتْ يدي

فعلى فرعِ السهَا أسحبُ ردني

سلْ صروفَ الدهرِ عني عندهُ

أيُّ آباء وَفي أيِّ مُجْن

قادنِي بعدَ شماس بشرهُ

لوْ بغاني بسواهُ لمْ يقدنِي

سَبَقَ النَّاسُ إلَيْهَا صَفْقَةً

لمْ يعدْ رائدُهَا عنِّي بغبن

قَصَّرَتْ آمَالُنَا عَنْ جُودِهِ

فَعَلَيْهِ لا عَلَى الآمَالِ نُثْنِي

لا تلوموهُ على إقتارهِ

يهدمُ المتربُ والمنفضُ يبْني

فكأنَّ المالَ آلى حلفةً

لأهِيْنَنَّ بَخِيْلاً لَمْ يُهِنِّي

مِنْ كِرَامٍ أدَبَ الدَّهْرُ بهِمْ

بعدَ ما كانَ على الأحرارِ يجني

نقلُوا سمرَ القنَا يومَ الوغَى

بسياط مثلها في الطعنِ لدن

كُلُّ مَيَّاسٍ جَرَتْ أعْطَافُهُ

وَعَوَالِيْهِ عَلَى الحُكْمِ التَّثَنِّي

هزة للجودِ صارتْ نشوة

لَمْ يُكدِرْ عِنْدَهَا العُرْفُ بِمَنِّ

طَلَبُوا الشَأوَ فَوَافَى سَابِقًا

جذعٌ غبرَ في وجهِ المسنِّ

صيغَ للفضلِ مثالاً شخصهُ

إنَّمَا مَادِحُهُ لِلفَضْلِ يَعْنِي

ريحكَ النكباءُ يا دهرُ برُكنِي

يا ابنَ فخرِ الملكِ فخراً إنهُ

نسبٌ يقنعُ في المجدِ ويُغني

قدتَ مدحي بعدَ مَا كانتْ به

عزةُ السرينِ منْ صدري وجفنِي

وأبَى دونَ لئامٍ تبعُوا

سُنَّةَ الأيَّامِ فِي بُخْلٍ وَجُبْنِ

لَمْعَةُ الخُلْبِ فِي المَحَلِ المُبنِ

يتبعُ الجودَ إذا مَا غلطتْ

كَفُّهُ بالجُودِ يَومَاً قَرْعَ سِنِّ

مِنْ بَنِي الدَّهْرِ لَهُمْ مِنْ لُؤمِهِ

نَسَبٌ أَلحِقَ فِيْهِ الأبُ بِابْنِ

بذلكَ المعروفَ معَ بخلهمُ

مَنْظَرٌ مَا شِئْتُ مِنْ قُبْحٍ وَحُسْنِ

صَرَفَتْ عَنْكَ اللَّيَالِي نَاظِراً

لمْ يزلْ يرنو إلى الفضلِ بضغنِ

وَسَمَتْ بِي أنْ يُرَامَى جَانِبِي

برعاديدٍ منَ الأقوامِ لُكْنِ

لا تَعْذُل القَلْبَ عَلَى وجْدِهِ

لا تَعْذُلِ القَلْبَ عَلَى وجْدِهِ

قدْ ضلَّ عنْ منهجِ سلوانهِ

لمْ أرَ ربعاً مثلهُ وافياً

فَارَقتْهُ فِي إثْرِ سُكَانِهِ

يَا نَازِحَا حَكَمَتْ عَلَـي

يَا نَازِحَا حَكَمَتْ عَلَـ

ـيَّ بِبُعْدِهِ نُوَبُ الزَّمَان

منْ لي بقربِ الدار

ـكَ وَلا أرَاكَ وَلا تَرَانِي

مَا كُنْتُ أحْسَبُ أنَّنِي

أرْضَى بِهَجْرِكَ فِي الأمَانِي

ودوحٍ مالتِ الأغصانُ منهُ

ودوحٍ مالتِ الأغصانُ منهُ

فخلتُ مميلهَا وسنَ العيون

كَأنِّي إذَا نَبَذْتُ النَّومَ فِيْهِ

تَعَلَّقَ بِالدَّوَائِبِ وَالغُصُون

فَؤادٌ يَهِيْمُ بِذِكْرِ الوَطَنْ

فَؤادٌ يَهِيْمُ بِذِكْرِ الوَطَنْ

فَؤادٌ يَهيْمُ بِذِكْرِ الوَطَنْ

ودمعٌ يعيدُ رسومَ الدمنْ

وليلٌ كمَا علمَ الساهرونَ

أسِيْرُ الصَّبَاحِ عَصِيٌّ الوَسَنْ

وحيٌّ نزلتُ بهِ في الصبَا

ومَا كنتُ أعرفُ بعدُ الوطنْ

أعقُّ خليليَّ فيهِ القديمُ

وأغدرُ إخوانيَ المؤتمنْ

وَفَقْدَ أنَاسٌ أعُدُّ الحَيَاةَ

ةَ بعدهمُ منْ تمامِ المحنْ

ففي أيِّ نهجٍ أرومُ السرورَ

وَمِنْ أيِّ وَجْهٍ أصُدُّ الحَزَنْ

ولي نظرة تستمدُّ الغرامَ

وَقَلْبٌ لهُ كُلُّ يَوْمٍ شَجَنْ

وَبَرْحٌ مِنَ الحُبِّ أخفيتُهُ

فَقَدْ أكْثَرَ النَّاسُ فِيْهِ الظَّنَنْ

وَقَالَ الوُشَاةُ سَمِعْنَا بِهِ

فَقُلْتُ صَدَقْتُمْ وَلَكِنْ بِمَنْ

وَهَلْ عِنْدَكُمْ غَيْرَ أنِّي أهِيْمُ

بشكوَى الصبابةِ في كلِّ فنْ

وَأذْكُرُ بَيْضَاءَ مِنْ عَامِرٍ

وكمْ منْ بني عامرٍ في اليمنْ

خَلِيْلَيَّ قَدْ عَادَ قَلْبِي إلَيَّ

وَقَرَّتْ بَلابِلُهُ وَأطْمَأنْ

وما زلتُ أزهدُ في منْ عرفتُ

حَتَّى سَكَنْتُ لِفَقْدِ السَّكَنْ

فَلله حُرٌّ أبيٌّ القِيَادِ

عَلى القَادِرِيْنَ خَلِيْعُ الرَّسَنْ

ونفسٌ تعافُ جزيلَ الغنَى

إذَا كانَ فيهِ قليلُ المننْ

وَكَيْفَ أُضَامُ وَلِي نَاصِرَانِ

نِ ذُو الحسبينِ وهذَا اللسنْ

حُسَامَانِ مَا لَهُمَا نَبْوَة

ولا يتقَى منهمَا بالجنَنْ

رَعَى الله مَنْ تَيَّمَتْهُ العُلَى

فَهَامَ إلى وَصْلِهَا وَاقْتَنَنْ

ومَا نالَ عفواً جميلَ الثناء

ولكنْ شراهُ بأغلَى الثمنْ

يَدُلُّ عَلى جُودِهِ بِشْرُهُ

وَمَا لَمَعَ الغَيْثُ إلاَّ هتنْ

مَنَيْعُ الجِوَارِ رَفِيْعُ المَنَارِ

مُرِيْعُ الدِّيَارِ وَسِيْعُ العَطنْ

تلوحُ لهُ خافياتُ الغيوبِ

فَسِرُّ القَضَاءُ لَدَيْهِ عَلَنْ

إذَا أخصبتْ بنداهُ البلادُ

فمَا شاءتِ السحبُ فلتفعلنْ

وَسَيْفُكَ فِي هَضَبَاتِ العُيُونِ

بَدَائِدٌ مَا حُسِبَتْ أنْ تُشَنْ

نِ علمَ قومكَ ضربَ القنْ

وقدْ علمتْ حلبٌ أنهُ

بصيرٌ بأدوائها في الفتنْ

وَلَوْلاكَ كَانَتْ عَلَى عَادِهَا

مروعةً كلَّ يومٍ بفنْ

وَكَمْ حَاسِدٍ رَامَهَا بالْمُنَى

وماذا عليهَا ولهوَ الثمنْ

أتَاهَا يَشِيْمُ بُرُوقَ الجَّهَامِ

مِ في عارضٍ مخلفٍ كلَّ ظنْ

فلمَّا طلعتَ بملمومةٍ

يلمُّ بها وهجْ كالدخنْ

تبرأ منْ كاذباتِ الظنونِ

وَحَمَّلَ أجْمَالَهُ لِلظَّعَنْ

تخيرْ أبا رافعٍ للجوا

رِ إمَّا عقيلاً وإمَّا قطنْ

ونمْ في بيوتهم وادعاً

فما لكَ إلاَّ عناء معنْ

ومَا عزَّ حلمُ ابنُ نصرٍ عليكَ

وَلا غَاضَ عَنْكَ نَدَاهُ وَضَنْ

ولكنْ سننتَ عقوقَ الكرام

فَقَدْ تَبِعُوا فِيْكَ تِلْكَ السُّنَنْ

بقيتَ فكمْ لكَ عندِي يداً

ومناً بعثتَ بهِ بعدَ منْ

توالى إليَّ بلا شافعِ

وأغنَى الفراتَ يداً عنْ شطنْ

مَوَاهِبٌ إنْ كُنْتُ أخْفَيْتُهُنَّ

فَإنِّي بهِنَّ كَثِيْرُ التَّفَنْ

وَإنْ كَانَ مَدْحِي بهَا سَائِراً

فرقي بهَا علقٌ مرتهنْ

قنعتُ زماناً ولكنَّني

فطنتُ لجودكَ فيمنْ فطنْ

وَأهْدَيْتُ مِنْ زَفَرَاتِ الحَنِيْنِ

إلَيْكَ وَمَا كُلُّ مَنْ حَنَّ حَنْ

شَوَارِدٌ فِي كُلِّ صَدْرٍ لَهَا

مُنَاخٌ وَفِي كُلِّ سَمْعٍ سَنَنْ

لَزِمْتُ بهَا الفَتْحَ قَبْلَ الرَّوِيِّ

ومَا أوجبَ النظمُ أنْ يلزمنْ

أتَتْكَ تُجَدِّدُ عَهْدَ الثَّنَاءِ

وَتُظْهِرُ عَنْ هَائِمٍ مَا أجَنْ

وَمَا كُلُّ مَنْ حَسُنَتْ عِنْدَهُ

أيَادِيْكَ جَاءَ بِشُكْرٍ حَسَنْ

وَمَنْ كَانَ فِيْكَ حَدِيْثَ الهَوَى

فإني غذيتُ بهِ في اللبنْ

وَلَسْتُ أُرِيْدُ سِوَى أنْ أرَاكَ

وهلْ تسمعُ المدحَ إنْ لمْ ترنْ

وَمِثْلكَ مَنْ جَمَعَتْ لِي يَدَاهُ

هُ بينَ الثراءِ وبينَ الوطنْ

إذَا حدتِ الريحُ عيسَ الحيَا

إذَا حدتِ الريحُ عيسَ الحيَا

وهتكَ بالبرقِ سترَ الدجَا

وظلَّ يفوقُ جوَّ الرياضِ

ويصقلهَا بنسيمِ الصبَا

فَمَنْطقَ مِنْهَا خُصُورَ الوهِادِ

وتوجَ منهَا رؤسَ الربَا

وقبلَ فيهَا ثغورَ الأقاح

مُدَاعَبَةً لِخُدُودِ المَهَا

فجلَّى الغويرَ بأوضاحهِ

وَنَجَدَهُ بَرقُهُ المُنْتَضَى

وزارَ عذيبةَ زورَ الخيَا

يُعِثُّر بَيْنَ فُرُوجِ الكَرَى

فَرَاحَ عَلَى تُرْبِهَا بَاكِيَا

بجَفْنِ الرِّيَاضِ وَدَمْعَ النَّدَى

وأصبحَ رائدنَا بعدهُ

يقبلُ أجراعهَا والثرَى

كأنَّ ابنَ نصرٍ همَى كفهُ

عليهَا فأخجلَ صوبَ الحيَا

فتًى جادَ بالمالِ قبلَ السؤال

وعاجلَ بالبشرِ قبلَ المنَى

وَقَادَتْ مَوَاهِبُهُ الطالِبِيْنَ

فَأَنْضَى المَطِيِّ وَسَدَّ الفَلا

كَأَنَ لَهُ غَفَلاتُ الزَّمَان

يَجُودُ بِهِنَّ وَعَصْرُ الصِّبَا

إذَا ما ذكرناهُ خلنَا المطيَّ

عَرَفْنَ مَكَارِمَهُ وَالعُلا

فَهُنَّ صَوَادٍ إلى قُرْبِهِ

تسابقُ انساعَها والبُرَى

مِنَ القَومِ إنْ خَطَرُوا لِلنَوال

رأيتَ الردَى في نحورِ الثرَى

تَذُلُّ صَوَارِمُهُمْ فِي الصَّبَاح

علَى نارِ ليلهمُ للقرَى

لهمْ كلُّ أجردَ ملءِ العنان

رَحِيْبُ اللَّبَانِ سَلِيْمُ الشَّظَا

تَمِيْلُ بِأعْطَافِهِ هِزَّةٌ

تُعَرِضُ بالبَرْق لمَّا جَرَى

وَنَازَعَهُ اللَّيْلُ أوضَاحَهُ

فَقَبَّلَهُ الصُّبْحُ لَمَّا نَجَا

ويأنفُ منْ عزهِ أنْ يذلَّ

بِغَيْرِ وجُوهِهِمُ فِي السُرَى

فَيَا عِزَّ دَولَتِهِمْ قُدْهُمُ

فَإنَّ الأبَاطِحَ دُونَ الذُّرَى

يَشْكُو إلى رَاحَتَيْكَ الصَّدَى

وثلمَ بالضربِ بيضَ الظبَا

وَنِلْ بِالمُعِزِّ عَلِيِّ الأمُورَ

كمَا تبعَ البدوَ شمسَ الضحَى

فَلَوْ هَرَبَ البَدْرُ مِنْ خَوْفِهِ

وَمَالَ عَلَى صَوْبِهِ مَا اهْتَدَى

أليْسَ أبُوكَ أبَا كَامِلٍ

فهلْ فوقهُ للعُلاَ منتهَى

فتًى وجدَ العزَّ حيثُ الحمامُ

وَمِنْ دَوْحَةِ المَجْدِ يَجْنِي الرَّدَى

وجاودهُ الغيثُ جهلاً بهِ

فلمَّا رأى جودهُ ما همَى

سَقَاهُ نَدَاكَ إذَا مَا العُفَاةُ

ملأنَ إليكَ فروجَ الملاَ

فَكَمْ مَوْقِفٍ مِثْلِ حَدِّ الحُسَامِ

يغضُّ بهِ الجوُّ سمرَ القنَا

تَلقَى السِّنَانُ بِهِ خَاسِراً

كَأنَّ عَلَيْهِ قُلُوبُ العِدَى

وَقَدْ غَنَّتِ البِيْضُ في نَقْعَةُ

فمَا شربَ الرمحُ حتَّى انتشَى

مَدَحْتُكَ أخْطُبُ مِنْكَ الوِدَادَ

إذَا حَاوَلَ القَوْمُ مِنْكَ الغِنَى

وَلِي فِي فَخَارِكُمُ شُعْبَة

وفي الأفق بدرُ الدجَا والسهَا

إذَا عَامِرٌ فَرَعَتْ فِي العُلا

ولمْ يبقَ منْ فوقهَا مرتقَى

علقتَ بأطرافِ ذاكَ النجارِ

وحلتْ بعادي ذاكَ الينَا

وقُورٌ إذَا طَرَقَتْنِي الخُطُوبُ

وحلَّ منَ الخوفِ عقدَ النهَى

بِعِشْرِيْنَ أنْفَقْتُهَا فِي الصُّدُودِ

وجدتُ بهَا في زمانِ النوَى

وَإِنِّي عَلَى شَغَفِي بالقَرِيْضِ

لأذخُرُهُ عَنْ جَمِيْعِ الوَرَى

ولكنَّ حبكَ نادَى بهِ

وَلَمْ يَزَلِ المَرْءُ طَوْعَ الهَوَى

وقدْ جلَّ قدركَ عنْ نظمهِ

ولكنهَا سنة تقتفَى

سَرَيْنَا إلى المَلِكِ الدُوفِنِيِّ

سَرَيْنَا إلى المَلِكِ الدُوفِنِيِّ

ولكننَا ما حمدْنا السرَى

فَأنْزَلَنَا الدَّهْرُ فِي مَنْزِلٍ

كَثِيرِ الهُمُومِ قَلِيْلِ الكَرَى

نظلُّ معَ الروم فيهِ فمَا

نعاشرُ إلاَّ كلابَ الورَى

طوالَ القرون قصار النفو

فَوْقَ الثُّرَيَّا وَتَحْتَ الثَّرَى

مَجَاهِيْلُ مَا فَطِنُوا بالسَّمَاحِ

ولا سمعُوا بحديثِ القرى

بَلَى عِنْدَ ضَيْفِهِمُ مَا يُرِيْدُ

ولكنْ لعمري إذا مَا اشترَى

وإنْ كانَ عندهمُ ثاوياً

فمَا تتعددُ دورُ الكرى

يَا مُنْفِذًا مَاءَ الجُّفُون

يَا مُنْفِذًا مَاءَ الجُّفُون

وَكُنْتُ أُنْفِقُهُ عَلَيْهِ

إنْ لمْ تكنْ عيني فأنتَ

ـت أعَزُّ مَنْ نَظَرَتْ إلَيْهِ